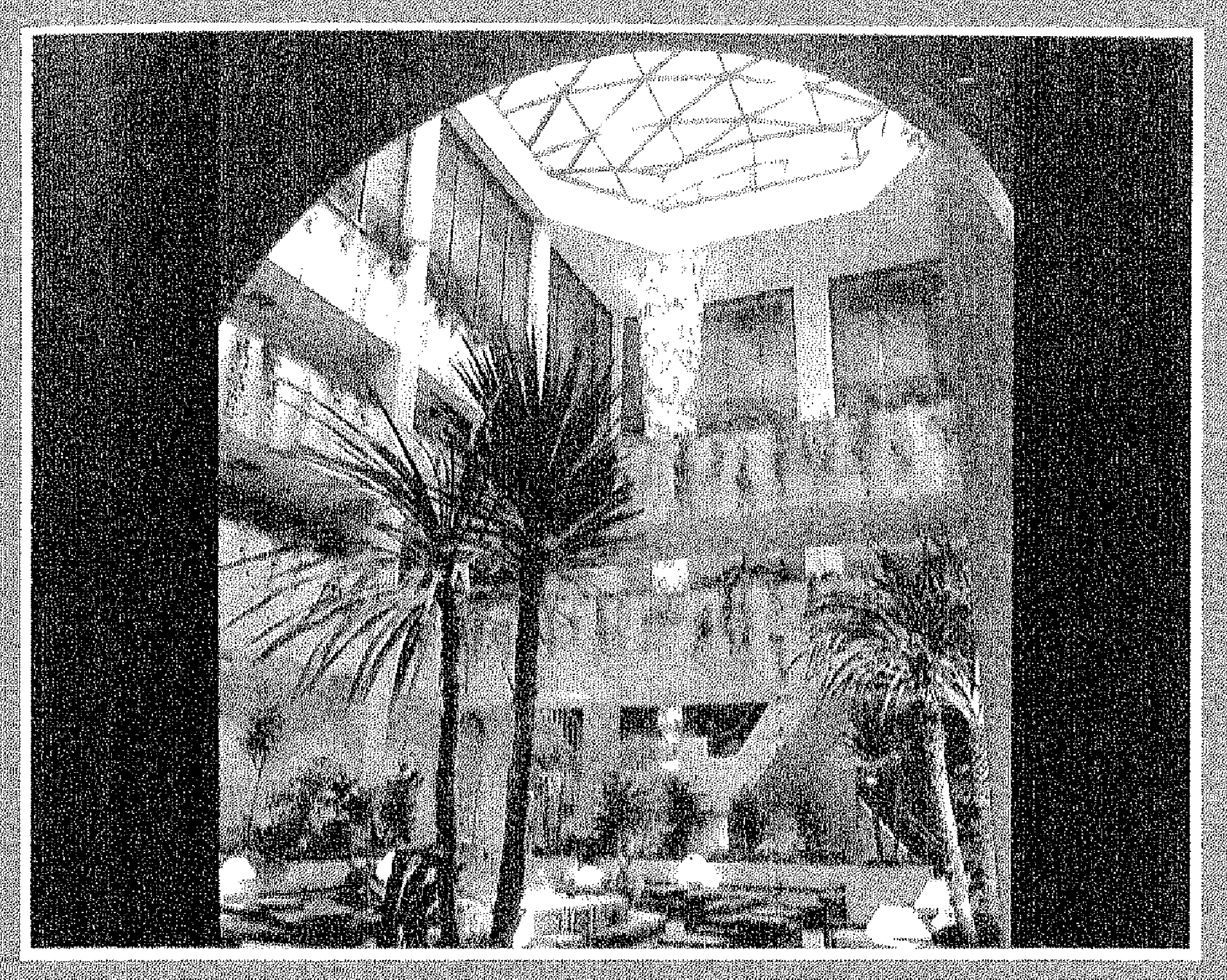
مارس/ابريل/مايو ١٩٩٠ - شعبان/رمضان/شوال ١٤١٠

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest
March/April/May '90 N° 136-137-138

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . . ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها

للحجز : فندق الشام ، ص. ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد





مجـــلة شهـريّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. امينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

الصف والتنفيذ: شركة الطبع والنشر اللبنانية.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

March / April / May '90 N° 136-137-138 (New Series) Vol. 12

ريـدرز دايجسـت

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدوليّة

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية. الى العربية.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٢٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
السعودية ١٠ر – مصر ١.٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب
تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا واميركا الشمالية ٢.٥د

كأننا في اليوم الاول...

مرة اخرى تتطاير القذائف فوق رؤوسنا.

وللسنة الثانية على التوالي تجد "المختار" نفسها في اتون ملتهب.

فظهر اليوم الاخير من شهر يناير (كانون الثاني) الماضي، غادرنا مكاتبنا على عجل في الضاحية الشرقية للعاصمة اللبنانية، حيث تحرر المجلة وتطبع، على امل اللقاء في الغد. بيد ان هذا الغد كان يوماً "آخر" مرعباً من الحرب المدمرة التي تجتاح لبنان منذ أكثر من خمس عشرة سنة. فقد تحول المبنى خلال ساعات قلعة محصنة والحي غابة من البنادق والحراب. فهرع الناس الى الملاجىء وانقطعت وسائل الاتصال وانهمرت القذائف على الاحياء والمنازل من كل صوب. في هذه الفترة كان عدد فبراير (شباط) قيد الانجاز في المطبعة - حمداً لله - في حين تعذر علينا الاقتراب من مكاتبنا خشية القذائف والقناصة. وما ان هدأت المعارك قليلا حتى خرج من المنطقة، من استطاع منا، الى الجزء الغربي من العاصمة حيث لنا مكاتب. وباشرنا العمل كأننا في اليوم الاول من "المختار" نعد لاصدارها من الصفر: فلا ورقة لدينا ولا مقال، لا فيلم ولا دواة. ورحنا نعمل في كل اتجاه، ومكتب الـ"ريدرز دايجست" في نيويورك يلبي، حتى اقتربنا من جَسْر المسافة بين ٣٠ يناير وبداية ابريل (نيسان) بأقل مقدار ممكن من الخسائر (عدا المكاتب، طبعاً، التي لا تزال في قلب الجبهة ولا مجال للاقتراب منها) وتوصلنا الى صيغة ننشر بموجبها، بين مارس (آذار) ويونيو (حزيران)، عددين: واحداً عن اشهر مارس وابريل ومايو، وواحداً عن يونيو بعدما وزعنا في شهر مارس عدد شهر فبراير الذي انهته المطبعة اثر معاودتها العمل.

ونحن اذ نعتذر لقرائنا عن هذا التدبير الذي بذل العاملون في المجلة الكثير من التضحيات لانجازه، نعدهم بأن نعوّض ما فاتهم في وقت قريب، ان شاء الله.

رئيس التحرير

TAWIL / AN-NAHAR, BEIRUT

مركز شالوحي – حيث مكاتب "المختار" في الطبقة الثانية عشرة كما بدا خلال يوم هدنة.



نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرع ذوبانًا، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان، ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

Reader's Digest
المختار
مارس/ابريل/مايو ١٩٩٠
شعبان/رمضان/شوال ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

لم تعد الحياة في الرحم غامضة
فقد جعل العلم مشاهدة جميع حركات
الجنين ممكنة

«أهلاً بكَ أيها الرّجل الصّغير»

ظل عائماً لمدة ثمانية اشهر في محيطه الخاص واستيقظ هذا الصباح وفتح عينيه وتثاءب وركل مراراً. لاعب قليلاً حبله السّري المنساب الى جانبه، بأصابعه ثم رفع يديه الى فمه وراح يمصّ إبهامه. وعبر صدى ضربات قلب امه وقرقرة قناتها الهضميّة، سمع صوت والدته وهي تخاطب والده، فتوقف عن مصّ ابهامه واصغى باهتمام. ثم مشت والدته فهزهزته الحركة بلطف فعاد الى النوم.

حتى السنوات الأخيرة كنا نتفكّر فقط في ما تراها تكون حياة الطفل في الرحم. الى ان اتى الفحص الطبقي الدقيق الفوق الصوتي، ففتح بتطوره الكبير نافذة على الرحم، مما اتاح للأطباء رؤية كل حركة من حركات الجنين على شاشة شبيهة بشاشة التلفاز. وتظهر الصور الجنين يتثاءب ويمصّ ويلتقط ويتمطّى

ويطـرف عينيـه ويقطّـب ويكشّر. في اختصـار، انـه يؤدي الحـركـات التي سيقوم بها بعد الولادة.

يعيش الطفل في الرحم في بحـر من الصـوت. وقد تنصّت عليـه الباحثـون بـإدخال ميكـروفون صغـير من خـلال المهبل الى الرحم. ويصف تشارلز ودفني موربر مؤلفا كتاب «عالم المولود الجديد» الصخب الذي يسمعه الطفـل من قلب امه ورئتيها بالآتي: «بالتعابير الهندسية، ان هذه الأصوات تشبه اصواتاً صادرة عن مضخة ماء عاملة ومضخة رواسب طينية كبيرة ومنفاخين.»

أسْمَعَ الدكتور جيفري فلـين احدى الحـوامل مـوسيقى مسجّلـة من شتى الأنواع، من زقزقة عصافـير الى هديـر قطـار عابـر. وكـان ادخـل في رحمهـا ميكـروفـونـاً يلتقط الأصـوات. ولـدى الاستماع الى تسجيل الميكـروفون قـال فَلين: «إنه امر لا يصدق.»

أن حدة الصوت تقلق فلـين. فحين استمـع الى صدى منـاقشة التقط من الـرحم، وجد الصـوت عاليـاً الى حـد مزعج. وتسـاءل عن التأثـيرات الضارة المحتملة لعمل المرأة الحامـل في محيط يملأه الضجيج. وقال: «إن المرأة التي ترشد الطائرات النفاثة في المطار تضع واقيـات للأذنـين. فهل الـوقايـة لسمع الجنين في احشائها مؤمّنة؟»

يستكشف الجنين بإحدى قدميه نسيج وسادة المشيمة الحـريريـة التي يرتبط بهـا بالحبل السرّي كالسفينة المربوطة الى رصيف المرفأ. ويشرب بعض السائل النخطي الذي يشبه ماء البحر، والابتلاع يسبب له نوبـة من الفواق (الحازوقة) التي تحسّ بها أمه في شكل وثبات ايقاعية صغيرة.

ثم تتـوقف الحازوقـة فيخلد الجنـين الى النوم في وضعه المفضّل، بحيث يطوي قفاه تحت اضلاع أمه، وظهره على امتداد جنبها الأيسر.

يتمرّن الطفل، وهو في رحم امه، على الحياة التي هو مقبل عليها، كما يهيىء الرياضي نفسه للمباراة. إنـه لا يحتاج الى التنفس إنما يقوم حجـابه الحـاجز بحركات التنفس. كذلك هو لا يحتاج الى الأكل او الشرب ولكنه يشرب من النّخط.

أمـا السـلى الـذي يحتـويـه فيقيـه الصدمات وتقلبـات الحرارة. وتتيـح له طبيعته الزلقة التحرك الطليق الضروري لبناء العظم والعضل.

والمشيمـة ليست كما سـاد الإعتقاد طويلاً انها حاجز واق بين الأم والجنين. فهي لا تحميـه إذ أن سمـوم دخـان السجـائـر والكحـول والمخـدرات والهرمونـات التي يحض الاجهاد علـى فرزها، تنتقل من مجاري الدم لدى الأم الى الجنين عبر المشيمة والحبل السّري، والأمـراض غـير المؤذيـة نسبيـاً لـلأم كـالحصبة الألمـانيـة (روبيـلا) او داء المصـورات الذيفـانيـة* الـذي تسببـه كائنات حية دقيقة تظهر احياناً في براز الهررة واللحم النيء من شأنها التأثير على صحة الطفل ونموه كذلك تفعل مواد

(*) Toxoplasmosis

كيميائية كثيرة موجودة في البيت او في مكان العمل.

في الأحوال الطبيعية لا يشعر الجنين بالجوع او العطش، انما اذا لم تستهلك الأم ما فيه الكفاية من المغذيات فإن تغذية الطفل لن تكون كافية كذلك. فحين يتعرض الجنين لنقص حاد في الغذاء ـ لأن تدخين امه الكثيف، مثلاً، يحد من جريان الدم الى المشيمة ـ يقوم بحركات غير طبيعية. وقال الدكتور جايسون بيرنهولز وهو أحد خبراء السمع فوق الصوتي، انه «رأى» طفلاً سيّىء التغذية يحرك صدره وحلقه وهو في حال بكاء مؤثر!

يذعره صوت الراديو فيستيقظ الجنين ويطرف عينيه ويكشّر متأثراً بهذا الإحساس الجديد الذي يختبره للمرة الأولى. ومن ثم يغدو راغباً في سماع الموسيقى. وهو يدير اذنه بحيث تقترب اكثر من العالم الخارجي ويحسّ بضغط الكتاب الذي يستقر على بطن امه فيركله. ويتناهى ضحكها اليه كتجاوب قعقعة مكبوت. تربّت بطنها حيث أحسّت بركلته فتستيقظ فيه روح اللعب فيعيد الركل ويكرر ذلك مرات الى ان يفقد في النهاية الرغبة فيها فيخلد الى النوم.

في اسابيع الحمل القليلة الأخيرة يستطيع الجنين استخدام كل حواسه، وربما كان النظر اقلها اهمية في عتمة الرحم. وعلى رغم ذلك فإذا سلّط ضوء قوي على البطن العاري للأم، فإن الجنين يدير وجهه ـ وعيناه مفتوحتان ـ الى ناحية الضوء، فيرى وهجاً باهتاً شبيهاً بوهج مصباح كهربائي محمول.

في اواخر عهد الحمل، تكون براعم الذوق قد اكتملت وبات الجنين يفضّل النكهة الحلوة. فقد حَقَن احد الأطباء سائلاً حلواً (سكّرين) ومادة ملونة في ارحام نساء لديهن كميات زائدة من النخط وأمِل ان يزيد الجنين من شربه فيمرّ السائل الزائد في مجاري الأم. وهذا ما حدث فعلاً، فقد ظهر الصباغ في بول الأم حين كان النخط محلّى، ولكن حين أشبع الجنين نهمه من النكهة الحلوة توقف عن الشرب.

هل يعرف الجنين صوت أمه؟

أجرى أنطوني دوكاسبر وهو استاذ لعلم النفس، تجربة لكشف ذلك. فوضع اداة للسمع في أذني مولود جديد وأعطاه حلمة زجاجة إرضاع مربوطة الى انبوب مسدود من المطاط. وسجل على شريط تغييرات الضغط حوْل الأقنية في الأنبوب. فإذا توقف الطفل طويلاً جداً ما بين فترات الامتصاص، سمع تسجيل قناة واحدة واذا توقف لفترة اقصر من المتوسّط سمع تسجيل القناة الأخرى. وتبين له انه باتت للطفل القدرة فعلياً، على تغيير القنوات.

ووجد دوكاسبر ان المواليد الجدد ينتقون اصوات أمهاتهم من بين تسجيلات لأصوات نساء اخريات. والطفل لا يهتم فطرياً لسماع صوت والده الذي يتناهى اليه من حين الى آخر وهو في الرحم، بخلاف صوت امه الحاضر ابداً. ولكن في خلال الأسبوعين

التالیین للولادة یصبح الطفل قادراً على تمییز صوت والده.

والمولود الجدید متناغم حتى مع نبرة لغتـه الوطنیـة وإیقاعهـا. ففي دراسة اجـرتها اكـادیمیـة العلـوم في بـاریس واستخدمت فیها تجـربة شبیهـة بالتي ابتكـرها دوكـاسبر، خـیّر الأطفال بـین الكلمات الفرنسیة والروسیة فكانوا اكثر استجابة للفرنسیة.

ویطلب بریان سـات احد البـاحثین الاختصاصیین بعلم النفس السریـري، من الوالدین ان یغنیـا تهویـدة للجنین یعتاد سماعها. فالجنین ینمي غالباً نمطاً متمـاسكاً من الحـركات لـدى سماعـه اغنیتـه. وبحسب سات فـان اكثـریـة الوالدین تستطیع، معظم الأحیان، تهدئة مـولـود جـدیـد نیّق، صعب الإرضـــاء بإسماعه أغنیته. وهذه، لا شك، مكافأة للوالد الجدید تعتبر أثمن من الجواهر.

تسقط امـه بشدّة عـلى احـدى وركیهـا فتوقظه الرجّة القویة فلا یلحقه اي أذى لأنه مـوسّد جیـداً ضد الصدمـات. ولكن ألمهـا والخوف من ایذائه یغمران جسدیهما بفیض من الأدرینالین وهورمونـات یفرزهـا الضغط مما یحفزه الى الصراخ والركل بشدة. ولكن صراخـه یذهب سـدى لأن لا احـد یسمعـه بسبب فقـدان الهواء الـذي یولـد الصدى. وحـین تتعافى والـدتـه تخسر هـورمـونـات الضغط فیعود الیه هدوؤه ایضاً.

هـل مـا تشعـر بـه الأم من ضغط وإجهـاد وغضب وصدمـة وحـزن یضر بطفلـهـا؟ كـلا. ان ضروب الضـغط والاجهاد والتوتر الطبیعیة لا تطاوله بأي أذىً. ووفقاً لما یقوله الزوجان موریر فإن هذه الحالات في الرحم تعادل فترة عابرة من «الطقس السیىء.»

وقد تكون هذه التحركات مفیدة لأن التغـیرات تثیر الجنـین. فبعض الأجنة یروعه التعـرض لموجـات من الضجیج والأصوات العالیة ولكن بعضها یهتم لها ویدیر لها آذانه.

والإجهاد الشاقّ المتواصل قد تكون له قصة أخرى. ولم یتضح الى الآن اذا كانت المشاكل هي ولیدة الإجهاد ذاته، ام انها ناتجـة من التغذیـة الناقصـة والتـدخین والشرب او المخـدرات، التي ترافقه غـالباً. وفي اي حـال لا بد ان یكون لهذا الجو تأثیر على الطفل.

لبضعة اشهر خلت كان الطفل یشعر ان بیتـه الصغیر یضیق علیـه كما لـو ان امه كانت تحتضنه. اما الیوم فإن الضمّات تتكرر وتـزداد قوة. ویتـواصل التـدلیك الإیقـاعي ویقوى الضغط حول رأسه.

وفجأة یغیب الضغط حین یطل برأسه الى العالم ثم تتبعه بقیة اجزاء جسمـه فیبهره الضوء بعد عتمة الرحم ویغمره البرد فیطلق صرخة ویضرب الهواء بیدیه ورجلیـه فیما عیناه مغمضتان كلیاً.

ان توقیت المخاض لیس بالأمر الذي تفرضـه الأم على الجنین ولا هو بالحادث الكیفي. انه نهایة دور یمثل فیه الجنین الـدور الرئیسي. فـالتغـیّرات في جسمـه

تساهم في تهيئة رحم الأم والعنق للمخاض، فيما التغيّرات في جسمها تعدّه للحياة خارج الرحم.

يترسّخ في علم النفس الغربي مفهوم مؤداه ان الولادة هي بمثابة صدمة للطفل ولكن يرجح ان الأطفال لا يجدون المخاض عملية مؤلمة. وتدل اجهزة التحسس الملصقة بجسد الأم والتي تراقب الجنين في اثناء الولادة، ان «التدليك» هو الوصف الصحيح لهذا الإختبار.

ان الإجهاد خلال الولادة يحصل بفعل الانخفاض الدوري للأوكسيجين حين يوقف الانقباض جريان الدم عبر المشيمة. انما هذا ليس مشكلة بالنسبة الى طفل صحيح مولود في الوقت الكامل. اذ ان ضغط الانقباض يهيىء الطفل للحياة في العالم الخارجي ومادة الادرينالين في الجنين تحول الدم في اتجاه الأعضاء الداخلية الحيوية التي قد تتأذى بسبب انخفاض امداد الأوكسيجين. ويتسبب الأدرينالين أيضاً في امتصاص السائل في الرئتين واندفاع في انتاج الـ «سورفاكتان» وهي مواد كيميائية تسهّل انتفاخ الرئتين.

وهذا الدفع من الادرينالين يساعد في تحقيق ولادة طفل يقظ، مفتوح العينين. يقول الدكتور مارشال كلوس المؤلف المشارك في كتاب «المولود الجديد المدهش»: «يبدو ذلك كأن المواليد الجدد تدربوا على التوجه الصحيح للقائهم الأول ووالديهم.»

ولكن تضايق الطفل قصير الأمد، اذ يتلاشى حين يجد نفسه مضجعاً في مكان ناعم، دافئ يعلو ويهبط تحته، بين ايدٍ تدلّكه برفق وتحضنه. وفيما عيناه ما زالتا مغلقتين فإن في إمكانه سماع نبض قلب امه المهدّئ والمألوف بعدما بات صوتها اكثر وضوحاً فيسترخي جسمه، وبعد برهة تبدأ عيناه الطرف وينتهي الى فتحهما. ويتطلع حواليه بنظرات واسعة متألقة. وينحني فوقه وجه بشري يقدر، ضمن إمكاناته المحدودة، التركيز عليه، هو وجه أمه. فيجاهد مندهشاً لإبقاء نظره عليه، ويعلو العبوس وجهه. ثم يدرك ان الصوت الذي يعرفه جيداً صادر عن ذلك الوجه فتنبسط اسارير وجهه دهشة.

وتبتسم له امه وهي منحنية فوقه قائلة بحنان: «اهلاً بك الى العالم ايها الرجل الصغير.»

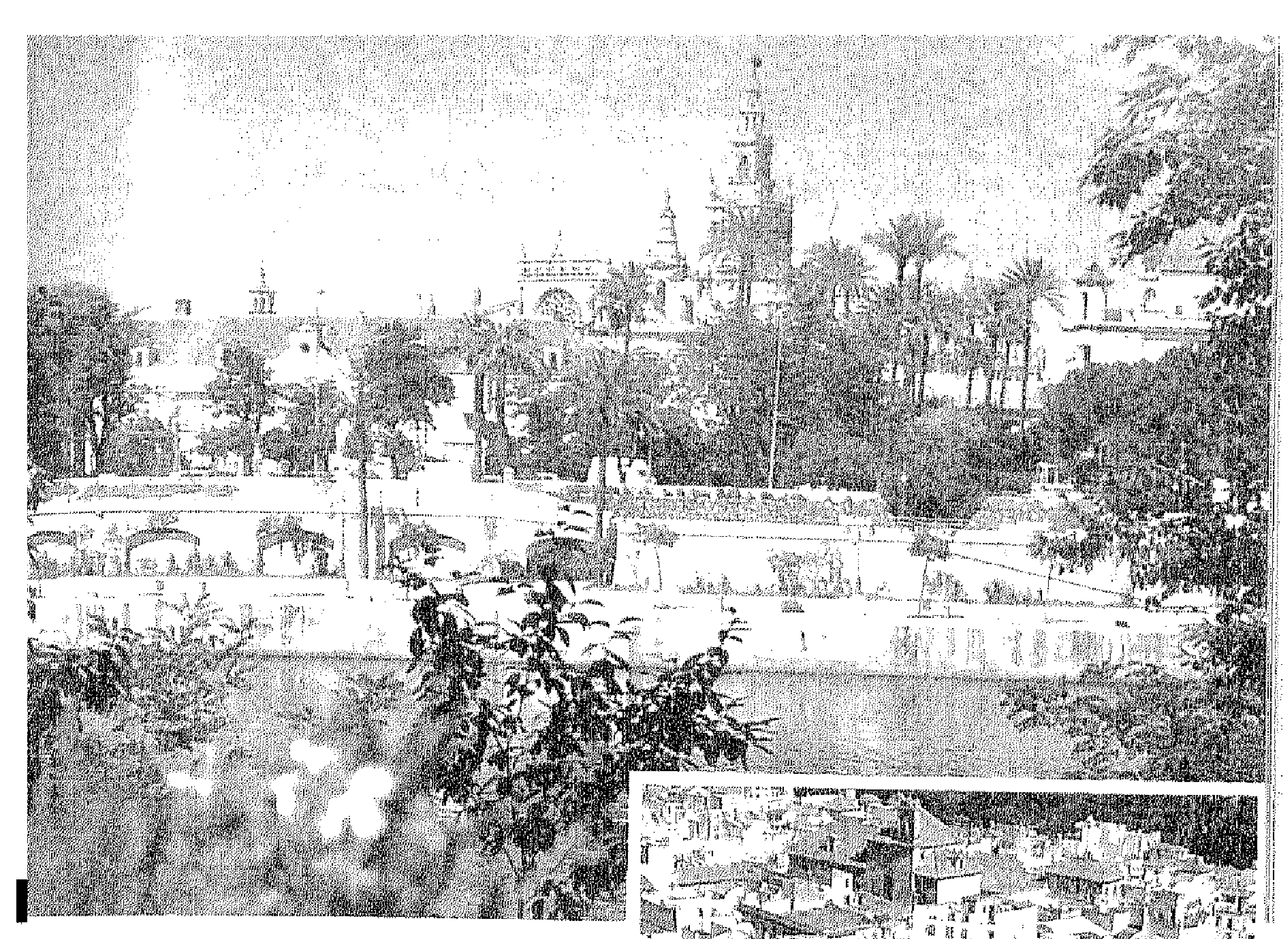
هنسي غوير ■

سرّية المكاتب

أعمل في قاعة مقسّمة مكاتب عدة بواسطة فواصل خشبية. وذات يوم وجّه الي زميل سؤالاً، فأتاه الردّ من مكتب مجاور. فقال معلّقاً: "لا مجال لحديث خاص في هذا المكتب. الجميع يسترق السمع."

وأتانا الرد من حجرة تفصلنا عنها ثلاثة حواجز: "هذا غير صحيح."

ا.ر.



اشبيلية الاندلسية

«الوادي الكبير» الوادع، ومشهد من المدينة لبيوت حمر السقوف مطلية بالكلس.

جولة قصيرة في اشبيلية المدينة الاسبانية العربية الطابع والأكثر دفئاً وألقاً

جلست على مصطبة مطعم «ريوغراندي» ناظراً الى نهر «الوادي الكبير» ساعياً إلى التعرف على الحارة التي ترعرعت فيها.

اشبيلية القديمة كتلة متشابكة من السطوح الحمر والبيوت البيضاء الخفيضة، تنبعث من جنباتها بضع نخلات باسقات تهزز رؤوسها مثل باشوات أصابهم مسّ.

وثمة قصر مغربي الطراز بديع (الكازار) وعشرات المعابد، لكن المدينة هي في المقام الأول موطن الجنائن ومدينة الأزهار. انها اشبيلية النظيفة، اللماعة، حيث يحتشد محبو اللهو والمرح وهم على عهدهم منذ قرون.

وكانت اشبيلية، أيام المستكشفين أمثال كولومبوس وماجلان وكورتيس وأميريغو وفيسبوتشي، زمن نهب العالم الجديد، من اغنى مدن العالم؟ مصدر ثرائها التجارة وذهب الفاتحين. وبالقرب من كاتدرائية البلدة دائرة للمحفوظات الكبرى التي تحوي وثائق عن الاندين، وتختزن روايات مستوفية التفاصيل عن اكتشاف الامريكتين الوسطى والجنوبية واستعمارهما.

وجذب الازدهار آنذاك الكاتب سرفانتس الذي تشير الوثائق انه تقدم بطلب لوظيفة رسمية خارج البلاد، غير ان طلبه لم يلق أي اهتمام.

واستخدمت اشبيلية في عزّها مهندسين معماريين مرموقين أمثال هيريرا، وأنجبت رسامين كفلاسكويز وموريللو. لكنها بعدما أُتخمت بالذهب الأصفر، ذوت شهرتها في القرن السابع عشر. وهي اليوم، وثبت من القرون الوسطى وحطت رحالها في العالم المعاصر، فأضحت تزنرها ضواحٍ بمبانٍ شاهقة، وتضاعف عدد سكانها في ستين عاماً.

الاندلسية. اشبيلية مدينة ليل، أي ان الحياة تدب فيها بعد غياب الشمس. وقد انشئت أزقتها الضيقة ونوافذها المشبكة ذات الستائر المرنة لدرء أشعة الشمس الشديدة الوطأة في الأشهر الحارة. وتتوسط الحديقة أو الفناء، الركن الهادىء من البيت الاشبيلي أو المبنى الحكومي، مما يتيح للمرء الانتعاش في الأفنية ذات العُمُد قبل أن يلج مكاتب العمل.

وهذه المباني التي تبدو عادية من الخارج، هي شديدة الألفة من الداخل. فالاشبيلي المهذار يهوى الخلوات. كما أن الجنائن المفتوحة الملحقة بالقصور المغربية الطابع انشئت في أفنية مرصوفة تحفها شجيرات، حيث تدندن نافورة ماء صغيرة وسط مقاعد صنعت من الاجر الجميل والبرتقال والشجيرات المزهرة، والنخلات الباسقة التي يوشي جذوعها الياسمين، مما يشكل زركشة من الظلّ المعطار.

وكثيراً ما يتناهى إلى الاسماع خرير مياه، فالعرب الذين استوطنوا اسبانيا علّموا سكانها تطوير اساليب الري. وللّهجة الأندلسية دورها في خلق هذا المناخ الخاص، فهي جهورية تسيل بانبجاس، مهذارة، فيها تعمية كلام، ولذا فإن أهل اشبيلية، بأثر منها، ينبذون معظم الصوامت في كلماتهم مبقين على أحرف العلة التي تنساب مع بعضها بعضاً ككريات أو حصى في الفم. والاشبيلي العادي ينبوع ظرف ونكات يتوق ألى أن تأتي أنت بمثلها أو بأحسن



ADAM WOOLFITT / SUSAN GRIGGS AGENCY

حمار يحمل أباريق في حي قديم بهيج المنظر.

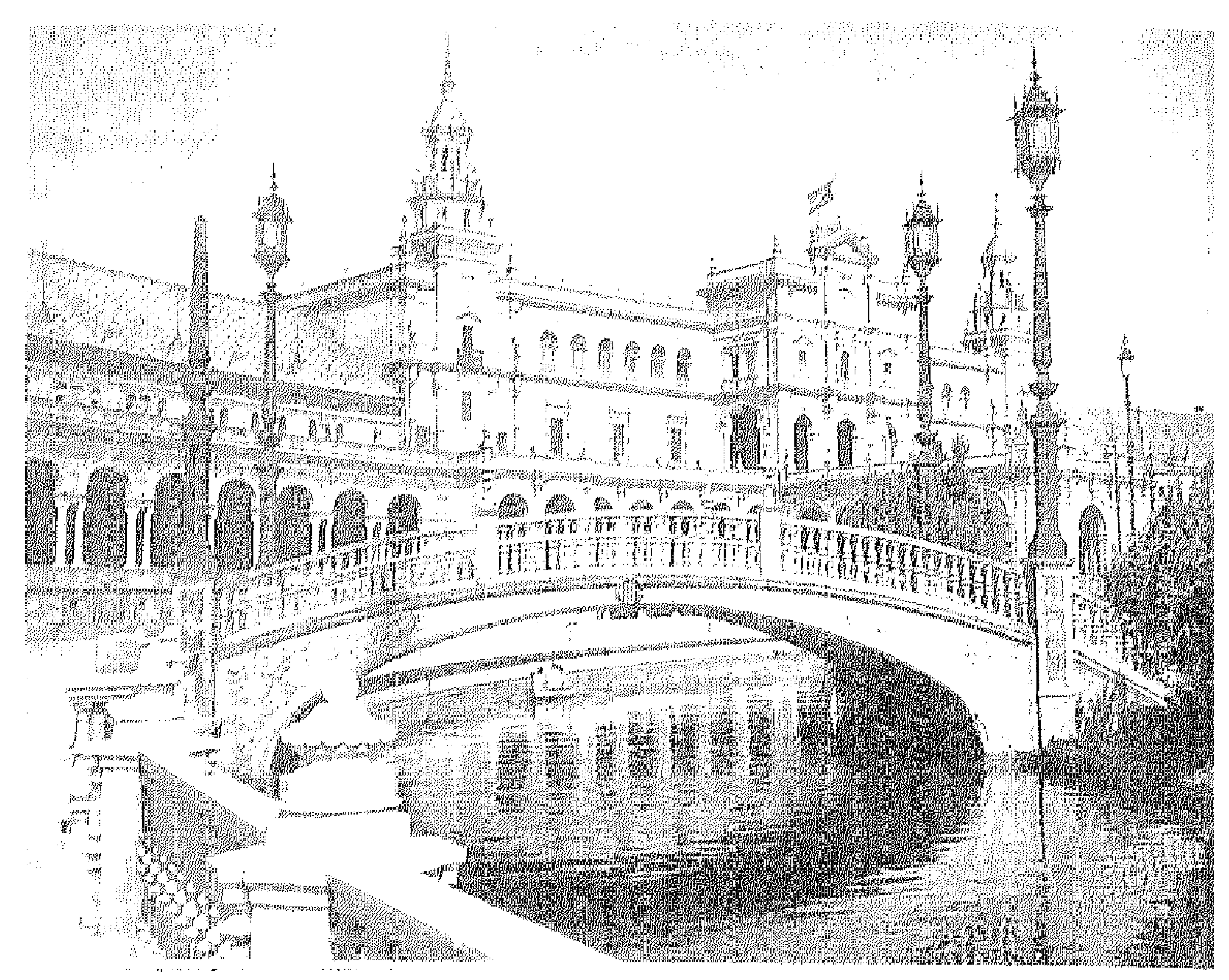
منها، وأن تباري عجبه بنفسه. ويبلغ من ذلك شأواً بعيداً كأن يتصنع وجهاً كتوماً ينم عن غباوة تنطوي على خبث إذا هو تكلم. فلن تضارعه أبداً، اذ ليست لديك القريحة الفطرية لتتجرد في لحظة من نفسك وتغدو عالماً صغيراً.

أيام حداثتي كان رجال اشبيلية يشتهرون بصيحات الشهامة وبتعليقات غير مستحبة عن النساء: «يا لها من امرأة فارعة القوام» أو «انظر إلى تلك البدينة» أو «ها قد جاءت المليحة. يا لها من دُرّة.» قد ينزعج السيّاح من هذه الملاحظات أو يجزعون، لكن الاسبانيات يحببن هذه التحيات ويضحكن للاطراء المفرط الذي يتلفظ به الوجلون من أهل الشمال.

العصرية. في اشبيلية الحديثة، اندثر الفصل بين الجنسين، تلك العادة الشرقية التي كانت سائدة في جنوب البلاد. واختفت نسوة اشبيلية الحلوات، ذوات الأجساد القصيرة البدينة اللواتي كن يظهرن كنسخ من العذارى الذائبات رقة في لوحات الرسام موريللو، واللاتي كن يراعين آداب السلوك باستمرار.

وتلوح لي فاتنة في بذلة حسنة التفصيل تنظم السير قرب ميدان «بلازانويفا.» لقد تناقصت اعداد فتيات الغجر المتسولات مع اطفالهن. وثمة متسولة ألفيتها تجاري الأحوال المعاصرة، فمطافها ليس مقهى أو باب فندق بل هي تخطو إلى حركة السير عند توقفها أمام أنوار إشارات المرور، وتدلي بيدها في النوافذ المفتوحة للسيارات، فيما فتاها الممسك بيده ماسحة مطاط ينحني برشاقة وحذق إلى الأمام لينظّف الزجاج الأمامي في السيارة. ما رأيت أحداً تقبل خدماتهما لكنهما لا يكلاّن عن المحاولة بصبر واناة.

في نعومة اظفاري كان الطعام في اشبيلية رديئاً، عدا السمك الوارد من خليج قادس. أما اليوم فثمة مطاعم لائقة مندسة في الأزقة الصغيرة. وفي الأيام الخوالي كان يُفرغ في الشوارع قتار زيت زيتون زنخ الرائحة وفضلات



«بالاشيوسنترال» يرفل بابهة. والساحة العامة نصف الدائرية التابعة له.

افران الفحم، أما الآن فقد قضت الكهرباء على الفحم. وقد أجمل كهل اسباني التحول مغتماً: «اشبيلية وأسفاه، لم تعد تنتمي إلى القرون الوسطى، فهي اليوم حديثة مسلوبة الهوية. لقد قضى القرن العشرون عليها. اسبانيا القديمة قد زالت.»

وقوله هذا ليس صحيحاً تماماً، على الأقل في ما يتصل بأسمى لحظات المدينة، أي مناسبة الاحتفال باسبوع «الجمعة العظيمة»، وهو من اغرب المناظر في العالم كله. فيه يخرج السكان أجمعين إلى الشوارع في مواكب سيارة ترافقها جوقات موسيقية.

وتفيض مشاعر العامّة وترتفع الصيحات، وفجأة يطغى صوت فرد يطلق صيحة رفيعة الطبقة. إنه رجل ينشد لحن «سابيتا» حاداً يكاد ينفذ إلى البشرة، وهي صرخة ألم ممدود مخنوق. ولحن «سابيتا» ضرب من «كانت يوندو» أو «الانشودة المنخفضة الطبقة» المغايرة تماماً لأنشودة «كانت فلامينكو». لا بل تبدو نقيضها وتوحي انها منبعثة من باطن صحراء العرب في افريقيا، أو بالأحرى من الهند.

يعلو الصوت إلى طبقة من النغمات الصاعدة المعقدة، ثم ينقطع فجأة ليغدو مناشدة متطاولة ذات وله. وكالعادة

يكون الجمهور، حتى تلك اللحظة، غير معني بالامر، فهو ينتظر من المغني أن يبلغ الذرى المتعرجة من الإنشاد العسر الذي يحاكي، صوتياً، فن الزخرفة العربية. ويُقابل المنشد بالازدراء إن لم يفعل ذلك.

بعد طول عناء، عثرت على الحارة التي شببت فيها. انها تقع في أعلى النهر، في حي هادىء بالقرب من متحف الفنون الجميلة وهو من أكثر صالات العرض الباعثة على الحبور. وسر جاذبيته ليس في لوحات موريللو وزورباران في ذاتها، بل في تعليقها في مكان حميم وادع شيد حول رواقين ذوي أعمدة تتيح للمرء أن يرى اللوحات وكأنه يعيش فيها. وفي اعتقادي أن هؤلاء الرسامين ينقلون للمناظر صوراً عن واقع غير مضطرب لمدينة أهلها مولعون بدنيا الخيال.

ف.س. برتشيت ■



متعة الطبخ

تصاب خبيرة الطبخ جوليا تشايلد بالكآبة إن لم تأكل جيداً. وهي التي تعلمت فن الطبخ في فرنسا لا تزال تحنّ الى "العصر الذهبي عندما لم يأبه أحد للزبدة والقشدة في الطعام."

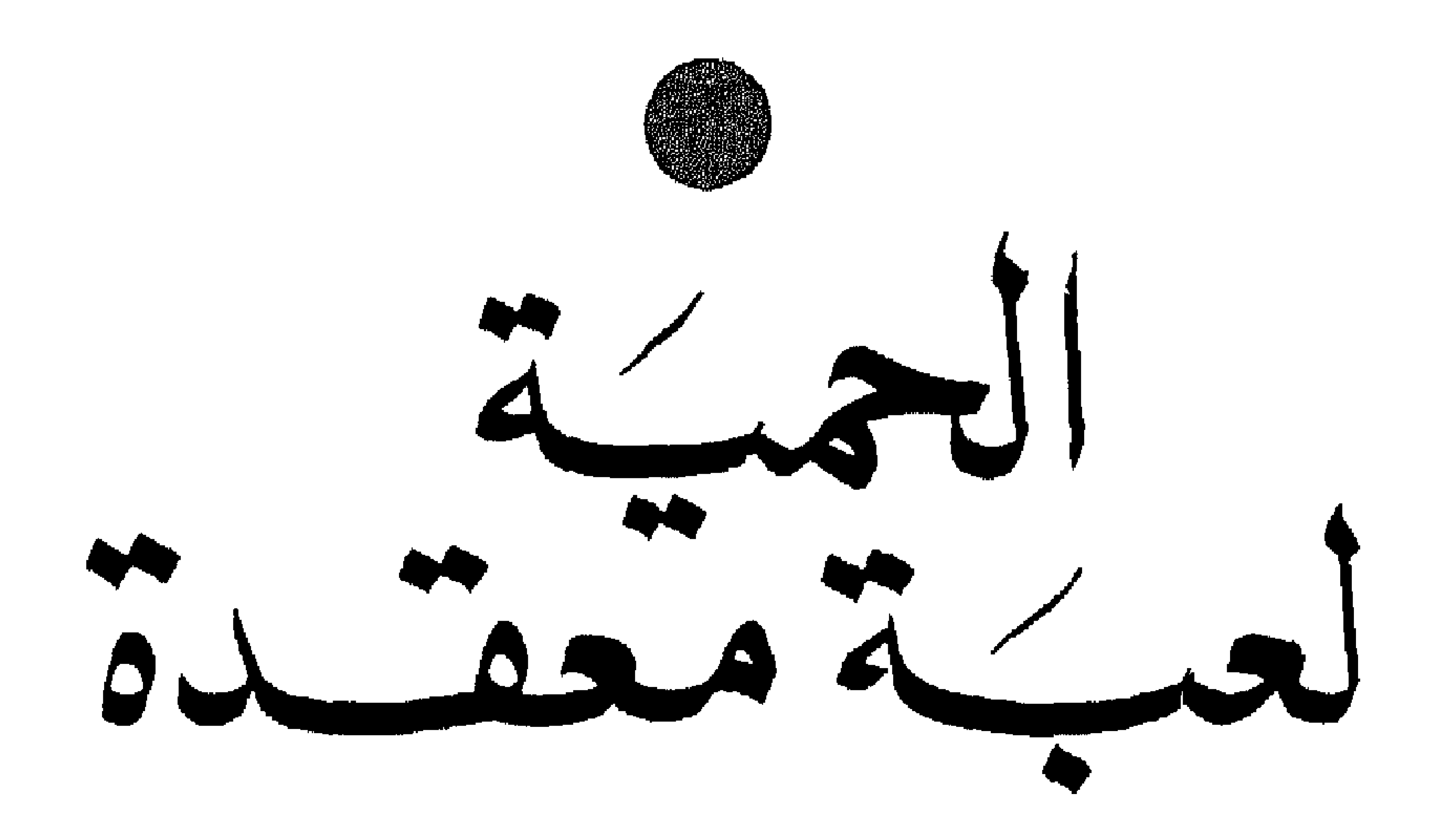
أما اليوم، تعترف تشايلد، فهي تأخذ في الاعتبار كمية الوحدات الحرارية في وجبات الطعام. لكنها تعبّر عن امتعاضها الشديد من مبالغة الناس في الاهتمام للنحافة. وفي كتابها الجديد "أسلوب الطبخ" تعيد احياء ملذات المائدة مع التسليم بصحة أسلوب الطبخ القليل الدسم. ولا يحتوي كتابها على وجبات تحضّر في ثلاثين دقيقة، فهذه الطباخة العنيدة تقول: "الوجبات السريعة مشبعة بالدهن والمواد الحافظة، وأسعار المطاعم باهظة، إذاً من الافضل أن تطبخوا بأنفسكم وأن تتعاملوا مع الطعام بجدّية. إنَّ أسلوب الطبخ لا يقل أهمية عن قيمته الغذائية، وعليكم بتعلمه تماماً كما تتعلمون رياضة كرة المضرب أو الغولف أو الابحار."

صحيفة "نيوزداي"

أشراك الهاتف

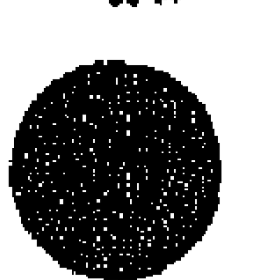
رن جرس الهاتف فالتقط أكبر أطفالي السماعة وقال: "مرحباً يا بابا." وشرع يسرد ما صادفه في ذلك النهار، ثمّ مرّر السماعة الى أخته وأخيه كما جرت العادة كلّما اتصل زوجي من العمل. وعندما حان دوري للكلام، أخذت السماعة وقلت: "كيف حالك يا حبيبي؟" فأتاني الرد: "الحمد لله يا سيدتي، أود فقط أن أعلمك بأن ورق الجدران الذي طلبته من متجرنا بات جاهزاً."

م.و.



الحمية لعبة معقدة

معلومات مفيدة من أطباء اختصاصيين بالحمية



هناك سبعة اشخاص من كل عشرة يتّبعون أحد برامج الحمية، يستعيدون الوزن الذي فقدوه ويتجاوزونه أحياناً ببضعة كيلوغرامات. وبقاؤك نحيفاً طوال حياتك، يتطلب اكثر من احتساب عدد الوحدات الحرارية المستهلكة، اذ هناك ما هو أهم في نظر الاطباء الذي طوروا بعضاً من اكثر برامج خفض الوزن فاعلية. وهنا بعض من اسرارهم:

● **لا برنامج حمية.** وجد الباحثان في جامعة أيُوا كريستي فيرغوسون وادوارد غراتان، أن أفضل الذين نقص وزنهم لم يتبعوا نظام حمية، انما غيّروا طريقة أكلهم، فخفضوا الدهن، وتجنبوا الحلويات أو الوجبات الخفيفة. يقول فيرغوسون: «ان اتّباع برنامج حمية يعني التخلي عن الحمية.»

● **كن واقعياً.** ان محاولة انقاص وزنك إلى مستوى متدنٍ إلى حد مفرط يقضي عليك بالفشل.

يقول كيلي برونيل المدير المشارك لـ«فريق بحث البدانة» في جامعة بنسلفانيا: «إن انظمة الحمية التي تعتمد خفض الوزن السريع تنتهي بالتسبب في الضرر جسدياً ونفسياً.» ويضيف روبرت غليسر مدير «مراكز الصحة - مارك،» وهي عيادة للطب الوقائي في إنغلود بولاية كولورادو: «إن الخطأ الشائع في كل برامج الحمية هذه هو الحاجة إلى تعديل ملائم في عادات الاكل والمتابعة. فحين تتوقف عن الحمية وتستعيد ما فقدته من وزنك تشعر

CONDENSED FROM FAMILY CIRCLE (SEPTEMBER 5,'89).

بالاخفاق. وتظهر الدراسات انه في مرة تالية تحاول خفض وزنك سيستغرق ذلك وقتاً أطول وتعود أكثر بدانة.»

فالمسلك الحكيم في مجال خفض الوزن الزائد هو أن تبدأ على مهل وتتقدم بثبات فتخفض وزنك مثلاً، من ربع كيلوغرام إلى نصف كيلوغرام في الأسبوع.

● **تحاشى الافراط.** تقول ستيفاني تورنر الاختصاصية بالتغذية في برنامج «البدانة وعامل الخطر» الذي ينتمي إلى مستشفى الاولاد في سان فرنسيسكو: «إن الافراط في الحرمان يولد لديك رغبة في الافراط في الاكل. فاذا حذفت من طعامك، مثلاً، الاطعمة المقلية فاكتفِ بذلك ولا تحذف مادة غيرها إلى ان تشعر أنك مرتاح إلى هذا التغيير.»

● **مفكرة للطعام.** دوّن فوراً مقدار ما تتناوله من الطعام وراجع مفكرتك تكراراً لتتبيّن بوضوح أكثر، ماذا اكلت ومتى وأين ولماذا.

● **لا تفوت الوجبات.** ان الذين يتناولون وجبات الطعام النظامية يحرقون ١٠ في المئة من الوحدات الحرارية اكثر من الذين يفوّتون عليهم الوجبات، لأن في كل مرة يتناولون وجباتهم يرتفع معدلهم الأيضي. يقول س. واين كالاواي الطبيب وأستاذ الطب المساعد في مركز جامعة جورج واشنطن الطبي بواشنطن العاصمة: «بتناولك ثلاث وجبات في اليوم تستطيع حرق ما يراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ وحدة حرارية زيادة على ما كنت ستوفره بامتناعك عن الاكل.»

● **لا تدع نفسك تجوع.** اذا حددت استهلاكك باقل من ٨٠٠ إلى الف وحدة حرارية في اليوم فقد تكون تجوّع فعلاً نفسك. وفي إمكان جسمك الاستجابة لهذا الامر بطرق ثلاث: قد تحتفظ بالماء وقد يبطىء معدل أيضك وقد تغريك الشهية العارمة فتكثر من الطعام.

● **تمهل في الاكل.** تمهّل واستمتع بكل لقمة وتجنب الإلهاء في اثناء الاكل مثل مشاهدة التلفاز أو القراءة. وتوقف بين الفينة والفينة، في المرة الاولى لمدة ٣٠ ثانية ولفترات اطول لاحقاً. ولتكن دائماً الاخير الذي يغادر المائدة. فاذا اردت حصة إضافية توقف وانتظر لأن دماغك يحتاج إلى ٢٠ دقيقة لإعلامك بأنك شبعت.

● **تحاشَ الدهن.** يحتوي غرام واحد من الدهن على ضعفي عدد الوحدات الحرارية الكائنة في غرام واحد من الكربوهيدرات أو البروتيين.

على حسب الطبيب رونالد هوفمان مدير «مركز هوفمان للطب الكمالي» في مدينة نيويورك: «إن الوحدات الحرارية من الاطعمة الدهنية هي اكثر احتمالاً

للاختزان كدهن، من الوحدات المتأتية من البروتيين أو الكربوهيدرات.» نظم لائحة بالاطعمة التي تحتوي على نسبة مرتفعة من الدهن، بهدف خفضها أو حذفها من برنامجك بما فيها الجوز والحليب الكامل الدسم والشوكولاته والحلويات والأطعمة المقليّة وشرائح لحم البقر او السمك.

● **تناول نشويات**. يقول الطبيب جون ماكدوغال مدير «برنامج ماكدوغال» في مستشفى سانت هيلينا و «مركز الصحة» في دير بارك بكاليفورنيا: «ان الكربوهيدرات المركّبة، كونها تحتوي على نسبة متدنية من الدهن والسكر والوحدات الحرارية، مفيدة لضبط البدانة. وإلى ذلك فانك تحرق كميات إضافية من الوحدات لدى هضمك كربوهيدرات.» فأضف إذاً إلى اكلك كربوهيدرات مركّبة مثل البطاطس والرز والمعكرونة والحنطة.

● **الطعام الخفيف**. اعتمد تناول الفُشار العادي وكعك الرز والخضر والفاكهة. ويقترح مارتن كاتان مدير برنامج جامعة فاندربلت لتدبّر الوزن، التحول من كعك الحلوى التي تحوي نسبة مرتفعة من الدهن إلى «الكعكة الملائكية» ومن الكعكة المحلاة المقّلاة بالدهن إلى كعكة «بايغل» القليلة الدهن.

● **تناول حلوياتك باعتدال وحكمة**. يقول الدكتور ماكدوغال: «إذا اضفت إلى غذائك من الشوفان ملعقة صغيرة من السكر فيها ١٥ وحدة حرارية فذلك حسن جداً. اني أفضّل أن ارى الناس يفعلون ذلك على تناول أطعمة مشحونة بكميات مستترة من السكر والدهن.» اقرأ ملصقات الأطعمة المعالجة التي تحتوي في بعض الأحيان، على كميات وفيرة من الدهن والسكر والملح.

● **لا تتخلّ عنها كلّها**. فتّش عن وسيلة تشبع شهيتك إلى الأطعمة المفضّلة لديك. فاذا كنت من محبّي المقالي الفرنسية فاقْلِ بعض رقائق البطاطس مغمّسة بالزيت.

● **أكثِر من التمارين**. يقول بيتر وود أحد اساتذة الطب في جامعة ستانفورد: «في سبيل الاحتفاظ بوزنهم من دون زيادة، يلجأ متتبّعو الحمية على ما يبدو انه الاكثر احتمالا، إلى التمرين المنتظم. فالتمرين يؤدي إلى حرق وحدات حرارية لمدة ١٢ ساعة بعد إنهاء تمرينك، ويساعد جسمك أيضاً على خفض الدهن عوض العضل.»

● **مارس المشي**. اصعد الدرج على رجليك بدلاً من المصعد وانزل من الحافلة مسافة وان قليلة قبل الوصول إلى مكتبك. يقول الدكتور ماكدوغال: «يصعب على معظم الناس ايجاد اعذار تبرّر إحجامهم عن المشي لمدة ١٥ دقيقة في اليوم. وحين يبدأون بممارسة المشي نشجعهم على قطع مسافات اطول وعلى زيادة سرعتهم تدريجاً.»

● **راقب تقدمك.** أرسم خطا بيانيا، قاعدته وزنك الابتدائي، لتتبيّن مدى تقدمك. حين تغريك نفسك بالإفراط في الاكل، خلافاً للحمية، أمسك عن ذلك واذكر أنه سبق لك أن قاومت الاغراء مراراً. يقول الطبيب البرت ستونكارد مدير «مجموعة بحث البدانة» في جامعة بنسلفانيا: «أن ثمن النحافة هو التيقظ الدائم.»

● **تحاشَ الانهيار.** يميّز برونيل بين الانقياد إلى الاغراء (تناول طعام ذي طاقة حرارية مرتفعة) والانهيار (الرجوع الكامل إلى عادات الاكل السابقة). لكي تتفادى الانهيار عالج كل مخالفة كأنها مشكلة منفردة.

● **حاول مراراً وتكراراً.** تذكّر ان قليلين من متّبعي الحمية حافظوا على وزنهم المخفّض في المحاولة الأولى. تقول سوزان اولسون مديرة الخدمات البسيكولوجية في مركز تغذية جنوب غرب بارياتريك، في سكوتسدايل، أريزونا: «إن الإخفاق ضروري للتعلُم. فالناس الذين ينتهون إلى النجاح في آخر الامر، يثابرون على المحاولة إلى ان يجدوا خطة تؤمن لهم سبيل النجاح.»

ديان هيلز ■



خواطر صحافي

أنا لا أرفع أجساماً ثقيلة. أنا لا أصنع سلعاً تجارية. أنا أخرج الى الشارع وألتقي الناس، ثم أسجل جولتي على الورق ليقرأها الغرباء. قد لا يبدو ما افعله عملاً، وأحياناً لا أصدق أن الناس يدفعون لي في مقابله. فلقد دأبت على تحرير زاوية يومية منذ ثماني عشرة سنة، وبتُّ غير قادر على اختبار الأشياء والاحتفاظ بها داخل ذاتي.

اتحدث الى الناس والاحظ الأشياء، ثم أحول حديثي وملاحظاتي كلماتٍ تُصف في زاوية صحيفة، فأتلقى أروع هدية يمكن أن يحظى بها كاتب، وهي جمهور القرّاء في الطرف الآخر. ويخيَّل اليّ أن كل واحد منا في الأعمال الكتابية ينطلق من الأدوات نفسها، وتحديداً من حروف الأبجدية. وكل ما يمكننا فعله هو ترتيب هذه الحروف بطريقة مختلفة لم يسبقنا اليها أحد.

بوب غرين، محرر في مجلة «إسكواير»

كلما نقص شعور المرء بالأمان والاطمئنان زاد تحامله وظلمه.

كلينت ايستوود، ممثل امريكي

حديقة أفكار

- عندما تعود الى بلدتك القديمة تكتشف أن ما افتقدته لم يكن بيتك القديم بل طفولتك.

س.ي.

- البسمة الدافئة هي لغة اللطف العالمية.

و.ا.و.

- يشبه القدر شجرة فاكهة في فصل الشتاء. فمن يصدّق أن الأغصان العارية سوف تعود خضراء ومزهرة؟ الا اننا نأمل ذلك ونعرف أنه سيحدث.

غوته

- يطلب معظم الناس سعادة مشروطة. لكن السعادة لا يمكن اكتناهها الا من دون شروط.

آرثر روبنشتين، عازف بيانو امريكي من اصل بولوني

- الكتب تتعدى كونها كتباً. انها الحياة واللبّ والجوهر لأجيال مضت، والسبب الذي من أجله عاش أناس وعملوا وماتوا. انها خلاصة حياتهم.

إيمي لويل، شاعرة امريكية

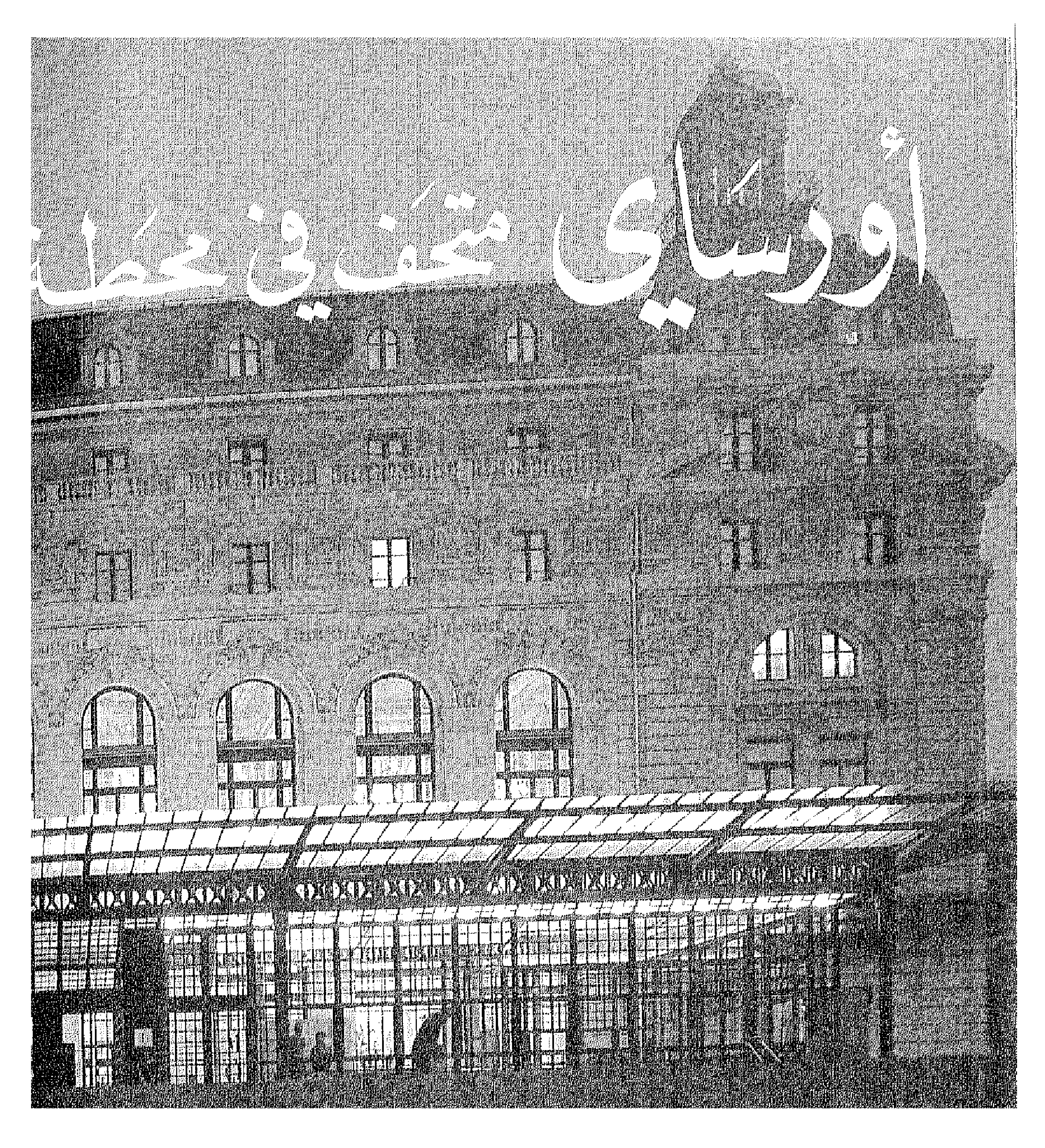
- الخبرة هي ما تكتسبه عندما لا تحصل على مبتغاك.

د.س.

- يكمن معظم الفكر في ايجاد البراهين والحجج التي تقنعنا بالبقاء على ما كنّا نؤمن به.

ج.ر.

أورساي متحف في محط



وقف فيكتور لالو على ضفاف نهر السين في باريس ومعه الرسام ادوار دوتاي، وراحا يرنوان الى محطة «دورساي» البيضاء العملاقة، إبداع لالو الأخير - حيث ينهمك مئات العمال في الورشة الكبيرة. كان ذلك في ٢٢ مايو (ايار) ١٩٠٠. وقد دوّن الرسام لاحقاً فكرة طريفة: «المحطة رائعة وتشبه مدرسة للفنون الجميلة. وبما أن مدرسة الفنون الجميلة تشبه محطة للسكك الحديد، فقد اقترحت على لالو أن تتم المبادلة بين المحطة والمدرسة إذا كان الوقت لا يزال يسمح بذلك.»

بعد ستة وثمانين عاماً، أصبحت الطرفة واقعاً. ولم تغد «أورساي» مجر محطة بل غدت أحد أكثر المتاح



المدخل الرئيسي ليلاً. والقاعة المركزية (فوق)

شعبية في فرنسا. لقد حدث هناك تغيير شبه مستحيل! وكتب بيار شنايدر الناقد الفني في مجلة «الاكسبرس»، ان تعليق اللوحات في بهو يبلغ طوله ١٤٠ متراً وعرضه ٤٠ متراً وارتفاعه ٣٢ متراً ويخترقه ٣٥ الف متر مربع من النوافذ، يبدو غير معقول تماماً كإقامة معرض للرابع على حائط الصين.

نيطت هذه المهمة الشاقة في تحويل المبنى وترميمه بمهندسين معماريين لم يبلغوا بعد السن الأربعين وهم جان بول فيليبون ورونو باردون وبيار كولبيك. اما الديكور الداخلي فكان لغاي اولنتي المهندسة المعمارية الايطالية الشهيرة. وقد استعيض عن الممرات بفسحات تتيح لرواد المتحف التجوال براحة.

اثبتت حشود الزائرين مدى توقهم الى متحف جديد يضم روائع القرن التاسع عشر. فمتحف «جودي بوم» كان يحتوي على روائع الانطباعيين لكنه غير قادر على استقبال أكثر من ثلاثة آلاف زائر في اليوم. أما اورساي فيستقبل اليوم ١٢ الفاً. وعندما افتتح الرئيس فرنسوا ميتران المتحف أكد على أهميته. «كانت هناك حلقة مفقودة بين متحف اللوفر ومركز جورج بومبيدو، لكنها وجدت الآن.»

الانتصار الكبير. إن الفن هو في طبيعته موضوع مثير للغاية ولقد أحاط بافتتاح متحف اورساي جدل كبير. وكتب صحافي امريكي متنياً: «عندما تتجول في متحف اورساي تجد أنه عمل فني قائم في ذاته.» ومن ناحية اخرى، أسفت صحيفة انكليزية لرؤية البهو الرئيسي يشبه نصباً مصرياً قديماً. وتصدر الصفحة الأولى مقال بعنوان «من توت توت الى عنخ آمون.» غير أن الناقد الفني ايفان كريست أوضح وجهة نظر خاصة وافق عليها الجميع وهي «أن متحف اورساي سجل انتصاراً كبيراً على الوندلة، اي التخريب المتعمد.»

توقف العمل في المحطة عام ١٩٣٩ وتقرر تدميرها. لكن الفضل في إنقاذها يعود الى الرئيس الراحل جورج بومبيدو. وعندما قرر خلفه فاليري جيسكار ديستان تحويلها متحفاً صرف الاعتمادات المالية الضرورية للمشروع. ووافق فرنسوا ميتران على مشروع سلفه مضيفاً اليه تعديلات بسيطة.

صورة القرن. تعتبر المحطة جوهر الروعة التي طبعت مطلع القرن العشرين والتي أطلق عليها الفرنسيون إسم «العصر الجميل.»* لواجهتها المبنية بحجر الجير المستخرج من وادي المارن وبرجي الساعة والقناطر التذكارية السبع.

ما إن تلج المتحف من الفناء المطل على شارع بيل شاس، حيث كان المسافرون يحتشدون وتتجول في معرض المنحوتات حيث كانت القطارات تتوقف ـ تفاجأ لتوك بتناقضات تلك الحقبة. ويتجلى بوضوح التناقض القائم وقتها بين الميل الى الفن الكلاسيكي وجرأة الرسامين العباقرة التي لا تصدق. وفي نهاية البهو الكبير تتربع منحوتة «الرقصة» الشهيرة لجان باتسيت كاربو. وقد أتت آية في الرشاقة والخفة على رغم أطنان الحجار الثمانية عشر. ومع ذلك، عندما أزيح الستار عن واجهة مبنى الأوبرا في باريس عام ١٨٦٩، تعرض التمثال لانتقاد شديد ونُعت بالفاسق الذي يثير القرف والمهين للأخلاق العامة. (ابدل بنسخة للنحات بلموندو عام ١٩٦٤ لحماية التمثال الأصلي من التلوث والتآكل.)

ولم يكن حظ تمثال بلزاك الشهير

(*) La Belle Epoque

بـأحسن. فقـد نحتــه رودان وكســاه بمعطف فضفاض وميزه برأس كبير غير متجانس رامزاً بذلك الى قدرات الكاتب الابداعية، مما أثار فضيحة كبيرة عام ١٨٩٨ دفعت بـالمجتمـع الأدبي الـذي فوّض الى رودان تحقيق هذا العمل، الى أن يلغي الطلب فثارت ثائرته. (وضعت النسخة البرونزية على بولفار راسباي في باريس عام ١٩٣٩.)

ازاء هــذه الـروائــع الفنيــة التي ساهمت في صقل الذوق الفني الحديث، تبـدو الاعمــال الفنيــة الســابقــة التي أدهشت معاصريها تافهة بالنسبة الينـا ومن هذه الاعمال منحوتة البرت كارييرِ بيللو «هيبي النائمة» وهي من الرخـام الابيض تمثل شابة يحرسها نسر باسط الجناحين. ومنحوتة ارنست كـريستوف «المهـزلة البشريــة» التي تظهـر عـذراء محتشمة جذلى تتردد في الاختيار بـين قناعين، أحدهما يبتسم والآخـر يبكي. لقـد أهمل التــاريـخ هــذين النحــاتــين ووضعهمـا في خانــة النسيان. غـير أن المتحف الجـديـد تبنى سيـاســة تقضي بتقديم المنحوتات التي لا شك في روعتها مـع غيرهـا من الأعمال الأقـل شأنـاً. وتقول فرنسواز كاشان مديـرة المتحف: «على الجمهور أن يبني آراءه الخاصة.»

كان هدف جاك ريفو الرئيس الأسبق «للجنـة اورساي» حمـل الزائـرين على اكتشــاف الحقبة التي يمثلهـا المتحف. وهـو أشرف على إعــادة بنائـه قبل أن تؤول مهمة إدارته الى الموظفين الحاليين البالغ عددهم ٦٨٠ بينهم خمسة عشر يعملون قيمين. لقد لخص ريفو حديثه: «إن اورساي ليس متحفاً عادياً بل هو نوع جديد من المتاحف.» والى الآن لم يكتشف أحد حقبة مـا بهذا التكـامل. وعندما تجول في غرفة تتعرف الى كـل شيء تقـريبـاً، عن الصحـافة في القـرن الماضي وفن التصويـر أو ولادة الافلام السينمـائية مـع جورج ميلييس ولـوي لوميير. وتـرى أيضـاً زجـاجـاً مصبـوغـاً وآنية وأثاثاً.

ويقول ميشال لاكلوت مديـر متحف اللوفر الذي أطلق أسلوباً جديداً لعرض القطع الفنية في متحف اورســاي: «لقد كـان القرن التـاسع عشر مـزيجـاً من الأساليب والعقائد والحركات الجمالية.» ويمكن الرسم أن يعكس ملاحظاته على نحو أفضل. فعام ١٨٥٥ شاهد الشاعر شارل بودلير لوحة «صيد الأسد» وكتب: «مـا نقلت العيون من قبـل الى الروح ألواناً اكثر جمالاً وقوة.» ترى ما الذي يـربط بين هـذا الانفجار الـواسـع في الألوان وخشبة التلوين الداكنة، ويحدد بالتالي واقعية لوحة «بوريال في اورنان» العملاقة، رائعة غوستاف كوربيـه التي رسمها عام ١٨٥٠ وتتصدر الآن إحدى الغرف؟

نهاية الكـلاسيكية؟ إذا كنـا فعلاً نريد فهم الفورة الفنية في تلـك الحقبة وجوها الملبد أبداً بالفضائح، حري بنا التريث قبل ولادة «اولمبيا»، نتاج ادوارد

مانيه الشهير. لقد استوحى مانيه لوحته هذه من «فينوس اوربينو» لتيتيان، فرسم امرأة مستلقية على أريكة. إلا أنه لم يقدم حورية تقليدية. فشعرها تزينه عقدة قرنفلية اللون، بينما أحاطت أساور بمعصمها وحول عنقها شريط مخملي أسود اللون وانتعلت خفين. والى جانبها خادمها الاسود يسلمها باقة زهر. وقد تعرضت اللوحة لنقد شديد، وقال فيها الناقد بول دي سان فيكتور عام ١٨٦٥: «ان الفن الذي ينزل الى هذا الدرك غير جدير بالنقد.» وحده إميل زولا دافع عن «اولمبيا»، أو لعله أدرك أن هذه اللوحة تضع حداً للتقليد الكلاسيكي. اما مانيه فلم يكترث لما يقال مؤكداً: «يجب أن تحيا عصرك وأن ترسم ما تراه.»

وقد تضيف غالبية الانطباعيين الى مقولة مانيه: «يجب أن ترسم ما تشعر به.» اذ هم كانوا تواقين الى اظهار تأثير الأشياء والضوء. وكانت وجهة نظرهم مخزية جداً مما جعل لجنة معرض الرسم للعام ١٨٦٣ ترفض ٢٥٠٠ لوحة من أصل ٥٠٠٠ قدمت اليها. وقد احتج الفنانون مما أدى الى تنظيم معرض لاحق للرسوم المرفوضة لقي نجاحا باهراً.

إن لوحات اورساي التي جعلت منه المتحف الانطباعي الاكثر شمولاً في العالم، ليست كلها متساوية في النوعية. وجدير بالذكر أن هذا المتحف يضم ٧٢ لوحة لمونيه و٥٧ لرونوار، و٣٧ لسيزان و٢٢ لفان غوغ فضلاً عن لوحات لديغا وبيسارو وغوغان. ولكن لا بأس بذلك. فقد كرّم المتحف الفنانين لجرأتهم وموهبتهم وشهرتهم التي تفانوا في سبيلها، وذلك بتعليقه اللوحات في «الصالة العليا» او الرواق العلوي في المحطة القديمة. فهنا على امتداد الزجاج المترامي تلتقط اللوحات الضوء الطبيعي الضارب الى الرمادي الذي يميز باريس.

على المرء فقط أن ينظر من خلال نوافذ الدور العلوي الضخمة أو أن يجوب المصطبة في الصيف ليرى بعض الأمكنة التي ألهمت هؤلاء الرسامين. وبما أن فكرة إنشاء متحف هي، بحسب تعبير المؤرخ الفرنسي جورج دوبي «وضع النتاج في سياق ثقافي يظهر معناه الكامل،» فبات المرء يرى في النهاية أن اختيار محطة سكك حديد لعرض هذه اللوحات الشهيرة لفكرة مثلى.

جان - ماري جافرون ■

مسافر مرعوب

أنا وكيل سفر. واذكر يوم دخل مكتبي زبون كان سيسافر بالطائرة للمرة الأولى، فحياني بعصبية ظاهرة وناولني بطاقة سفره. وبعد تثبيت الحجز سألته: «هل تفضّل مقعداً قرب النافذة أم واحداً قرب الممشى؟»

أجاب الرجل: «لست أبالي، فسأكون منبطحاً على أرض الطائرة.»

س.ك.

المخدرات ومدمنوها



١

حثالة المجتمع

أنا شرطي سرّي لمكافحة المخدّرات، وهذه مهمّتي الأولى خارج معهد الشرطة في نيوارك بولاية نيوجرزي. في ذلك الحين كان وباء تعاطي المخدرات مقتصراً تقريباً على الاحياء الداخلية في المدينة، المبتلاة بالفقر والخراب. وكان من عادتي أن اقبع في ركن شارعَيْ «برود» و «ماركت»، متربِّصاً بباعة الهيرويين ومحاولاً تطويع مخبرين. وكنت احني رأسي نعاساً وأمسك أنفي كما لو كان يسيل واحاكي تلهُّف مدمنٍ يَنشُد «شمَّة».

في احدى الامسيات توجّه صوبي احد رفاقي في الثانوية وتعمّد التحديق بي ثم هتف: «هوبرت وليامز!. انت هامشي رديء، يجدر بي أن أُخمد أنفاسك.»

لم يكن في وسعي أن أكشف عن مقاصدي باطلاعه على وظيفتي الامنية، ولذا غمغمت ما معناه: «أنّ على المرء أن يتبع اهواءه ورغبات قلبه.» لكنني شعرت بالخزي الذي ينبغي للمدمنين الحقيقيين أن يُحسّوه.

لا ريب أن تعاطي المخدرات يطاول منذ وقت طويل كل مستويات المجتمع في الولايات المتحدة. في بداية الستينات من هذا القرن لم يخطر لي أنّ أمراً كهذا ممكن الحدوث، بل اعتقدت أن اهتمام الشرطة كفيل بان يضبط تجارة المخدرات.

لكنني تعلمتُ مع الايام ـ واظن أن

معظم زملائي من منفذي القانون توصلوا إلى مثل قناعتي - أن الشرطة محدودة الامكانات. فنحن نستطيع إلى حد ما أن نعطّل عرضَ المخدرات وبيعها. ولكن ما لم تتغيّر المواقف منها وينخفض الطلب عليها ستظل جائحة متواصلة.

من هم؟ إذا كان لنا أن نتقدّم في حربنا ضد المخدرات ينبغي للجمهور أن يعي بوضوح مَنْ هم المدمنون. انهم البلاء. متشردون هامشيون هم، أكانوا من المدمنين المتلطين في مداخل البنايات أم من المتطرّزين «الشاميّن» في نهاية الاسبوع أم من هواة «التسلطن» مرة في الشهر. وانه لمن الاهمية بمكان أن يدرك مستهلكو المخدرات من أصحاب المراكز المرموقة في المجتمع - كالاطباء والمحامين والكتّاب والابطال الرياضيين والمغنّين وغيرهم من رموز النجاح في أعين الشباب - أنهم هم أيضاً متبطّلون، وأن يعوا الضرر الذي يُحدثونه لعائلاتهم ومجتمعاتهم ووطنهم عندما يتعاطون المخدّرات.

فالمدمنون يوهنون الاقتصاد من جرّاء تغيّبهم المتكرّر عن العمل وادائهم الرديء فيه وتأثر قراراتهم بالمخدّر. وهم خطر على الغير في الطرق العامة، وينشرون المرض عبر إبر المحاقن المشتركة.

ليس لمدمني المخدرات عزة نفس، وإلا لما اختلطوا بالمجرمين، وهو ما يفعلونه كلما ابتاعوا مخدراً. فمع كل عملية شراء من هذا الصنف يساهم الطبيب أو عامل المصنع أو مدبِّرة المنزل أو الطالب، مثله في ذلك مثل مدمني الشوارع، في مؤامرة مجرمة. والمال الذي ينفقه متعاطو المخدرات على اقتنائها، لا سيما الكوكايين، ينتهي غالباً في ايدي مسؤولين فاسدين داخل الوطن وخارجه.

أذاً، ماذا يتعيّن على الباقين منا أن يفعلوا؟

علينا إعادة تأهيل المدمنين، وخصوصاً الشباب. فالشفقة تتطلّب ذلك.

أما مصنّعو المخدرات ومروِّجوها فيجب أن نعاملهم بصرامة، جادِّين في شروط توقيفهم وسجنهم.

لا حياد. ليس ثمة متّسع للحياد، إذا تجاوزنا تصوير تعاطي المخدرات على نحو رومانتيكي في عالم خاص بالاثرياء واهل المجتمع الراقي والمقتدرين. فمتعاطو المخدرات، مهما يكن شأنهم، هم هامشيون ويجب وصمهم بالعار.

ويتعين علينا أن نُظهر لهم من الغضب ما أظهره رفيق صفي حيال المدمن الذي ظن أنه رآه في ركن شارعي «برود» و«ماركت».

هوبرت وليامز■

الكاتب هو رئيس «مؤسسة الشرطة» في الولايات المتحدة وكان مديراً للشرطة في نيوارك طوال ١١ عاماً.



٢

وَعد الحيّة

مثّلت في افلام هوليوود ادواراً عدة للهندي الامريكي: المحارب والطبيب والانسان العادي والزعيم. وكنت في الحملة الاعلانية التلفزيونية «حافظوا على جمال امريكا» هندياً ينساق وحيداً في زورق. وإذ عاينتُ مياه امريكا، كيف صارت ملوَّثةً، تدحرجتْ دمعة وحيدة على وجنتي تروي القصة بدقائقها. والآن عندي قصة اخرى أرويها، وهي اسطورة سمعتها في صباي.

قبل سنوات كان المحاربون الهنود يدأبون على التوغُّل في القفر استعداداً لسنّ الرجولة. احدهم تنزه في وادٍ جميل، اشجاره خضر وازهاره متألِّقة. وإذ نظر من هناك إلى الجبال المحيطة بالمكان لاحظ قمة جرداء تغمرها الثلوج الباهرة.

فكّر في نفسه: «سأمتحن نفسي ضد هذا الجبل.» ارتدى قميصه المقدود من جلد الحيوان ورمى دثارَه فوق كتفيه وبدأ رحلة التسلق نحو الذروة.

عندما بلغها وقف على حافة العالم. كان في وسعه أن يرى أقاصي الدنيا. وأفعم قلبُه اعتداداً بالنفس. ثم سمع فحيحاً عند قدميه، فخفض بصره وأبصر حية، وقبل أن يستطيع حراكاً تكلمت الحية: «أنا مشرفة على الموت. فهذا المرتفع شديد البرد وليس فيه طعام. ضعني تحت قميصك وأنزلني إلى الوادي.»

أجاب الفتى: «كلا. أنا أعرف الحيّات المجلجلة على شاكلتك. إذا التقطتك تلدغينني ولدغتك ستقتلني.» قالت الحية: «ليس الامر كذلك. سأعاملك على نحو مختلف. لن أؤذيك في مقابل صنيعك.»

قاوم الفتى هنيهة، لكنّ الحية كانت شديدة الإقناع. أخيراً دسّها الغِرّ تحت قميصه ونزل بها إلى الوادي حيث القاها على الارض برفق.

فجأة التفّتوأنشبت أنيابهافي ساقه.

صرخ الفتى: «لكنكِ وعدتِني!»

أجابت الحية وهي تنساب بعيداً: «كنتَ تعرفني على حقيقتي عندما التقطتَني.»

والآن، انّى ذهبتُ اروي هذه القصة على الشباب والشابات الذين قد تراودهم حيّة المخدرات. تذكروا كلماتها: «كنت تعرف حقيقتي عندما التقطتَني.»

ايرون آيزكودي ■



مستكشف

كتب روبرت بالارد عالِم المحيطات الذي كشف موقع السفينة الغريق «تيتانيك»: أنا مستكشف في جلد عالِم. واذا بذل المرء قُصاراه في تقصي حقيقة ما فلسوف يتعلم أموراً كثيرة. أنا أحب أن أنشُد الأشياء، ونشدان الحقيقة أمر نبيل.

كذلك أعتقد أن الحقائق حتمية. فلو لم تسقط التفاحة على رأس نيوتن لسقطت على رأس شخص آخر في وقت لاحق. وما يفعله العالِم هو تعجيل حدث لا بد أن يحدث يوماً على نحو سوي. إنه حفّاز الحقيقة.

طُرح علي السؤال: «ماذا ترغب في أن يُكتب على شاهدة قبرك؟»

«مستكشف.» هذا ما أريده.

ش.ب.

لياقة يابانية

بلغَنا أن احدى الشخصيات الرسمية اليابانية ستزور المصنع حيث أعمل طبيباً في غرفة الاسعافات الأوليّة. وصباح اليوم المنتظر شرح لنا مدير العلاقات العامة في المصنع اهمية الانحناءة كعلامة احترام عند اليابانيين. وهكذا، عندما دخل على صاحب المقام الرفيع وانحنى، خفضت قامتي كثيراً. فابتسم، وانثنى أكثر موجهاً اصبعه الى الحضيض. فانحنيت حتى كدت الامس الارض. فظل يبتسم وهو ينحني من جديد مشيراً الى الأرض. وإذ شككت في أن ما أفعله خطأ، احدودبت بمقدار ما سمح جذعي. حينئذ همس مدير العلاقات العامة: «تستطيع التوقُّف الآن. هو يريدك أن تفحص اصبع قدمه التي صدمها بطاولة قبل لحظات.»

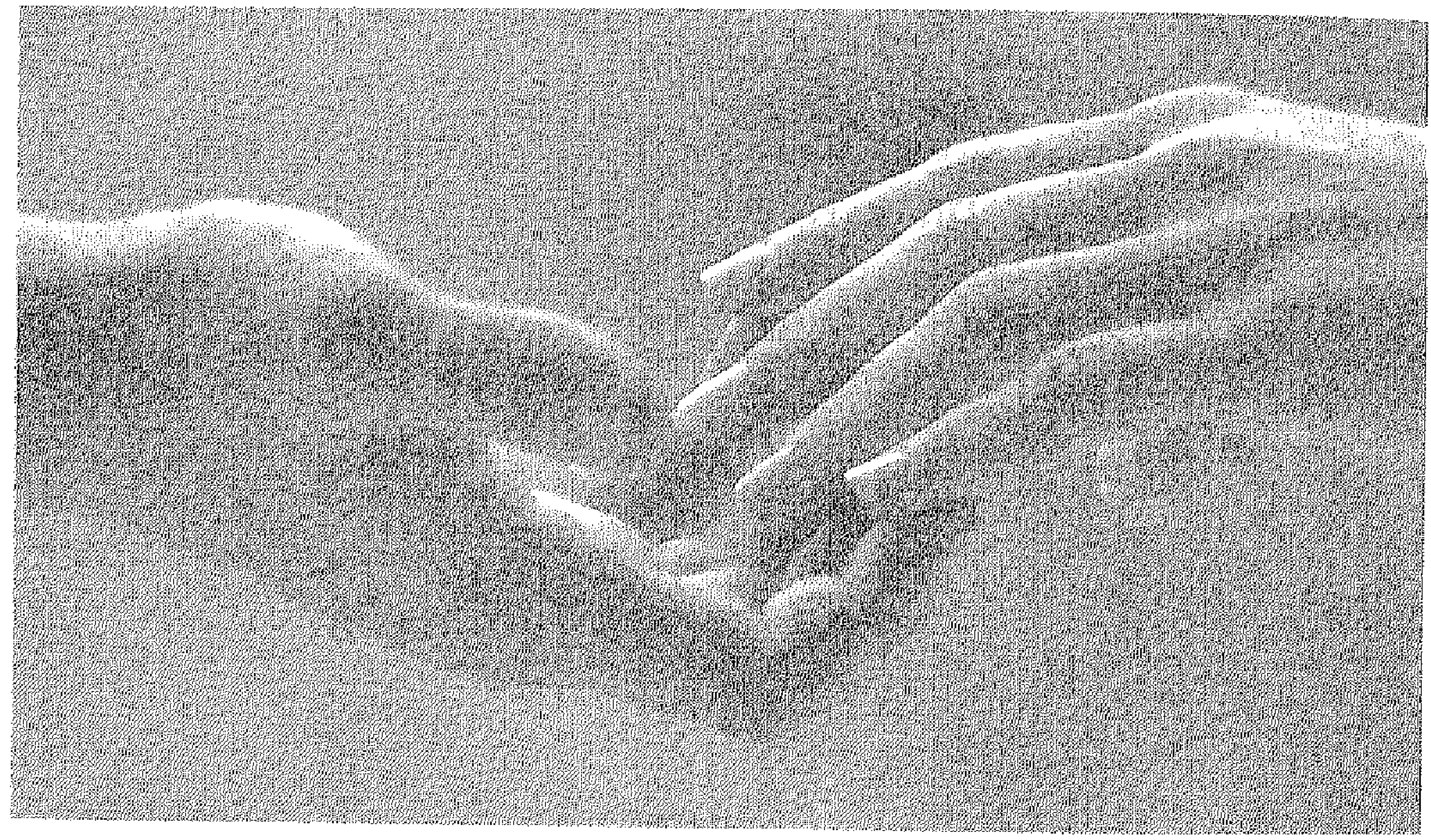
ب.د.ج.



اليد تبارك وتشفي وتحمي

كتب توماس تراهيرن في القرن السابع عشر ان في الإمكان استخدام اليدين لعمل اي شيء يمليه عليك عقلك او يوحيه تصورك.

ان اليد البشرية تتفوق على روائع التكنولوجيا الحديثة. وكونها متطورة من ناحية النشوء والتقدم، من الزّعنفة والجناح، فهي في المقابل متعددة الوظائف ودقيقة الأداء الى ابعد الحدود. فالإنسان الأول كان لكل من يديه إبهامان متقابلتان تمكنانه من صنع



أسلحة للصيد ومن ثم محارث للفلاحة. وعندما أحسن الانسان، بذكائه، استخدام تلك الأيدي الماهرة، انطلق في معارج الرقي والتقدم وصولاً الى ارتياد القمر.

كتب المفكر الفرنسي مونتنْي قبل ٤٠٠ عام: «انظروا الى الأيدي كيف تعد وتستوحي وتلتمس وتهدد وتصلي

وتتضرع وترفض وتومىء وتستجوب وتعجب وتعترف وتخنع وتعلّم وتأمر وتهزأ، والى ما هنالك من تغيرات على تعددها واختلاف في اشكالها مما يثير اللسان حسداً.»

والناس لا يلجأون الى اليدين لتأكيد كلامهم وتجميله فحسب، بل هم قد يستعيضون بهما عن الكلام في جبه ازمة ما. ان اليدين تتكلمان لغة عالمية. فقبائل الهنود الحمر في امريكا الشمالية كانوا يتخاطبون بالاشارات المعقدة متخطين حواجز اللغة. ويستخدم السياح العصريون ايديهم كذلك في البلدان التي يجهلون لغتها، للاستعلام والاسترشاد.

البصمة والهوية. تشتمل الأيدي على اربعة سطوح: ظهري (القفا)، اخمصي (الراحة)، اشعاعي (جهة الابهام) وزنديّ (جهة البنصر). ان قفا اليد ليست بذات اهمية إنما راحتها فمدهشة. ولا تجد يدين متطابقتين حتى لدى الشخص ذاته. فخطوط الكفّ وثنيات بصمات الأصابع متميزة الى حد الاستعانة بها لإثبات الهوية منذ آلاف السنين.

ان الأضلع في البصمة شبيهة بخطوط اطارات المطاط النافرة التي تساعد على الإمساك المتين. وكان أرسطو يعتقد ان خطوط اليد تنبىء بطول العمر. وقراءة الكف التي تدل عليها نظريته، كانت معروفة قبله. وكان الصوفيّون الصينيون «يقرأون» الكف منذ ٣ آلاف سنة كما تُقرأ خرائط الطرق. ومن حينه والمتحمسون لهذه الفكرة يقرأون «خط القدر» الذي يشير في اتجاه الوسطى و«خط الحياة» او تجعّد العضل الذي يطوّق قاعدة الأبهام. وتتفاوت درجات الدقة في هذه القراءات.

ونظرا الى كون راحة اليد حيوية من اجل البقاء، فهي مجهّزة، شأنها شأن باطن القدم، بمدد وافر من الأعصاب التي ترسل إنذارات مثيرة الى الدماغ حين تتهدد سلامة سطحها النار او اشياء حادة.

وراحة اليد وباطن القدم يملكان كلاهما عدداً كبيراً من غدد العَرق التي تنكمش في الطقس البارد وتتمدد في حالتي الحمى أو الذعر. ومع ذلك فإن جلد الراحة وباطن القدم هما اكثر جفافاً من نواحٍ اخرى من الجسم لأن الزَلَق في تلك الأماكن لن يكون مستحباً.

وتغطي باطن القدمين وراحة اليدين طبقات اضافية من الجلد لوقايتهما من الاحتكاك الزائد الذي قد تتعرضان له. ففيما تبلغ ثخانة الجلد في غير مكان من الجسم نصف مليمتر تقريباً فإن ثخانة جلد باطن القدمين وراحة اليدين قد تصل، على التوالي، الى مليمترين وخمسة مليمترات.

مفارقات. ان الحالات الشاذة في اليدين عند الولادة نادرة لحسن الحظ.

وقد يولد، بين وقت وآخر، طفل اضطرب نموه وهو جنين فجاء بعدد مختلف من الأصابع، أو بأصابع وأباهم ذات أحجام غير طبيعية. ويميل الجراحون الى اعادة تركيب اليد، خصوصاً في هذا الوقت الذي أدّى تفجّر المعرفة الى طرق تقنية تؤول الى إعادة زرع الأصابع وتركيبها من جديد.

ان الأصابع الأربع لها اسماء صريحة: السبّابة، الوسطى، الخنصر والبنصر. فالإبهام التي تؤدي ٤٠ في المئة من اعمال اليدين، تستحق تقديرا اكبر مما تناله. فبغياب الابهام تعجز اليد عن الإمساك. والقدرة على الإمساك بأشياء صغيرة ودقيقة هي التي تعطي العالم الجراحين المجهريين والفنانين.

جرت مئات المحاولات لتصنيف اليدين وفقاً للشكل ولكنها باءت بالفشل الذريع. فقارئو الكف، وهم جماعة رومانسية يؤكدون غالباً أن اليدين تعكسان الشخصية. فهناك مثلا شكل يوصف بأنه «بدائي» يدل على اناس خشنين ورياضيين، والشكل الموصوف بـ «المحرك» يدل على الذكاء، والشكل «الحسّاس» يدل على ان الشخص حالم يعيش في دنيا الخيال، والشكل «النفسي» يدل على ان الشخص ذو ادراك حيّ يستجيب للمؤثرات الروحية أو الخارقة للطبيعة. ومن المفارقات انه كانت لعازف البيانو الروسي الشهير أنطوان روبنشتاين يدا حفّار خنادق.

وتمثل الأيدي دوراً مهماً في الطقوس الدينية عموماً. وهي مهمة كذلك في الشفاء من الأمراض. فهي تواسي المرضى وتخفف آلامهم. والناس، في كل مكان، يصفقون ايديهم حين ينزل بهم حيف.

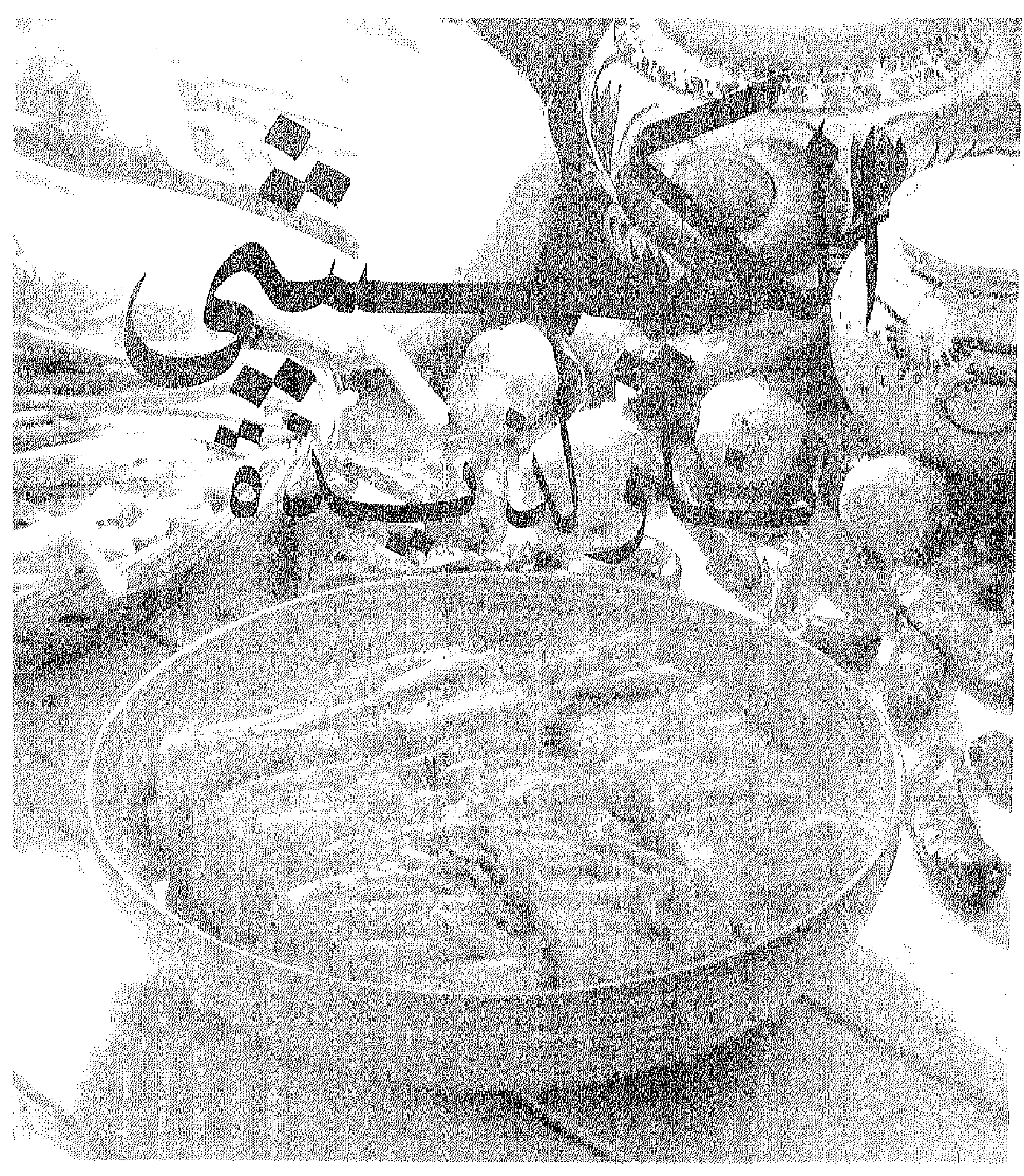
والأيدي يصيبها التلف. فتلك التي يفرّط في استخدامها يربو لديها كَنَب يحميها. فلاعبو الغولف والعمال مثلا يربو لهم كَنَب على راحة اكفّهم، والصّاغة وحفّارو الكليشيهات والخشب يظهر كنب على أباهمهم والبناؤون على سبّاباتهم والأطباء على الوسطى والخياطون على ابهام اليد التي تقبض على المقص وعازفو الكمان على رؤوس اصابعهم. وبراجم الأصابع قد تتأذى بفعل العمل الشاق المتكرر شأن الضاربين على الآلة الكاتبة. وفيما تهرم اليدان تتضاءل براعتهما ودقتهما ويذوب الدهن فتنكشف العروق.

ومهما يكن من امر فإن الأيدي تظل فائقة الأهمية في شتّى نواحي الحياة.

جون كولوود ■

السياسي هو مَن يصنع أمواجاً ثم يجعلك تظن أنه الوحيد الذي يمكنه ان يقود السفينة الى شاطىء الأمان.

إ.ب.



طبق كوري تقليدي يهواه الناس في أنحاء العالم

«يستطيع الرجل أن يعيش من دون زوجة، ولكن ليس من دون كيمشي.» ظل هذا المثل الكوري القديم طوال قرون يعبر عن حقيقة هذا الطبق «الناري» التقليدي. ان الوجبة الجيدة بالنسبة الى الكوريين تعني طاساً من الرز وطبقاً من الكيمشي. وعلى رغم أن الطعام صار أغنى وأكثر تنوعاً في جنوب البلاد فإن الكوريين هناك لا يشعرون بالاكتفاء إلا إذا تضمنت وجبتهم نوعاً واحداً على الأقل من الخضر المخللة المختمرة الحرّيفة الكثيرة التوابل.

وثمة أجانب كثيرون يذوقون هذا الطعام الشهي المعتمد أساساً على

PHOTOS: COURTSEY OF DOOSAN FARMS COMPANY

الملفوف، ويؤخذون بمفاتنه الفريدة. لقد عرّفت الألعاب الأولمبية التي أجريت في سيول عام ١٩٨٨ مشاهدي التلفزة في العالم الى التراث الكوري، كما عرّفت عشرات الألوف من الأجانب الذين أمّوا سيول لمشاهدة الألعاب، الى مذاق الكيمشي. يقول جي هو لي رئيس الطهاة في فندق «لوت» المزدحم في سيول: «بادىء الأمر ذاقوا الكيمشي بدافع الفضول، وسرعان ما أصبحت لديهم رغبة حقيقية في تناوله. وازداد استهلاك الكيمشي يوماً بعد يوم.»

وفي فندق «شيلا» الفخم الذي كان مقراً للجنة الدولية للألعاب الأولمبية، بيعت علب الكيمشي من زنة الكيلوغرام الواحد بـ ١٤ دولاراً أي بأضعاف سعره في السوق المحلية. يقول جي هو لي: «كان السياح اليابانيون يطلبون لف علب الكيمشي بورق الهدايا.»

شتوي وموسمي. ان نكهة الكيمشي الحادة ورائحة الثوم المنبعثة من أنفاس آكليه تحيران الذين يزورون كوريا للمرة الأولى. وفي تقرير للاذاعة البريطانية عن البلد قال المراسل انه لم يستطع فهم اسباب تناول الناس طعاماً كهذا. ولكن حتى الذين يمقتون الرائحة بادىء الأمر يؤخذون بطعمه. مايك براين مراسل «الواشنطن تايمز» في سيول يشبه أكل الكيمشي بالتدخين ـ الا أنه صحي أكثر. ويضيف: «حين تدخن لا تزعجك رائحتك. وهكذا هو الامر مع الكيمشي.»

جميع الخضر الكورية المخللة تسمى «كيمشي»، وهناك أكثر من ١٧٩ نوعاً مختلفاً بحسب دراسة حديثة. ولكن يمكن تصنيف جميع أنواع الكيمشي في فئتين: الشتوي والموسمي.

أما الشتوي، المصنوع من الملفوف الناضج، فيؤكل خلال فصل الشتاء وأوائل فصل الربيع. وأما الكيمشي الموسمي، المصنوع من الخضر المتوافرة بكثرة في الربيع والصيف وأوائل الخريف، فان مدة صلاحيته أقصر من الشتوي. في الربيع يتمتع الناس بالـ «هايت كيمشي» وهو نوع خفيف وطازج يصنع من الملفوف الطري. والأنواع المصنوعة من شرائح الفجل الهشة والخيار المحشو والفجل الأحمر الصغير تلقى رواجاً في فصل الصيف الحار. والكيمشي المعروف بـ «ذيل المهر» يؤكل في الخريف ويصنع من الفجل الأبيض المخلل مع أوراقه.

وصادرات الكيمشي، وخصوصاً الشتوي منها، في ازدهار مستمر. وفي إحصاءات «الجمعية التعاونية لصناعة الأطعمة المخللة والمنكهة» أن كوريا الجنوبية صدرت عام ١٩٨٨ ٥,١٧ ملايين كيلوغرام بقيمة تزيد على ١١ مليون دولار، بالمقارنة مع ٧٩٩ ألف كيلوغرام صدرت عام ١٩٨٥ بقيمة ٨٦٧ ألف دولار. ويذهب معظم الصادرات الى اليابان والشرق الأوسط حيث تؤمن الجاليات الكورية الكبيرة سوقاً جاهزة لتصريفها.


كيمشي الفجل الابيض الماوي

تحضير الكيمشي. من المفارقات أن اليابان تسبق كوريا بأشواط في صادرات الكيمشي. فثمة ٤٠٠ مصنع كيمشي في اليابان، يقابلها نحو ١٣٥ مصنعاً في كوريا الجنوبية. ونظراً الى ضخامة صادرات الكيمشي اليابانية الى دول جنوب شرق آسيا فإن بعض الناس هناك يعتقدون أن هذا الطبق الوطني الكوري الشهير هو ياباني أصيل.

قد يتغير كل ذلك. ويرى مون هيانغ لي من شركة «مزارع دوسان» أحد أكبر مراكز انتاج الكيمشي في كوريا الجنوبية، أن المبيعات الخارجية تزداد بسرعة أكبر من المبيعات المحلية. ويضيف: «اعتقدنا أن الطلب المحلي للكيمشي التجاري سيكون ضخماً، لكنه جاء دون توقعاتنا. ان الطلب الأجنبي هو الذي ينمو باستمرار.»

هذا لا يعني أن الكوريين توقفوا عن أكل الكيمشي. وفي حين تتوافر في أسواق كوريا الجنوبية أنواع عدة جاهزة من الكيمشي فإن معظم العائلات تتابع صنعه منزلياً. ولكل مقاطعة وقرية وعائلة وصفة خاصة لصنعه. ولا تدون الوصفات عادة بل تنقل من جيل الى جيل. وتتولى النسوة عملية التخليل. ويُحكم على مهارة ربة البيت ومقدرتها استناداً الى طعم الكيمشي الذي تصنعه.

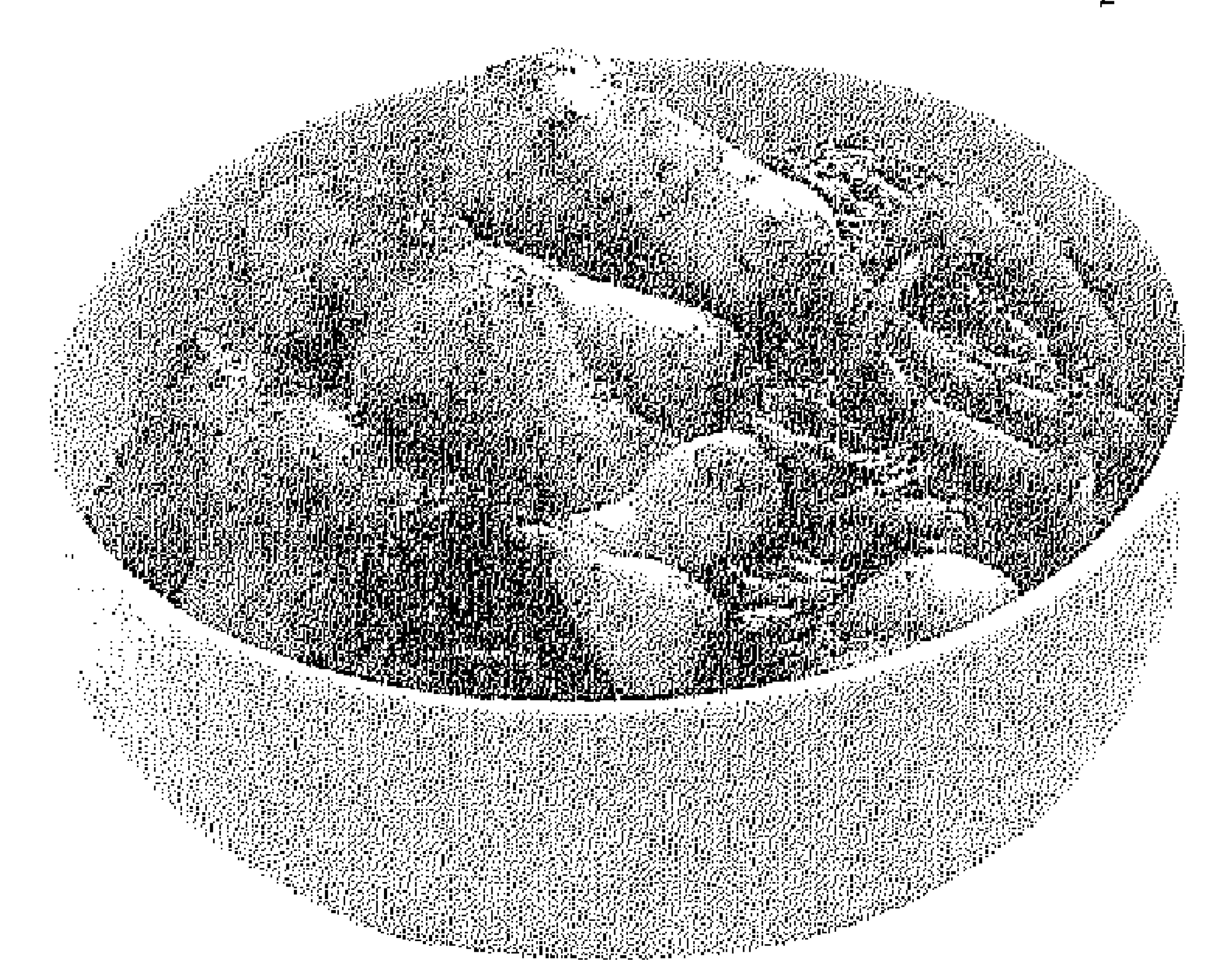
قبل عشر سنين كانت الزوجة تخجل اذا شوهدت تبتاع الكيمشي عوض صنعه. أما الآن وقد ازداد عدد النسوة العاملات والعائلات التي تقيم في شقق ضيقة في المدينة، فان هذه المعتقدات آخذة في الزوال. وعلى رغم ذلك يبقى صنع الكيمشي حدثاً مهماً في كثير من البيوت، حتى في العاصمة سيول ذات الطابع المديني الواضح.

يبدأ صنع الكيمشي الشتوي في أواخر الخريف عندما تتكوم أكداس الملفوف المقطوف والفجل الأبيض في كل زاوية خالية. تتجمع النساء مع الصديقات والجارات والقريبات بغية تحضير الكيمشي لتلك الأوقات من السنة حين تندر الخضر الطازجة وترتفع أسعارها وبتقاسم العمل الصعب تحوّل النسوة هذه المهمة احتفالاً عائلياً.

باديء الأمر يغسلن عشرات الملفوفات ويملحنها ويشطفنها بالماء البارد. ثم يحشون ما بين الأوراق خليطاً غنياً بالتوابل مؤلفاً من شرائح الفجل والفلفل الأحمر المسحوق والبصل الأخضر المفروم والكثير من الثوم. وقد يتضمن الكيمشي المميز بعض العناصر الغالية الثمن مثل شرائح السمك المخمّر والقريدس (الجمبري) والمحار والفواكه

والكستناء. بعد ذلك توضع الملفوفات المحضرة في راقود، وهو وعاء ضخم من طين يستعمل للتخمير، يدفن في التراب حتى سدّته لمنع التجلد.

ان عملية التخمير التي تبدأ عندئذ هي أساس ديمومة الكيمشي ونكهاته المعقدة ومحتواه الغني بالفيتامين. وقد اكتشف العلماء الكوريون أنه عندما يصل الحمض اللبني الناتج من التخمير الى مستواه الأقصى، يكون الكيمشي في أوجه المذاقي والغذائي. أما الكيمشي الذي لا يعطى الوقت اللازم للتخمر فيكون طعمه حاداً. والكيمشي الذي يمضي عليه وقت طويل يصبح مراً.



كيمشي «ذيل المهر»

الكيمشي قليل الوحدات الحرارية (كالوري) وهو يحتوي على فيتامينات عدة مثل الكاروتين و«ب١» و«ب٢» و«ب١٢» و«ج» والنياسين. وإذا أضيف اليه السمك المملح وثمار البحر الطازجة فإنه يوفر البروتيين والمعادن الاساسية مثل الكلسيوم والحديد. وتساعد ألياف الملفوف والفجل عملية الهضم.

«يانغ» و«ين». قبل أن يشيع حديث الفيتامينات بوقت طويل، اكتشف الكوريون أن الكيمشي طعام صحي. وكان أحد تحذيرات الأهل لأولادهم: «إذا لم تأكل الكيمشي فلن تصبح راشداً.»

وأشهر الأساطير الكورية تمنح الثوم مكانة مميزة. والثوم أحد مقومات الكيمشي الأساسية. تقول الرواية ان نمراً ودباً اقتربا من ابن ملك وسألاه هل يسعهما التحول بشريَّين. فقدّم ابن الملك الى كل منهما باقة من «حبق الراعي» وعشرين فصاً من الثوم، وقال لهما: «تناولا هذا الطعام واحتجبا عن نور الشمس مئة يوم، تتحولا بعدها بشريين.»

دخل الاثنان مغارة مظلمة. الا أن النمر لم يستطع تحمل هذا الغذاء وتلك الظلمة فتبرّم ثم خرج. اما الدب فلبث بصبر وأكل كل الثوم والحبق. وبعد انقضاء مئة يوم خرج من المغارة امرأة جميلة تزوجها ابن الملك. ويُزعم أن ابنهما تانجان أسس كوريا قبل ٤٠٠٠ سنة وما زال يُحتفل بذكره.

في أرجاء شرق آسيا تقبَّل الناس الاعتقاد الصيني بقوَّتين متناقضتين: قوة الـ «يانغ» أو الذكر المتمثلة في الشمس والنور والدفع والنمو، وقوة الـ «ين» أو الأنثى المتمثلة في القمر والظلمة والتقهقر والاضمحلال. ويقال ان الكيمشي يظهر تناغماً بين اليانغ والين. الملفوف والفجل هما الين، والفلفل

الاحمر والثوم هما اليانع، والتوازن بينهما يجعل الكيمشي طعاماً صحياً.

أول اشارة في التاريخ الى الكيمشي وردت في كتاب صيني يعود الى ١٨٠٠ سنة جاء فيه أن الكوريين ماهرون في حفظ الخضر بتخليلها. وفي القرن الثاني عشر بدأ الدارسون الكوريون يكتبون عن العمليات المعقدة لتحضير الكيمشي.

ومن المدهش أن الفلفل الأحمر الملازم لهذا الطعام هو اضافة حديثة العهد نسبياً. وتختلف المصادر في طريقة وصول هذا التابل الى كوريا. ويرجح أن بهار «العالم الجديد» وصل الى آسيا مع التجار البرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر.

متحف الكيمشي. نظراً الى أهمية الكيمشي في حياة الكوريين صار له متحف خاص في سوق «هيونداي» تحت سطح الأرض في مدينة سيول. ويكرس المتحف لتاريخ هذا الطعام الفريد وتقاليده. أسسه هون سوك لي وهو عالم متحمس للكيمشي، بدعم من شركة «بولوون» للمواد الغذائية. وكان في شبابه سحر بالكيمشي وجمع عدداً من الكتب القديمة حول هذا الموضوع. يقول: «عصارة الكيمشي هي دم كوريا.»

ويعرض المتحف ٥٠ كتاباً قديماً عن الكيمشي وأكثر من ١٠٠ وعاء خشبي وحجري، يعود بعضها الى مئات السنين، كانت تستعمل لصنع هذا الطعام وحفظه. كما يعرض نماذج شمعية تظهر الكيمشي عبر العصور، وبعضاً من الأصناف المحلية. وتلقى في المتحف محاضرات عن عملية تحضير الكيمشي. لكن الجزء الأهم في المتحف هو المطبخ والمطعم حيث يمارس فن تحضير الكيمشي يومياً. ويستقبل المتحف قرابة ٣٠٠٠ زائر شهرياً، يختم كثيرون منهم زيارتهم في المطعم.

ان ادمان الكيمشي ظاهرة تحير حتى الكوريين عندما يكتشفون أن الأجانب المقيمين في كوريا يعتبرونه هم أيضاً جزءاً اساسياً من طعامهم. ولا تخفي سوزان اموس، الطالبة البريطانية في سيول، حبها الكيمشي. تقول متذكرة: «عندما ذقته للمرة الأولى شعرت كأن لساني يحترق. ولكن بعد سنة ونصف سنة اختلف الأمر. وعندما أشعر بالجوع فإن أول ما يخطر في بالي هو طبق من الكيمشي. انه كالسحر.»

يو هي بارك ■

الجذور

وُلدتُ لامرأة ما عرفتها قط، وترعرعت مع اخرى تُؤوي الايتام. لست أعلم شيئاً عن جذوري الاجتماعية وسليلتي وارثي البيولوجي والثقافي. لكني عندما التقي أشخاصاً للمرة الأولى أعاملهم باحترام، فربما كانوا من انسبائي.

جايمس ميتشنر، كاتب امريكي

الضحك خير دواء

طعم!

كنت واقفاً أمام احد محلات الألبسة النسائية، فلاحظت شاباً تنمّ عيناه عن نفاد صبره، يقترب من امرأة جذّابة جدًا ويسألها: «هلا تكرّمتِ بالتحدث اليّ لحظات معدودة؟»
فردت مرتابة: «لماذا؟»
فشرح لها: «دخلتْ زوجتي هذا المحل قبل وقت طويل. لكني أعرف أنها ستخرج حالاً اذا لمحتني أكلمك.»
وفعلاً، شاهدتُ زوجته توافيه على الفور.

إ.ك

هل سالم هنا؟

كانت فتاة تكتب فرضها المدرسي، فسألت والدها عن الفرق بين الغضب والسخط. فاتجه هذا الى الهاتف وأدار قرصه وناول ابنته السماعة الاضافية.
فردّ رجل على الخط الآخر، فسأله الأب: «هالو، هل سالم هنا؟»
جاء الجواب: «ليس من سالم هنا. لماذا لا تتحقق من الرقم قبل ان تطلب المكالمة؟» وأقفل الخط.
طلب الأب الرقم عينه وسأل: «هالو، هل سالم هنا؟»
فهدر الرجل: «عجباً! إسمع يا هذا، اخبرتك أن لا وجود لسالم هنا!»
شرح الرجل لابنته: «هل سمعتِ؟ هذا كان غضباً. والآن سأريك ما هو السخط.»
وطلب الرقم ذاته من جديد فسُمع صوت يزأر: «هالو !»
فقال الأب بهدوء: «هالو، هنا سالم، هل اتصل بي أحد؟»

ب.ف.

زيادة راتب

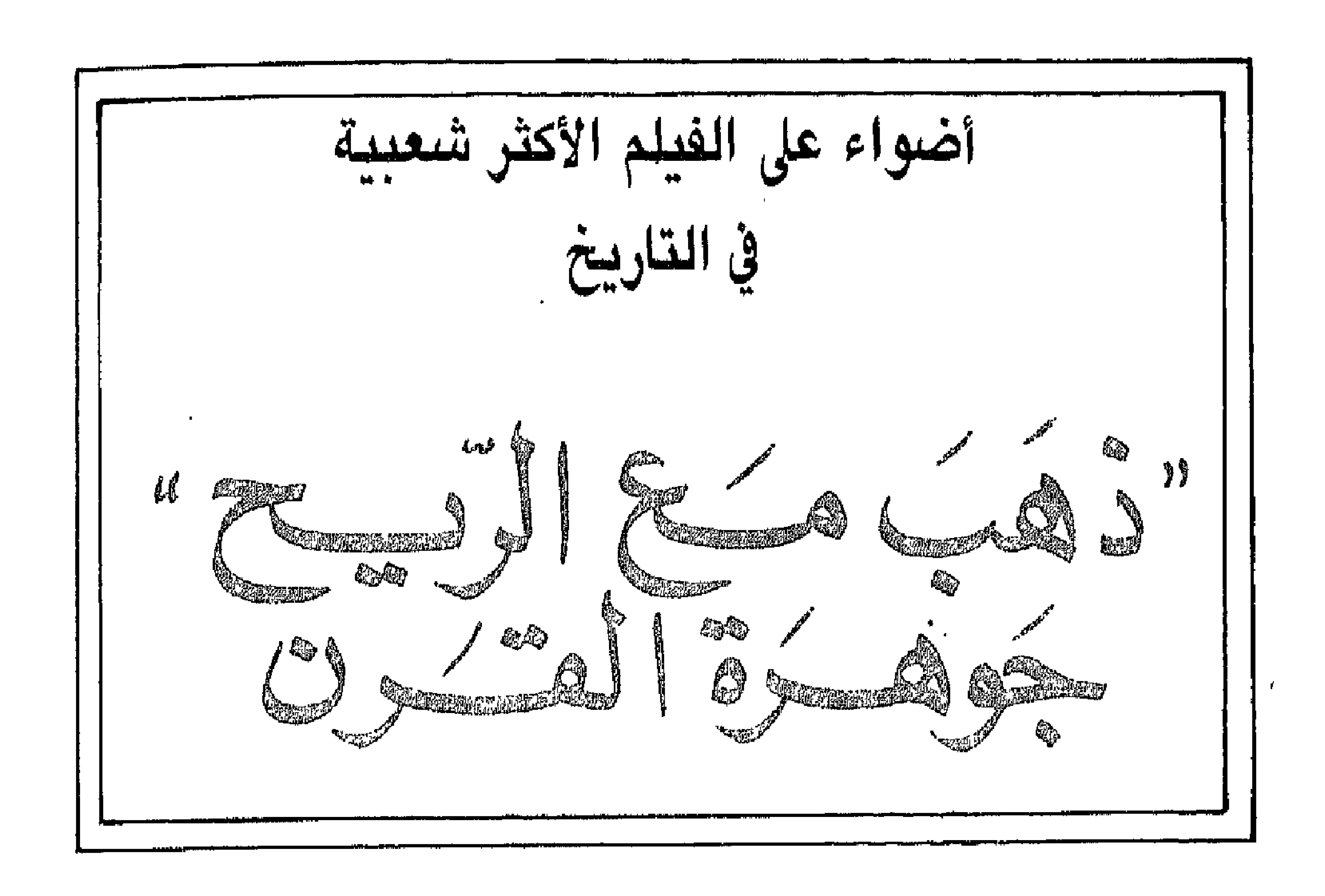
قال رب العمل للموظف: «انّي افكّر في زيادة راتبك؟»
فسأله الموظف: «ومتى تستحق الزيادة؟»
فرد رب العمل: «عندما تستحقها انت.»

د.ف.

«ثقوب»

اعتذر طبيب الأسنان من مريض اتصل به هاتفياً: «آسف، لا أستطيع اعطاء اي موعد آخر اليوم، إذ امامي ١٨ ثقباً عليّ أن أسدّها.»
قال هذا وأقفل الخط، ثم امسك بجعبة الغولف وغادر العيادة.

ث.د.ب.



شاهدت فيلم «ذهب مع الريح»[١] للمرة الأولى أيام الحرب العالمية الثانية. وكان أبي وأمي شاهداه من قبل، وكم استمعت واخوتي اليهما وهما يفيضان في الحديث عنه وكنا لا نزال صغاراً. ولما كبرنا وبتنا قادرين على مشاهدته ذهب أبي الى الحرب.

في عتمة الصالة سمعت أمي تنشج باكية عندما هجم الشماليون في اتجاه اطلنطا. وكانت سكارلت أوهارا، البطلة الخالدة، وبنت حميها ميلاني ويلكس تعتنيان بالجرحى في مستشفى ميداني. انحنتا على ضوء قنديل كيروسين فوق سرير جندي جريح يهذي. ولم نرَ وجه ذاك الجندي:

«... هناك قرب بيتنا عند الجدول شجرة برقوق تزهر مع حلول الربيع.»

وترد ميلاني معزية: «أجل، أعلم.»

ويضيف الجندي: «عندما كنا طفلين أنا وأخي جيف... لقد أخبرتك عن أخي جيف، أليس كذلك يا سيدتي؟ كان... لا نعلم أين هو الآن... لم نعد نعرف عنه

شيئاً منذ معركة فيرجينيا...»

فقاطعته ميلاني: «أرجوك، يجب أن أقيس حرارتك الآن. ضع هذا في فمك وحاول ألا تتكلم.»

قالت سكارلت: «ميلاني، أريد أن اعود الى البيت. أنا تعبة جداً، وأنت؟ الا تشعرين بالتعب؟»

ـ «لا، لست تعبة يا سكارلت، لعل آشلي في مثل حال هذا الجندي الجريح، محاط بغرباء يخففون عنه. لا، لست تعبة يا سكارلت. قد يكونون كلهم آشلي.»

لدى سماعها هذيان الجريح أجهشت أمي بالبكاء، كذلك النسوة اللواتي جلسن على مقربة منها وافتقدن أحباءهن الذي ذهبوا الى الحرب، فشاركن ميلاني في اشتياقها ومخاوفها.

مرت عقود على ذلك اليوم، وشاهدت «ذهب مع الريح» مراراً وتكراراً وتوصلت الى إدراك أسباب شعبيته الدائمة. فقد عبرت هذه الشخصيات التي لن يقوى عليها النسيان، عن مشاعر جماهير العالم وتعلقها بأوطانها.

كذلك تعاطفت مع شخصية سكارلت أوهارا في حبها الصريح لأرضها «تارا» وعزمها الراسخ على البقاء ومغالبة الأقدار ورفض السقوط والهزيمة تحت وطأة الحرب.

وكما يشرح المؤرخ السينمائي رونالد هافر، فإن سكارلت أوهارا ترفض الاقرار بالهزيمة منذ المشهد الأول عندما تكتشف أن آشلي ويلكس، الرجل الذي تحب، عزم على الزواج بميلاني: «حرب وزواج وفقر وولادة وموت واغتصاب وإجهاض وحب ضائع.» عندما تخلى ريت عنها أقسمت سكارلت «على العودة الى تارا والتفكير في طريقة ما لاسترجاعه. وفي كل حال، ان غداً ليوم آخر.» وهذه، لعمري، عبرة انسانية باقية.

[illegible] عام ١٩٣٧ نالت مارغريت ميتشل، وهي كاتبة مقالات عملت في «أطلنطا جورنال»، جائزة «بوليتزر»[٢] عن كتابها الأول والأخير الذي شرعت في تأليفه قبل عشر سنين. وقد بيع أكثر من ٢٥ مليون نسخة من هذه الرواية الملحمية في ٢٧ لغة. وطبقت شهرتها الآفاق ولا تزال من الكتب الأكثر رواجاً. وقد أقيم العرض الأول للفيلم في أطلنطا قبل ٥٠ سنة واستغرق ثلاث ساعات واثنين وأربعين دقيقة وبات أكثر الأفلام شعبية في التاريخ.

اشترى المنتج ديفيد سيلزنيك حقوق الفيلم في يوليو (تموز) ١٩٣٦ بخمسين ألف دولار، وهو من أغلى المبالغ التي دفعت لشراء باكورة أدبية. ثم شرع في البحث عن ممثلة لدور البطولة. فاختبر مئات الممثلات المغمورات والشهيرات أمثال لانا ترنر وبتي ديفيس وكاثرين هيبورن.

---

(١) Gone with the wind

(٢) هي جوائز سنوية تمنح لاصحاب الانجازات الفضلى في الصحافة والأدب والموسيقى.

وفي خضم البحث عن «سكارلت» كان سيلزنيك يعدّ الانتاج السينمائي الأكثر تعقيداً في التاريخ. وقد أصر على أن يبدو الجنوب حقيقياً لرواد السينما تماماً كما بدا له أثناء قراءة الكتاب. وبنى واجهة صرح «تارا» وقسماً من السقف في بقعته الخاصة في هوليوود. وصنع «تربة جورجيا الحمراء» من القرميد المسحوق. (يقول ريت لسكارلت في الفيلم: «أنت تستمدين قوتك من تربة تارا الحمراء، يا سكارلت. أنتِ جزء منها وهي جزء منك.»)

وبحلول شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٨ كان سيلزنيك أمضى سنتين ونصف سنة وأنفق خمسين ألف دولار على الأقل بحثاً عن الممثلة الفضلى لدور سكارلت. غير أنه لم يعثر عليها. وهدده المولون بالانسحاب. فقرر بدء الانتاج على رغم الضغوط وقبل أن يجد بطلة للفيلم. فبدأ بمشهد احتراق اطلنطا.

غريبان غامضان. ريت وسكارلت وخادمتها بريسي وميلاني ومولودها الجديد يعبرون المدينة في عربة تجرها جياد وسط حريق مستودع الذخائر. وقد بنيت واجهات مزيفة لتصوير المستودع. وقرر سيلزنيك إحراق كل «ديكورات» الأفلام السابقة في بقعته، بما فيها الجدار والبوابة اللذان استعملا في فيلم «كينغ كونغ» عام ١٩٣٣ يوم كان سيلزنيك مديراً للانتاج في شركة "RKO".

وقفت ثلاث مجموعات من الممثلين البدائل في ثلاث عربات متشابهة في انتظار إشارة سيلزنيك لبدء التصوير. غير أن سيلزنيك الواقف فوق منصة المراقبة قرر تعليق التصوير ريثما يصل أخوه مايرون الذي يعمل وكيلاً فنياً في هوليوود.

كان يعلم أن أخاه تناول العشاء مع نجمة سينمائية، لكن هذا ليس عذراً لوقف مشهد وضعت له موازنة مقدارها ٢٤٣٩٢ دولاراً (اليوم يكلف أكثر من نصف مليون دولار). لذا غضب المنتج عندما لمح مايرون قادماً بصحبة ضيفين.

أمر سيلزنيك: «أطلقها يا راي.» وعندئذ ضُخ مزيج من الزيت في شبكة أنابيب. واشتعلت النار في الخشب الجاف المشرب بالزيت وارتفعت ألسنتها ٩٠ متراً في ظلام الليل.

وانطلقت العربات في محاذاة ألسنة اللهب. وأدار سبعة وعشرون مصوراً سبع آلات تصوير لالتقاط الحركة من كل جانب. وصور المشهد ثماني مرات قبل أن ينال رضى سيلزنيك.

التهمت النار معظم الديكورات العتيقة، وأضاءت ألسنتها مايرون وضيفيه. كان الرجل لورانس أوليفييه، الممثل البريطاني الذائع الصيت الذي أدى دور هيثكليف في فيلم «وذرينغ هايتس.»[٣] ولكن من تكون هذه السيدة؟

حيّا مايرون أخاه ديفيد قائلاً: «هيا أيها العبقري، تعرّف الى سكارلت أوهارا.»

(٣) Wuthering Hights

لحظات توتر. في اللقاء الأول مع المنتج وقفت المرأة الغريبة بثوبها الأسود ورفعت رأسها بثقة ونزعت قبعتها العريضة بأناقة فتطاير شعرها الكستنائي متموجاً حول وجهها الجميل. ومددت يدها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة وانثنى ثغرها بدلال عند زاويتيه. ولكن لم يراود سيلزنيك في تلك اللحظة الا وصف الكاتبة مارغريت ميتشيل لسكارلت: «كانت عيناها الخضراوان ترقصان.»

لقد عثر سيلزنيك على بطلته.

كانت فيفيان لي في الخامسة والعشرين ومتحدرة من أصل فرنسي وإيرلندي، تماماً كسكارلت.

وسبق أن مثلت في عشرة أفلام بريطانية محدودة النجاح. كانت مغمورة في أمريكا، واختيارها للدور سيثير دهشة عارمة.

لكن أحداً لم يعارض اختيار الممثل الذي سيؤدي دور ريت بتلر، فقد بدا كأنه كتب خصوصاً لكلارك غايبل الذي كان في السابعة والثلاثين آنذاك ونجم هوليوود بلا منازع. لكن غايبل كان مرتبطاً بعقد مع شركة «مترو غولدن ماير.» ولكي يحظى به سيلزنيك وافق على عرض الفيلم من خلال الشركة، مما يعني تقاسم الأرباح مع الاستوديو المنافس. لكن الفيلم كان يستحق هذه التضحية.

وعلى رغم عثور سيلزنيك على الممثلين الرئيسيين فإن متاعبه كانت في بدايتها. فهو أضاع وقتاً ثميناً لأن النص لم يكن ناجزاً على رغم التنقيحات الكثيرة. وطرد سيلزنيك المخرج جورج كوكر الشهير بإدارته الناجحة للممثلات، ليأتي بفيكتور فليمنغ صديق غايبل. وعندما أصيب فليمنغ بـ «انهيار عصبي» تولى مخرجان آخران العمل الى أن تم اقناع فليمنغ بالعودة وإنهاء الفيلم.

وزاد في التوتر أن فيفيان لي كانت تحتفظ بنسخة من الكتاب طوال الوقت، حتى إذا انحرف فليمنغ عن القصة ذكرته بالفصل والسطر. لكن الغضب الذي كان فليمنغ يوقده في فيفيان لي هو الذي أشعّ شخصية سكارلت في كل مشهد.

أيبكون البطل؟ حلّت أزمة حقيقية عندما حاول فليمنغ حمل غايبل على البكاء حين اكتشف أن سكارلت حية ولم تمت من جراء اسقاط جنينها. لكن غايبل رفض البكاء حرصاً على صورته كنجم. وبدا أن أي حجة تقدم اليه لن تثنيه عن رفضه.

ووافق غايبل في النهاية على تصوير المشهد بدموع ومن دون دموع، مع احتفاظه بحق اختيار النسخة التي يريد. وبكى أخيراً كصبي صغير ضائع. وعندما رأى النتيجة على الشاشة اختار مشهد الدموع.

في المشهد الختامي المؤثر يقرر ريت هجر سكارلت ومغادرة أطلنطا. فتصرخ سكارلت: «ريت، إن أنت رحلت فأين

أذهب أنا؟ وماذا أفعل؟»

ويجيب ريت: «بصراحة يا عزيزتي، أنا لا أهتم.»

هل استعادت سكارليت ريت؟ تقول مارغريت ميتشل: «أظن أنها تستعيده.» لكن سيلزنيك، من جهته، أراد إغراق الناس في حيرة. فإن غادر ريت في يوم مشمس فسيخيل الى المشاهدين أنه سيعود. وإن غادر في يوم ممطر فقد يعتقدون أن سكارليت خسرته الى الأبد. لذا غادر ريت في يوم غائم، مبقياً النهاية عالقة في الهواء. (وقد تأخذ هوليوود القرار. ففي العام ١٩٨٨ فوضت دار «وارنر بوكس» للنشر الى كتّاب قديرين تأليف تتمة لرواية مارغريت ميتشل، ومن شبه المؤكد أن التتمة ستتصور لاحقاً للشاشة.)

ليالي النصر. عُرضت رائعة سيلزنيك للمرة الأولى في أطلنطا ليلة ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٩. وتجمع حشد كبير خارج الصالة وقد ارتدى بعضهم ملابس تلك الحقبة، واضطر رجال الشرطة الى ضرب طوق أمني لابعادهم عن النجوم الذين وفدوا الى مسرح «لو» الكبير لحضور العرض الأول. وقد عدّل مدخل المسرح ليشابه «تويليف أوكس» منزل أشلي الفخم.

عند انتهاء العرض شاهد الجمهور المهلل امرأة نحيفة في فستان وردي بسيط تتوجه نحو المذياع. انها مارغريت ميتشل مارش. قالت: «لقد مررنا معاً بتجربة عاطفية كبيرة، ذلك كان شعوري، وأعرف انني لم أكن الشخص الوحيد الذي اغرورقت عيناه هذه الليلة.»

بعد شهرين ونصف شهر خلال الاحتفال الثاني عشر بتوزيع جوائز الأوسكار، حقق «ذهب مع الريح» رقماً قياسياً جديداً وبات الفيلم الذي نال أكبر عدد من الجوائز حتى ذلك التاريخ: ثمانية أوسكارات بما فيها جوائز أفضل فيلم وأفضل ممثلة (فيفيان لي) وأفضل ممثلة ثانوية (هاتي ماكدانييل التي أدت دور مالمي بتنورتها الحمراء) وأفضل نص وأفضل إخراج. كما مُنح سيلزنيك «جائزة ارفينغ ج. ثالبرغ التذكارية».

على مر السنين كسبت رزقي من طريق إجراء مقابلات مع ممثلين وممثلات والكتابة عنهم. ويعود حبي لتلك المهنة الى أنني لم أفقد يوماً رهبة السحر الذي أحسسته في هذا الفيلم. سحر رواية القصص الرائعة.

ولمست هذا السحر بتأثر بالغ قبل سنوات عندما التقيت الفنان الراحل كليف ادواردز، المعروف أكثر بصوت «جيميني كريكيت» المرح المتفائل في فيلم «بينوكيو» من إنتاج والت ديزني. وقد اقشعر بدني عندما أخبرني أنه هو الذي أدى أيضاً صوت ذاك الجندي المجهول في مستشفى أطلنطا الميداني اذ يستعيد ذكرى شجرة البرقوق المزهرة عند الجدول قرب بيته.

جون كالهين ■

ثلاثة إبتعدوا عنهم

الشاكي والعيابي والحرون

كلنا نعرفهم اذ نلمحهم فهم مجادلون متأففون يطلبون اموراً متعذرة

ركبت امرأة ذات مركز مرموق في عالم الأعمال، سيارة اجرة في وسط المدينة. كان الازدحام شديداً وهي في عجلة من أمرها. فاقترحت على السائق سلوك احد الطرق فصاح بها: «لقد امضيت ١٥ عاماً سائقاً. أتظنين اني لا أعرف أقصر الطرق للوصول الى مقصدك؟»

حاولت المرأة ان تبين له انها لم تقصد الاساءة اليه، لكن السائق إستمر في الصراخ، فأدركت اخيراً انه بالغ الاضطراب ويتعذر عليه ان يكون صائب التفكير. فبادرته بأمر غير متوقع، اذ قالت له: «انت محق لعلي أبدو غبية اذ حسبت انك لا تعرف طرق المدينة جيداً.»

فوجىء السائق بكلام المرأة، فرشقها بنظرة حيرى من مرآته ثم انعطف الى الشارع الذي اشارت اليه وأوصلها الى محطة القطار في الموعد المحدد. وهي

تقول عن ذلك: «استمر السائق صامتاً طوال الطريق حتى خرجت من السيارة ونقدته أجرته. فشكرني.»

عندما يلتقي المرء اناساً كسائق سيارة الأجرة هذا، تحدوه رغبة شديدة في الاصرار والعناد. ويفضي ذلك الى جدل طويل، وصداقات مرة، وفرص عمل مهدرة، وزيجات فاشلة.

لقد تبينت، بحكم عملي طبيباً نفسانياً، قاعدة اساسية بسيطة ولكنها مستبعدة اجمالاً ومن شأن هذه القاعدة ان تحول دون تطور أي نزاع أو ظرف صعب الى كارثة.

وتقضي القاعدة بأن تضع نفسك في موضع الغير منقباً عن الحقيقة في قوله. اعثر على طريقة لموافقته على ما يقول، فتأتيك النتيجة مفاجئة.

الحردان. لوليد ابن اسمه يوسف في الرابعة عشرة، ظل ضيق الصدر عدة أيام. وحين سأله والده عن السبب، نهره قائلاً: «لا تزعجني، دعني وشأني» ومشى متباطئاً إلى حجرته.

كلنا يعرف اشخاصاً مثل يوسف. فإذ تبرز امامهم مشكلة ما يحردون أو يتصرفون بغيظ رافضين الكلام.

ما الحل اذاً؟

اولاً: ينبغي أن يسأل وليد نفسه عن علّة سكوت يوسف. لعل الفتى متضايق من أمر حدث له في المدرسة أو أنه مغتاظ من ابيه، غير انه يخشى الافصاح عنه لأن وليد يتخذ موقفاً دفاعياً كلما تعرض للنقد. وفي وسع الوالد أن يتقصى هذه الاحتمالات عندما يدور الحديث بينه وبين ابنه ثانية، فيقول: «لاحظت انك قلق، وارى أن من المفيد أن تجهر بما يشغلك. قد يكون في الأمر عسر لأني لم أصغِ دوماً الى ما تقول. وان يكن الأمر كذلك فإني آسف لأني احبك ولا أريد خذلانك.»

وان بقي يوسف معتصماً بالصمت، قد يتخذ وليد مساراً آخر: «اني معني بما يجري لك. دعنا نتداول الأمر في ما بعد عندما تكون منشرحاً.»

هذا الأسلوب يتيح للطرفين أن يخرجا منتصرين: فلا يساوم وليد على مبدأ ضرورة البحث في الأمر وحلّه، فيما يتجنب يوسف الارباك بأن يتاح له ان ينكفىء الى حين.

الناقد الصيّاح. كنت منذ عهد قريب، أعالج رجل اعمال يدعى عادل يميل الى الغطرسة عندما ينزعج. وهو اخبرني أن المال يستحوذ على تفكيري وليس عليه ان يدفع مالاً عن كل جلسة من جلسات المعاينة. وانه يريد ان يدفع شهرياً بموجب كشف حساب.

تكدرت من كلامه اذ بدا لي انه معتاد فرض آرائه. فشرحت له اني جربت الدفع الشهري، فلم ينجح لأن بعض المرضى لم يسددوا ما توجب عليهم. جادلني عادل بأن لديه سمعة طيبة، وانه يعرف عن الديون وكشوف الحساب اكثر مني.

ادركت فجأة اني لم اعرف مراده فقلت: «أنت مصيب. فموقفي دفاعي. فلنعرض الصعوبات التي تمر بها تاركين المال جانباً.»

لان عادل للتو، وشرع يتحدث عما يقض مضجعه، وهي شجون خاصة به. وفي الموعد التالي سلمني شيكاً بقيمة ٢٠ جلسة معالجة سلفاً.

هناك بالطبع أحوال يسيء فيها الناس التعامل والآخرين على نحو غير معقول، مما يضطر المرء إلى الابتعاد عن المشاكل. ولكن اذا ما رغبت حقاً في حل مشكلة تقلقك، فمن المهم أن تفسح للآخر في مجال الخروج بمقدار من احترام النفس. وثمة على الدوام ذرة من الحقيقة في وجهة نظر اي طرف. فإن أقررت بذلك، غدا الآخرون أقل مدافعة واكثر تقبلاً للإصغاء اليك.

الشاكي. منيف (٣٢ عاماً) طبيب يعالج الأمراض العصبية بتحريك المفاصل والظهر. حدثني عن احباط سببه له أحد المرضى: «سألت السيد حاتم: «كيف حالك؟» فأفرغ لي قصة حياته كلها... متاعبه مع عائلته ومشاكله المالية. حاولت نصحه فأعرض عن كل ما أقول.»

على منيف أن يعرف أن من اعتاد التذمر ليس في حاجة إلى النصح. فهو وأضرابه يريدون من يصغي اليهم ويتفهم وضعهم. وكان في وسع منيف ان يقول: «يبدو أنك مررت بأسبوع عصيب. وهي امور لا تدعو الى الراحة: فواتير غير مسددة وأناس شديدو الإلحاح، مما يضاعف ألمك.» وهنا تنفد، على الأرجح، طاقة المتشكي فيكف عن التذمر. والسر في الأمر الا تسدي النصح بل المصادقة على صحة الشكوى مما يشعر صاحبها بالارتياح.

صديق كثير المطالب. صعاب الخُلُق ليسوا من الغضاب أو الشاكين دوماً. اذ يصعب التعاطي واياهم أحياناً بسبب المطالب التي يرهقوننا بها. فيحرجك مثلاً أحد الأصدقاء بإلحاحه ان تؤدي له خدمة عندما يكون مسافراً، فتحقق طلبه على رغم مواعيدك الكثيرة، لكنك تغتاظ منه في نهاية المطاف وتنقم عليه. وان رفضت طلبه تخشى ان تجرح شعوره فيغضب. والمسألة الصعبة فعلاً هي أن تؤخذ على غِرّة، فلا تعرف كيف تتصرف بحيث تتحاشى الاحساس بالسوء.

وأحد الأساليب المسعفة في مثل هذه المواقف هو المراوغة والتسويف، كأن تخبر صديقك أنك ستفكر في طلبه وتحدثه في شأنه لاحقاً. مثالاً على ذلك: لو أن زميلي هاتفني ملحاً علي ان ألقي محاضرة في جامعته، فسأجيبه: «أنا مغتبط لاختيارك لي. ولكن دعني أراجع جدول مواعيدي، وسأهاتفك ثانية.»

لا شك في ان ذلك سيمنحني الوقت الكافي لمعالجة مشاعر الذنب التي تنتابني اذا ما رفضت الطلب. ولنفرض

اني عزمت على ردّ طلبه، فالتسويف في هذه الحال يتيح لي التفكير في ما سأقول له عندما ارد مكالمته. إذ قد ابين له: «اني اقدّر طلبك، لكني مرتبط بمواعيد كثيرة الآن. في اي حال، أرجو الا تتوانى عن الاتصال بي في المرة المقبلة.»

يشق على النفس التعامل وصعاب الخُلُق بالصبر والاحساس المتبادلين، خصوصاً عندما يكون المرء مضطرباً. لكن ما إن تتخلى عن حب السيطرة أو التشبث بقولك الصائب ابداً، حتى يسترخي محدثك ويأخذ في الإنصات.

لقد أدرك أحد فلاسفة اليونان ذلك، اذ قال قبل نحو ألفي عام: «اذا ما انتقدك احدهم، وافقه على انتقاده حالاً. واذكر أنه لو كان يعرفك حق المعرفة، لكان انتقاده أقسى بكثير.»

ان التواصل الحقيقي بين البشر، ينبع من روح الاحترام لنفسك وللغير. والفوائد التي تجنى من ذلك تبعث على الدهشة حقاً.

الدكتور ديفيد د. بيرنز

حمية الحموات

التحقت حماتي بناد رياضي داعم للحمية الغذائية. وكان يتعين على الأعضاء دفع عشرة فلوس عن كل كيلوغرام يزدنه في وزنهن. وتوضع الفلوس في حُقَّة لتعطى أخيراً لمن تفقد أكبر وزن خلال الدورة.

وذات يوم عادت حماتي إلى المنزل واعلنت بحماسة: «لقد ربحت الحقة!»

فسألها زوجي: «وكم تحوي من المال؟

ـ ثمانين فلساً.

«انه لمبلغ زهيد!»

غير أنه كاف لشراء قطعة حلوى دسمة.»

ج.س.

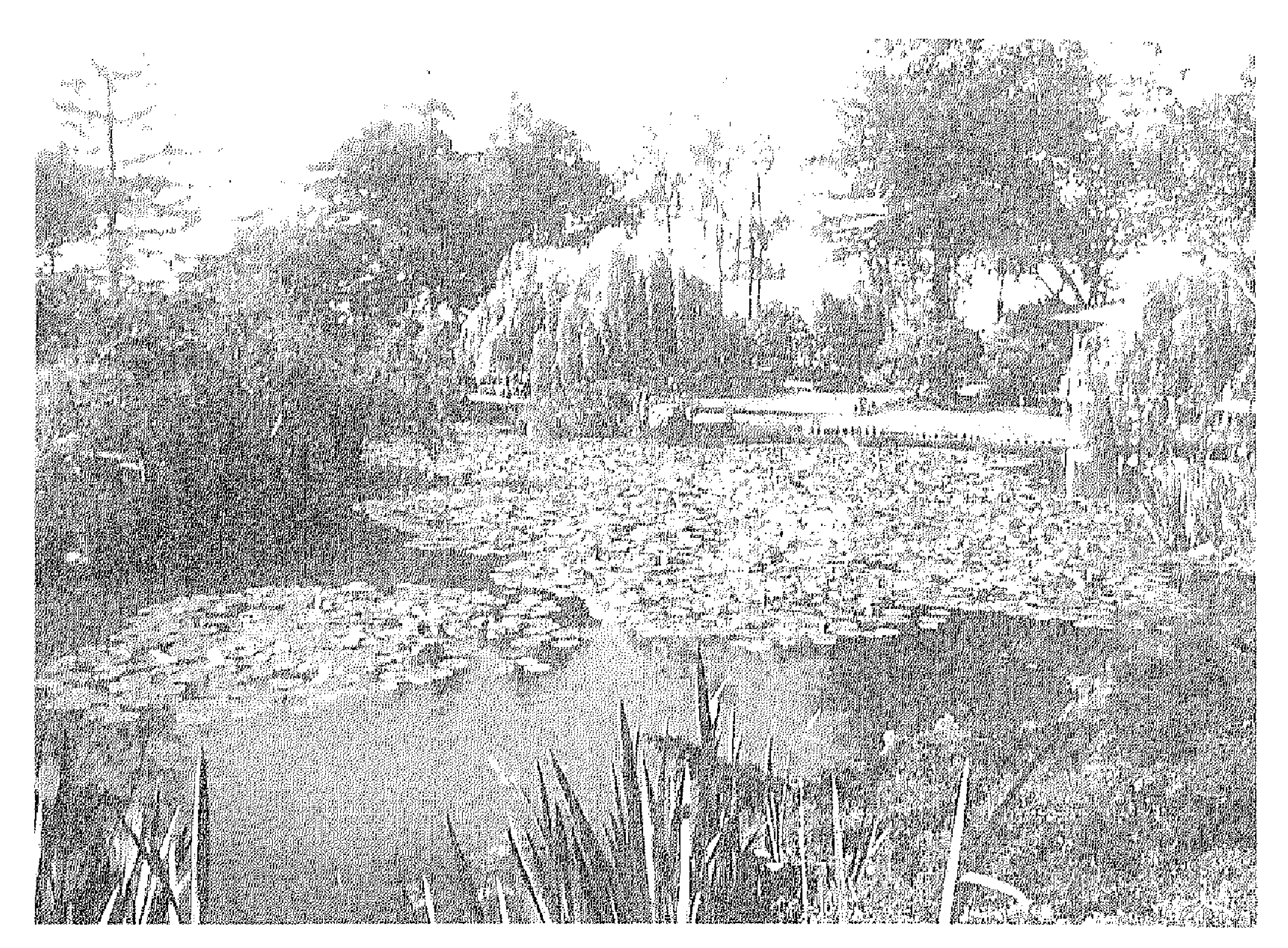
رهاب الامتحان

قدَّمت أختي طلباً للحصول على وظيفة، وكان عليها أن تخضع لامتحان طباعة على الآلة الكاتبة. وإذ أوشكت المسؤولة على اعلان بدء امتحان السرعة في الطباعة تلقّت مكالمة هاتفية، فطلبت من أختي أن تبدأ الطبع. وأختي عصبية عادةً خلال الامتحانات، لذا بدأت الطبع مسعورة غير مزيحة عينيها عن النص.

بعد خمس دقائق انتهت الفاحصة من مكالمتها وقالت: «كان ذلك حسناً، يا آنسة. والآن، هل تحبين أن تجربي الطبع على ورقة؟»

ب.ب

من كدحهما تفجَّر الجمال وتوثقت عرى حنان أبدي



حديقة بناها الحب

في مدرسة الحياة تخرّج، فعركته شباك الصيد في قرية يابانية. انه زنجورو شيباتا، والدي، الرجل الخشن الوجه. عائلته ادارت مؤسّسةً لبيع السمك بالمزاد، حيث ينبغي اتخاذ قرارات كبيرة بسرعة وبداهة. وهو تمرَّس بالصعاب فصهرته التجارب في بوتقة الذرائعية[1].

يوكوري، امي، جذورها ضاربة في التاريخ. سليلة عائلة بوذية تعود الى القرن الرابع عشر. نشأت في عالم من التأمُّل الوديع يبجِّل العطاءات الفكرية ويعتبر الفنون الكلاسيكية جزءاً مهمًّا من التربية.

يصعب تصوُّر زوجين على طَرَفَيْ نقيض مثل والديّ. ومع ذلك، فلا بُدَّ ان

(١) pragmatism اي فلسفة الذرائع التي تُعرِض عن النظريات لتاخذ بنتائجها العملية الناجحة.

PHOTO: COURTESY OF YOSHIMA SHIBATA

يكون شهود الزواج قد لاحظوا فيهما شيئاً يؤهِّلهما للعيش تحت سقف واحد. وعندما أُجريَتْ مراسم الزواج وفقاً للاعراف القديمة كان ابي وامي، فعلاً، غريبَيْن، ومما قلّل من حظوظ نجاح زواجهما قرار ابي السعي وراء الثروة في الولايات المتحدة.

ولأن والدي كان ثاني اخوته فهو علم أنَّ ما قد يتوفّر من ميراث سيعود الى اخيه البكر. فاختار استشراف ما وراء الأفق ويمّم مع امي الولايات المتحدة فوصلها في ١٨٩٨. وتقلّب في الأعمال الوضيعة في ارجاء متعدِّدة من كاليفورنيا، فتعلّم بعضاً من الطرائق الامريكية ومال الى ما خبره منها.

ما أن اقبل العام ١٩١٦ حتى كان على أُهبة الاستقرار لإعالة زوجته وولديه. فاختار مزرعة في «قمة عدن»، جنوب اوكلاند، مساحتها مئة الف متر مربع. هنا سيبني منزلاً ودفيئة[٢] يغرس فيها ازهاراً مخصّصة للتجارة.

لم يلاحظ اهلي انخفاض منطقة الارض في احدى نواحي المزرعة الا عندما احالتها السيول مستنقعاً. وبدلاً من الشعور بالكرب قال والدي: «اصبح عندنا الآن حوض طبيعي لتفقيس السمك الذهبي وبيعه.»

كان بناء مشتل زراعي واستثماره مشروعاً لا بُدَّ ان يعني كل اعضاء العائلة حتى يُقيِّض له النجاح. عمل ابي من الفجر الى النجر في هذا المشروع، وساهمت فيه مع اخوتي الأربعة بعد المدرسة وفي عطل نهاية الأسبوع. وامي بعد انتهائها من تدبير المنزل عُنِيَتْ بتوالد النباتات وقطْف الأزهار، وساعدتْ على دهن الدفيئة.

ما نمَّ عن امي شكوى قط. فحلم ابي ان يكون له دفيئة جعلته حلمها هي. لكنها في ليالي عدة، بعد ان يغرق افراد الأسرة في الرقاد، كانت تجلس منتصبةً في فراشها تقرأ او تؤلف القصائد او تكتب قصصاً قصيرة ومقالات نُشر بعضها في الصحف اليابانية في سان فرنسيسكو. وغالباً ما لامها ابي لبقائها ساهرة حتى هذا الوقت المتقدم، غير انه فهم ايضاً أنَّ لها جذوراً في عالم هو عاجز عن المشاركة فيه.

الحديقة اليابانية. توالت السنون واستقر المشتل، فانتفت الحاجة الى ارهاق النفس بالعمل. وذات يوم من ١٩٣٣ قالت امي لأبي: «ان عشب الدَّيْس البرّي آخذ بالانتشار في بركة الأسماك، وهو يبدو قذراً نخجل من منظره. فما رأيك لو نظّفنا البركة وأنشأنا حولها حديقة يابانية لا تجمِّل مزرعتنا فحسب بل تُظهر جانباً من الحضارة اليابانية لأصدقائنا الامريكيين؟»

اجاب والدي مقطِّباً: «لكنَّ مثل هذه الحديقة تتطلب مقداراً كبيراً من العمل والمال، فضلاً عن انها تقتطع من ارضنا مساحةً يصعب علينا فقدانُها.»

(٢) بيت زجاجي او بلاستيكي لوقاية النباتات.

بيد انه تذكّر كيف عملتْ زوجته الى جانبه لمساعدته على انجاز اهدافه. فأقل ما يمكن فعله لإظهار تقديره لها هو ان يعاونها على انشاء الحديقة.

ثمة سبب آخر كان يدفعه الى اتخاذ قراره. فأمي خضعت لجراحة استئصال سرطان، وبدا انها ابلّت تماماً، غير ان الطبيب قال إن السرطان قد يعاودها بعد خمس سنوات او ست وإنها قد تحتاج الى جراحة إضافية. فنظر ابي الى مشروع الحديقة كحافز يساعد امي على إبعاد ذهنها عن مشاكلها الصحية.

لم يكن ايٌّ من والديّ يعرف الكثير عن هندسة الحدائق. لذا تمعّنا في دراسة صور لحدائق يابانية شهيرة واستشارا اصدقاء حول افكارهما. وظلا يرسمان مخطّطاً تلو آخر حتى استبان لهما اخيراً ما يطمحان اليه.

وبدأت عملية البناء. نُقلت الأسماك الى بركة موقّتة وجُفِّفت المياه. وأفرزتْ امي منطقة كلوية الشكل. وكدن ابي حصانين يجرّان مِكشطة، واعاد تشكيل البركة ناقلاً الركام الزائد ليجعل منه هضاباً صغيرة مدوَّرة من شأنها ان تضفي على الحديقة انطباع العمق، البعد الثالث بعد الطول والعرض.

ولسوف يتباحث ابي مع امي بعد كل خطوة. فالحديقة، في المقام الأخير، هي حديقتها، وهو يحترم مهاراتها الفنية المُبدِعة. شيئاً فشيئاً سوف يَظهَر للعيان انسجام المشاعر والمواهب والآمال عند هذين الزوجين.

في احد الأيام اتى السيد راسل، الذي يملك مقلعاً للحصى في الجوار، ليرى ما نحن فاعلون. وقال: «اعرف انكم تحتاجون الى صخور كبيرة لصنع حديقة يابانية، وفي مقلعي بعض الجلاميد المناسبة. يمكنكم اخذ كل ما تستطيعون نقله.»

ظل والدي خلال اسابيع ينقل بعربة الخيل مئات من الصخور ويُفرغها حول الفناء، ووُضعت الصخور واحداً واحداً على امتداد محيط البركة، بجانب المماشي وقرب الهضاب، وكان يحلو لأمي ان تقول: «لكل صخرة وجه وقفا، ورأس وقعر. انظروا الى هذه الأشنة الجميلة فوق هذا الجلمود. ينبغي أنْ نتأكّد عند تركيزه من ان الطحالب تتجه نحو الشمال، كما هي فعلاً في الطبيعة.» وهكذا كان علينا ان نعالج كل صخرة في موقعها الملائم، فتُطمّر بدقة على عمق يجعلها تبدو كأنها وُجدت في مكانها منذ بداية الدهر.

استغرق تركيز الخلفية الصخرية للشلال الاصطناعي الوقت الأطول. كان على المياه المتساقطة، وقد دفعتها مِضخَّة مخفيَّة، ان تبدو متعة للنظر وطرباً للسَّمع. فكدح ابي في الصخور ودفعها الى ان قرَّرتْ والدتي ان الشلال ذروة الكمال.

اخيراً انتهى العمل في البركة، فمُلِئت ماءً واعيدت اليها الأسماك. وبدت امارات الوجد على قسمات امي الهادئة التي قالت: «اظن اني سأغرس بعض

النَّيْلوفَر، فهذه الزنابق المائية اذا ازهرت هنا تعطي منظراً رائعاً في الصيف.»

كان ذاك اول الغيث، وما زال هناك الكثير يُعمَل. واهدى جار آخر الى والدي بعض اشجار الصنوبر الضخمة، فغرسها في الهضاب الصغيرة، واحاطها بعدة صنوبرات اصغر حجماً. وعنيت والدتي بليّ بعضها واعطائه شكلاً يضفي على الغيضة طابع الهَرَم. وغُرس الصفصاف قرب الماء لتعبّ منه جذورُه بعمق، اما الشجر الأحمر الذي يشبه سرو اليابان الضخم فغُرس في ارض منبسطة. وقالت امي: «نحتاج الى انواع مختلفة من الأشجار النامية في اتّساق مثلما هي فعلاً في الطبيعة. فالحديقة اليابانية هي منظر ريفي طبيعي مصغّر.»

التجذر في الأرض. خلال الأزمة الاقتصادية في ١٩٣٣ تعثّر بيع الزهور. وذات يوم جاء المصرفيون الذين يتعامل معهم ابي، لخوفهم غير المعلن من ان يغادر البلاد اذا ساءت الاحوال من دون ان يسدِّد ديونه. اخذهم لمشاهدة حديقته وكلمهم بانكليزية ركيكة: «ها قد انتهيت من غرس هذه الشجيرات. الآن طولها لا يتجاوز بضع اقدام، ولكنْ عندما تنمو وتكبر سأدعو عائلاتكم الى نزهة في ظلها.» كانت الرسالة واضحة وعرف المصرفيون ان والدي آخذ في الصمود حتى النهاية.

بعد ذلك بقليل زارنا حِرَفيٌ ياباني شهير، ولما شاهد ما انجزته يدا ابي قال: «انك لمبدع حديقة جميلة، ولكن يعوزها شيء ما، وبودي ان ابني لك صالة شاي.» والمبنى البسيط الذي اقامه هو ما كانت ترغب فيه امي تماماً.

كان ثمة مزيد من الأعمال تنتظر تفرُّغ ابي لها. فبنى سياجاً ومدخلاً ريفيين اضفيا على الحديقة بُعدها الخارجي. كما شُيِّد جسر مقنطر، ونُثرت حصى صغيرة لتشكيل شاطىء صغير، ورُكِّزت منائر حجرية. اخيراً، في العام ١٩٤٠، نظرت امي الى زوجها برضى وقالت: «الحديقة آخذة الآن بالتحلّي مع الزمن.»

ثم وقعت الواقعة. فبعد الهجوم على القاعدة الأمريكية في بيرل هاربر في هاواي امرت واشنطن اجلاء كل الرعايا من اصل ياباني عن الشاطىء الغربي. فاضطُرّت عائلتنا الى العيش في مخيم ترحيل داخل البلاد. وتُركت الدفيئة في عهدة غارس زهور آخر، لكنّ الحديقة آلت الى الهجر.

عندما عدنا بعد الحرب وجدنا الحديقة تغزوها الأعشاب الضارّة. وماتت غرسات عدة من نقص الماء. واعمل المخرِّبون في صالة الشاي تكسيراً ودمروا ستائر «الشوجي» وضفائر «التاتامي». الامر الذي حداني على البكاء غيظاً. واكتفى اهلي بالقول: «اننا سعداء لاسترجاع ملكيتنا» وبدآ مهمة الترميم الشاقّة.

ما ان باشرنا العمل بشق النفس

حتى مرض والدي. وكشفتْ الجراحة سرطاناً متطوِّراً. وأُخبرتْ والدتي ان زيت سراجه سينضب بعد اشهر معدودة، وللمرة الأولى في حياتي شاهدتها تذرف الدمع. قالت: «ما راودتني قط فكرة انهدام بنية قوية وصلبة، كبنية والدك، تحت وطأة المرض.»

عندما تقهقرت صحة والدي طلب ان يراني. قال لي: «اقحمتُ والدتك في حياة شاقة ثم بدأتُ اتفهّم حلمها بإبداع شيء جميل. لذا بدأت الحديقة، وهي عملت معي على تكوينها. وانا لن احيا لأرأب الصدع، فأسألك الآن ان تكمل ما كنتُ بدأتُه.» فوعدته والدموع تنهمر من عينيّ.

بعد رحيل والدي كرّستْ امي مزيداً من وقتها للحديقة. وذات صباح اسرَّت اليّ: «كان ثمة غصن نافر في شجرة "البونساي" الرئيسة، لم اعرف كيف اتدبر امره. في الساعة الثانية بعد منتصف الليلة الماضية استيقظت وخرجت مع مشعل كهربائي وشذّبته، فارتحت كثيراً.»

تقاسمتْ امي حديقتها مع غيرها. فأقيمت فيها حفلة توأمة مدينَتيْ اوكلند الأمريكية وفوكووكا اليابانية في العام ١٩٦٢. وفيها تلاقت منظمات مدنية، وقصدها مواطنون للتنزُّه والاستجمام.

أُعلِمنا يوماً ان مشروعاً لطريق عام جديد سيستملك جزءاً من الحديقة. فاتصلت امي، بهدوئها اللافِت، ببعض صديقاتها المهتمات بالحقوق المدنية وطرحت عليهن سؤالاً واحداً: «لماذا يجب ان تمر الطريق وسط الحديقة؟» فأعيد تخطيط الطريق حول حديقتها من دون ضجة.

في العام ١٩٦٨ توفيت والدتي عن ٧٥ عاماً. لقد بقيت على قيد الحياة على رغم خمس جراحات سرطانية عجّلت في أجلها.

لا تبعد الحديقة كثيراً عن مكتبي. غالباً ما اتمشى فيها فاستعيد طلاوة روحي. هنا رجل صموت ومتحفِّظ وجد طريقةً ليعبِّر بها عن حبه العميق والثابت لزوجته. وهي بادلته حبًا بحب لأنها فهمت ما كان يحاول قوله لها. وعلى مر السنين تحوّلتْ روحاهما جزءًا من كل صخرة وغرسة وشجرة وضعاها بعناية لامتناهية في تربة كاليفورنيا. هذه هي الحديقة التي بناها الحب.

يوشيمي شيباتا ■

الضدُّ يُظهِر حسنَه الضدُّ

عندما عاد ابني المراهق إلى المنزل من حفلة موسيقى «الروك» سألتُه هل أمضى وقتاً ممتعاً. فأجاب: «كانت حفلة عظيمة. يا ماما، كنت ستكرهينها لو كنتِ هناك!»

ج.ف.

أضواء من عالم الطب

"انترفرون" لالتهاب الكبد

«Hepatitis C» هو فيروس يصيب الكبد ولا يمكن اكتشافه بواسطة الفحص العادي للدم. والى اليوم لم يفعل الطب الشيء الكثير للمصابين بهذا الفيروس الذي ينتقل اليهم خلال عملية نقل الدم أو حقن المخدرات. لكن بصيص امل ظهر في دراستين جديدتين. فقد توصلت فرق ابحاث من ١٢ جامعة أمريكية ومن "المعهد الوطني لأمراض السكري والجهاز الهضمي والكليتين"، الى أن العقار "ألفا انترفرون" يمكنه الحدّ من الالتهاب الفيروسي المزمن في كثير من الحالات، مانعاً موت خلايا الكبد. وهذا الاكتشاف بالغ الاهمية كما يقول الدكتور جولز ل. دينستاغ مدير عيادة التهاب الكبد في مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن وأحد المشاركين في الدراستين.

ونشرت الدراستان في مجلة "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين." وفيهما ايضاً أن الانترفرون - وهو بروتيين موجود طبيعياً في الجسم البشري ويمكن انتاجه على نطاق واسع بواسطة جرثومة معدَّلة وراثياً - أوقف فيروس «Hepatitis C» لدى نصف المرضى تقريباً، وأعاد عمل الكبد الى طبيعته. وقد انتكس نصف هؤلاء مجدداً بعد وقف العلاج. ولكن، تبين للباحثين أن أقل من ١٠ في المئة من المرضى الذين لم يتلقوا علاجاً قد تحسّنت حالهم.

ويرى الدكتور دينستاغ وخبراء آخرون أن كمية الانترفرون ومواعيد الجرعات المتبعة في الدراستين ليست نهائية. ويضيف دينستاغ: "نحتاج الى تجربة جرعات أكبر لفترات أطول من أجل زيادة معدل الاستجابة للعلاج وخفض معدل الانتكاسات بعد وقفه." ومع ذلك فهو يعتبر أن هذه الخطوة الاولى فائقة الأهمية، وأن الانترفرون ناجح لا محالة.

«نيويورك تايمز»

أدوية الحساسية

قبل أن تأخذ حقنة ضد الحساسية تأكد من أن الطبيب على علم بأي دواء آخر تتناوله.

إن أدوية توسيع الشرايين* الشائعة الاستعمال قد تزيد احتمال اصابة مريض الحساسية بصدمة قاتلة. فالحقن المضادة للحساسية تحوي كمية ضئيلة من المادة المسبّبة للحساسية من أجل تنمية قدرة الجسم على احتمالها. وأدوية توسيع الشرايين التي توصف عادة لعلاج ضغط الدم المرتفع واضطرابات القلب والارتعاش وصداع الشقيقة (ميغرين) وكقطرة لعلاج الماء الازرق (غلوكوما) تزيد حدة ردود فعل الجسم للمواد المثيرة للحساسية.

مجلة "إميرجنسي ميدسين"

(*) Beta-blocker drugs

ادمان الستيرويد

يعتقد أطباء نفسانيون في كلية الطب بجامعة ييل في ولاية كونيتيكت الامريكية، أن الاشخاص الذين يتعاطون الستيرويدات الابتنائية* لتقوية اجسادهم وتحسين أدائهم الرياضي قد يصبحون مدمنين. ويلاحظ الطبيبان كنيث كاشكين وهيربرت كليبر أنّ التأثيرات والمضاعفات وأعراض الانقطاع التي يبديها المفرطون في تعاطي الستيرويدات شبيهة بتلك الناتجة من ادمان الكوكايين والكحول ومنتجات الافيون. وعلى سبيل المثال، فان جرعات كبيرة من الستيرويدات تؤدي الى النشوة وغيرها من تأثيرات ادمان المخدرات.

وتظهر ابحاث أخرى أن تعاطي الستيرويدات لفترات طويلة يؤدي الى اضطرابات نفسية شبيهة بتلك التي تصيب مدمني المخدرات، ومنها الانفعال المفرط وضعف القدرة على التمييز والقلق والذعر والاوهام الارتيابية والنزعة الانتحارية.

نشرة "الجمعية الطبية الامريكية"

عقار لالتهاب اللثة

"فلوربيبروفن" عقار فاعل مضاد للالتهاب يستعمل حالياً في علاج داء التهاب المفاصل. وقد يستعمل قريباً في علاج داء التهاب محيط الاسنان الذي يصيب اللثة ويؤدي الى تلف العظام المحيطة بالاسنان، وهو مرض يصيب ٧٥ في المئة من الراشدين بعد السن الخامسة والثلاثين.

وفي تجربة سريرية دامت سنتين وشملت ٤٤ مريضاً في كلية طب الاسنان بجامعة كامبريدج في ولاية مساتشوستس، وجد الباحثون أن الفلوربيبروفن خفض خسارة العظم بنسبة ٦٦ في المئة بعد مرور ١٢ شهراً على بدء الدراسة. وتبين أن العقار فقد تأثيره خلال الأشهر الستة الاخيرة. ولا يعرف الباحثون، الى الآن، هل كان ذلك ناتجاً من عدم تجاوب المرضى أم من فقدان العقار فاعليته بعد اعتماده لمدة طويلة. ومع ذلك فان الفوائد الاولية لهذا العقار لا بد وأن تُترجم بقاء أطول للاسنان الطبيعية لدى المجموعة الخاضعة للعلاج.

وهذه النتائج التي نشرت في "جورنال أوف بريودنتولوجي،" هي الأولى التي تظهر أن الفلوربيبروفن قادر على ابطاء تلف العظام من طريق وقف الالتهاب بدلا من مهاجمة الجراثيم المسببة للمرض.

نشرة "هارفرد ميديكال آريا فوكس"

منظار لاستئصال المرارة

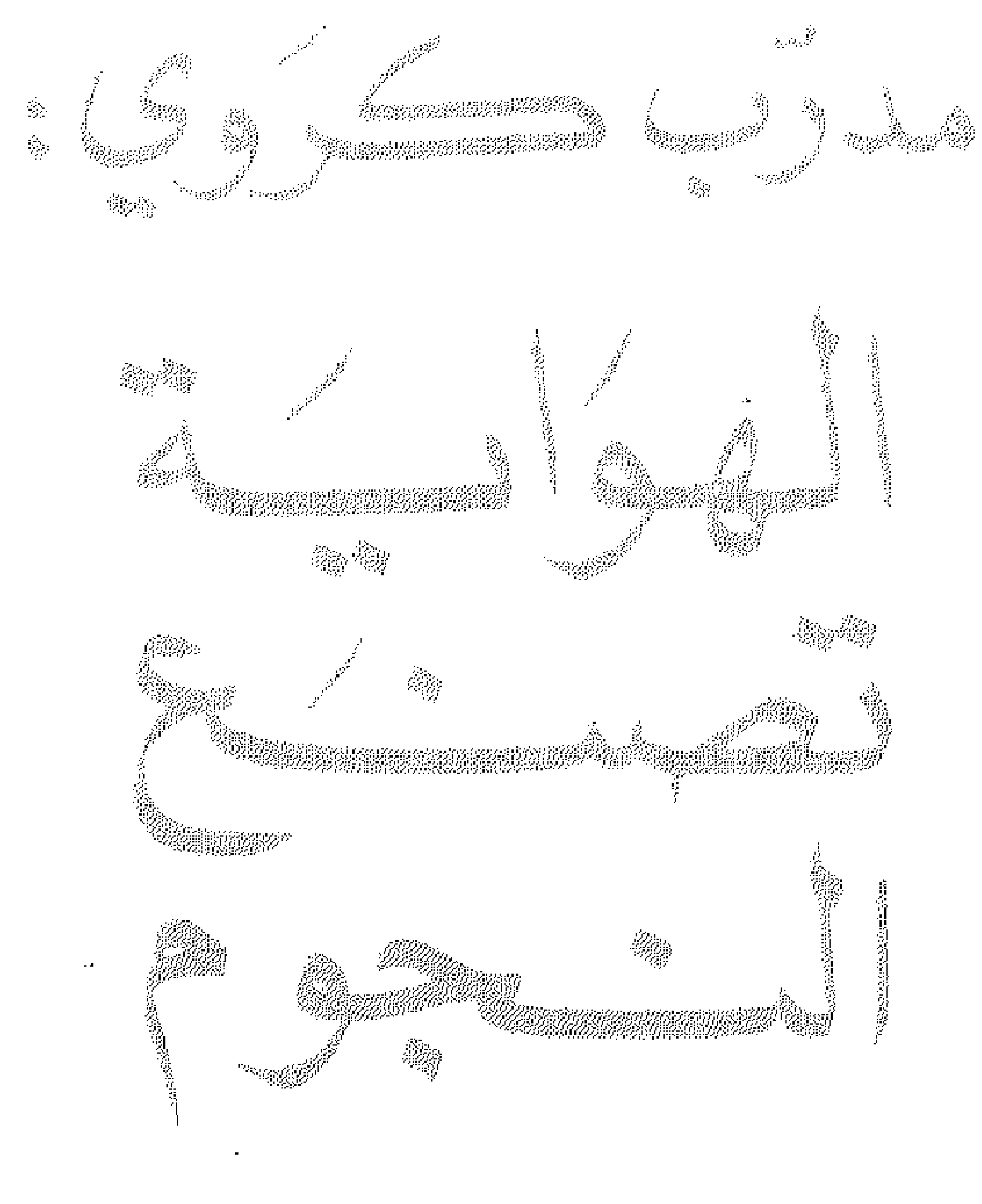
في أسلوب جديد لاستئصال المرارة بواسطة منظار*، يفتح الجراح ثلاثة شقوق صغيرة في أعلى البطن، ويمرر داخل الجسم منظاراً على شكل أنبوب دقيق في طرفه عدسة مقرِّبة. فيصوِّر الانبوب المرارة تلفزيونياً للجراح الذي يمرر أدوات جراحية مصغَّرة عبر الشقوق. ثم تُستأصل المرارة من خلال شقّ صغير في السرّة.

والى الفوائد التجميلية الأكيدة لهذه الجراحة، فانها أقلّ ازعاجاً من الجراحة التقليدية، وتتطلّب وقتاً أقصر للتعافي.

صحيفة "واشنطن بوست"

(*) Anabolic steroids

(*) Laparoscopic cholecystectomy



في عصر تختلط لعبة كرة القدم في المدارس بتعاطي المخدرات وأفعال السوء الأخرى، لم يتخل المدرِّب جو باتيرنو عن ايمانه بحسنات تحصيل العلم والعمل الدؤوب والانقطاع المخلص للأهداف السامية. وجامعة بنسلفانيا الحكومية حيث يعمل باتيرنو رئيساً لمدربي كرة القدم، تخرج نحو ٧٠ في المئة من لاعبيه، وهم يشكلون نسبة ٥٥ في المئة من العدد الاجمالي للطلبة في تلك الجامعة. ويتذكر أحد اللاعبين السابقين في تلك الجامعة بعض الماضي: «لقد سعت المعاهد الأخرى الى اجتذابي تلميذاً فيها مغدقة علي وعوداً بأني سأصبح لاعباً، غير أن باتيرنو لم يعدني سوى بأني سأصبح انساناً أفضل.»

أذكر يوم اكرهت على اتخاذ القرار. اضطجعت الليل بطوله وقد هجرني

النوم، أغالب ماضيّ، ساعياً الى تشكيل رؤية للمستقبل. انه شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام ١٩٧٢. وكان مضى علي في رئاسة مدربي كرة القدم بجامعة بنسلفانيا الحكومية مدة سبع سنوات تقريباً، وكنت قانعاً بعملي ذاك.

ثم جاءتني تلك المكالمة الهاتفية المفاجئة. انه عرض بأن أغدو ثرياً إن تركت الجامعة التي احب. كان محادثي بيل سوليفان الرئيس الأسبق وصاحب «نيوانغلند باتريوتس» وهو فريق محترف لكرة القدم في بوسطن. قال لي: «أود أن ألقاك للبحث في تدريب فريقي.»

اجبت سوليفان أن لدي عروضاً أخرى للعمل واني لا اكترث لتدريب اللاعبين المحترفين. وما لبث أن أمطرني بعرض مغر جداً... ١,٣ مليون دولار إضافة الى تملك جزء من رخصة الفريق ومكافأة مقدارها ١٠٠ ألف دولار عند توقيع العقد.

كان مجموع أجري السنوي في الجامعة ٣٥ ألف دولار؛ وهذا المبلغ كافٍ لسد حاجة عائلتي. لكن سوليفان تقدم بعرض اصابني بدوار. في نهاية المطاف اخبرت زوجتي سو أن علي قبول الوظيفة. فوافقتني: «اني الى جانبك في ما تقرر.» لم تقل لي انها لا تريد الانتقال الى بوسطن. فكلمت سوليفان وابلغته موافقتي.

ذلك المساء قلت لسو: «حسناً يا عزيزتي، الليلة انت زوجة مليونير.» في الثانية فجراً كانت سو في كرسيها الهزاز ترضع طفلنا، وقد لاحظت ان الدموع تسيل على وجهها. فأخذت اعرض، وانا مستلق في مكاني، صور الحياة التي سأبتعدُ عنها: الكلية التي التقيت فيها زوجتي، البيت الوحيد الذي عاش فيه أولادنا الخمسة، الطلبة، تمثال الغرانيت جالب الحظ لنا، ولاعبو كرة القدم ممن أدرب وهم غلاظ الاعناق اصحاب مشاعر مرهقة.

ترى، ما الذي دفعني الى ان أخبر سوليفان اني موافق؟ اجل، بوسطن مدينة كبرى، والعمل في ذاته تحد جديد. لكن السبب الحقيقي لقراري هو المال.

بغتة عرفت ما ينبغي ان افعل، وما أعزم حقاً على القيام به.

في الصباح اخبرت سو: «لقد نمت مليونيراً، لكني استيقظت جو باتيرنو المدرب. لن اذهب الى بوسطن.» الفكرة الأولى التي راودتها آنذاك، كما قالت لي لاحقاً، ان حمداً لله.

مدرب الهواة. منذ جلاء بصيرتي تلك الليلة، ادركت اهمية لعبة كرة القدم في الكلية بالنسبة الي؛ وان تدريب اللاعبين المحترفين ليس من شأني. اني اصبو، كسواي من المدربين، الى تأمين فوز فريقي في المباريات. لكني مدرك ان ثمة ما هو أهم من الفوز او الهزيمة. اذ يتوجب علي أن اتعهد لاعبيَّ في انضباطهم الشخصي وتنشئتهم تربوياً، وتطورهم انسانياً. وهي مثوبة بعيدة

الأثر، مستديمة لا القاها في تدريب اللاعبين المحترفين.

وفي صميم اسلوبي في التدريب، علاقة عقدتها مع الشاعر فيرجيل وبطله آنياس، الشخص الاسطوري الذي شاد روما. وهما دخلا حياتي عبر انسان سامي الاخلاق يسعى ليكون خادماً للرب يدعى توماس برمنغهام من المدرسة الاعدادية «اكسلنس»* في بروكلين. وكانت الطريقة التي يلفظ بها برمنغهام ام المدرسة (ومعناها الامتياز) تجعلها مشرقة بنور ذهبي.

فحسب ملحمة فيرجيل، وبعيد سقوط مدينة طروادة في يد الاغريق، يسهّل آنياس فرار اهل قريته بحراً. واذ تطبق عاصفة على اسطوله، ويجنح الى شواطىء افريقيا، يقرّ عزمه على الاستسلام. ويأخذ في معاركة أصوات قدره منهكاً مخذولاً. الا انه كان عارفاً أن واجبه، والخيار الوحيد امامه، مواصلة قيادة رجاله. وهكذا، عبر سنوات من المشاقّ، يأخذ حذره على مضض، ولكن من دون هوادة، من مصيره الهالك، ويعود الى ايطاليا يستوطن المدينة التي غدت روما.

آنياس ليس نجماً بارزاً يؤدي دوره أمام النظّارة. انه لا يحيا لنفسه ولكن للمجموع. وهو لذلك المثال الأعلى للاّعب في فريقه.

السنة الأولى التي امضيتها رئيساً للمدربين عام ١٩٦٦ كانت حقاً اسعد سني حياتي، لكنها كانت اكثرها قتامة. فاللاعبون الأصغر سناً في الفريق يلعبون ويتمرنون بحماسة. بيد ان بعض اللاعبين المتمرسين يشعرون بأنهم أرفع مقاماً من مدربهم الجديد، ولا يكلفون انفسهم عناء تعلم اسلوبه في اللعب.

إثر ذلك الموسم الأول الكئيب أسررت الى نفسي: أيامك، على ما يبدو، معدودة في هذه الوظيفة. ثم افتتحنا العام ١٩٦٧ بمباراة ضد فريق قوي هو فريق الأكاديمية البحرية في آنابوليس، فهزمنا بتمريرة منخفضة في الدقيقة الأخيرة. كان فريقنا يلعب بطريقة استعراضية. لم يكن هناك التزام او توقّد. وإذا ابدلت بفتيان اللاعبين المصابين، تغيّر اداء الفريق ولعب الفتيان بشجاعة وثبات أكثر ممن هم اكبر سناً.

المدرب الأستاذ. أدركت الحاجة إلى تغيير جذري، ولكن كيف؟

اثناء عودتي بالحافلة الى البيت، طرأت علي فكرة مجنونة: ان أصرف الفريق بكامله وأبدأ تدريب فريق جديد. أن المدرب هو، في الدرجة الأولى، استاذ. ومسؤوليته الأولى تدريب العقول وان لم ينجح في ذلك فإن فريقه لن يفجر ابداً كوامن طاقاته.

قلت لسو تلك الليلة: «علي ان اكتشف ما اذا كنت مدرباً ام لا. علي ان اتخلّص من الكسالى.»

يوم السبت التالي لعبنا مع فريق ميامي. بعد اللعبات الافتتاحية، ارسلت

(*) Excellence

لاعبين شابين مندفعين محلّ لاعبين أكبر سناً لم يعجبني اداؤهما. ثم اتبعتهما باثنين آخرين. وقبل أن يشرف ربع الساعة الأولى من المباراة على نهايته، كان لدي فريق جديد تماماً في الملعب.

فزنا في المباراة تلك الليلة. لا تسألني كيف، المهم اننا ربحنا. بعد اسبوعين، شرعنا بكلية بوسطن في تنظيم الدورة التاريخية لجامعة بنسلفانيا والمؤلفة من ٣١ مباراة لعبناها جميعاً ولم نخسر واحدة منها. وتابعنا تنظيمها سنوياً حتى تخرّج اللاعبين الشباب من مجترحي الاعاجيب.

ان السر وراء هذه السلسلة من الانتصارات التي تفوق حد التصديق، يكمن في اننا زدنا نسبة الأدمغة في وصفة كرة القدم القديمة التي كانت تركز دوماً على قوة العضل. لقد اصبحت اللعبة شغل فتيان اذكياء حسني التدريب، ممن يتخذون قرارات سريعة ويستخدمون في اللعب عقولهم وعضلاتهم سواء بسواء. وهم يندمجون في اللعب بوجدانهم، ويتصرفون كفريق وليس كأفراد. وعلى غرار آنياس، لكل لاعب دور يؤديه في نظام اكبر منه. وكل واحد مدين لزملائه الآخرين بمعرفة الدور المنوط به وتحمل مسؤوليته.

اساليب اللعب لدينا في الجامعة جليّة، بسيطة، وقد نجحنا بها، سنة تلو أخرى. ولكن بعد انتخابنا في العام ١٩٨٦ افضل فريق بين الكليات في امريكا، بات في مستطاع اي قارىء بخت مبتذل أن يتنبأ بأن السنة التالية ستكون سنة خيبة بالنسبة الينا. كما اننا لم نحرز نجاحات كبيرة في ١٩٨٨.

كان فريقنا مؤلفا، على نحو استثنائي، من رهط فتيّ. ولم يدرك هؤلاء الشباب ان الفوز يتطلب التزاماً اساسياً مفرطاً. الى ذلك، فقد شاركنا عام ١٩٨٨ في مباريات جبهنا فيها سلسلة من الخصوم الأقوياء.

لعل ليس من حقي ان ابرز الأمر على هذا النحو. اليس هناك أمر آخر؟ أوَتكون العلّة في التدريب؟ اني لم اعط الفريق ارشاداً مباشراً في السنوات الماضية. ثمة وقت لإطلاق العنان للاندفاع، وأن تتاح للاعبين الفرص ان يتحركوا على هواهم ويرتكبوا اخطاءهم. ولكن ثمة أوان للانضباط وتوجيه الفريق نحو إيقاع موحد.

بدا الحل واضحاً في نهاية الأمر: يجب ان ابدأ من جديد. اعود إلى ما كنته عام ١٩٦٦، وأن اقرر دورة جديدة واختار لاعبين صغاراً بدلاً من الكبار المتباهين.

ذكريات ١٩٦٦ تصيبني بوخز. لكني لا ازال اعشق التدريب حتى هذه اللحظة.

جو باتيرنو ■

بمعاونة برنارد اسبل

حذارِ كلمات الفخر والغرور. فان أنت تلفظتَ بها سبق السيف العذل.

كارل ساندبرغ، شاعر وكاتب أمريكي (١٨٧٨-١٩٦٧)



نصائح رجل أعمال انتقل من فقر مدقع الى ثروة وقوة عظيمتين

كيف تحصلون على ما تريدون

كنت فقيراً وطموحاً وخائفاً حتى الموت. وكنت أيضاً قانطاً أحتاج الى خمسمئة دولار ثمن طوابع ومغلفات لتوزيع مجلتي الجديدة «نيغرو دايجست.»[1] كنت قريباً من النجاح، أكاد أذوقه، ومع ذلك كنت بعيداً عنه جداً. في العام ١٩٤٢ كان مبلغ خمسمئة دولار مقداراً كبيراً من المال، ولا سيما لشخص ترعرع فقيراً في أركنسا.

فعلت شيئاً غير معروف تلك الأيام. ذهبت الى مصرف كبير في شيكاغو وطلبت قرضاً بخمسمئة دولار لأبدأ عملاً. لكن مساعد مساعد المدير الذي توصلت الى مقابلته ضحك بوجهي وقال: «نحن لا نعطي المواطنين السود قروضاً.»

شعرت بجذوة غضب، لكن الكتب التي قرأتها عن المساعدة الذاتية كانت تقول: «لا تكن أحمق، بل كن حاذقاً.» عليّ اذاً ان احوّل هذا العائق الى ما فيه مصلحتي. فنظرت الى عين الرجل وسألته: «من في هذه المدينة يقرضهم؟»

(١) Negro Digest

اجاب وهو يتطلع اليّ باهتمام جديد: «المكان الوحيد الذي أعرفه هو مؤسسة سيتزن للتسليف.»

سألته هل يعرف أحداً هناك، فأعطاني اسماً.

«أيمكنني أن أبلغه أنك أنت أرسلتني اليه؟»

تأملني لحظة ثم اجاب: «طبعاً.»

قال لي الرجل في «سيتزن»: نعطيك قرضاً، ولكن بشرط أن يكون عندك ضمان، كمنزل أو موجودات ترهنها.

لا منزل لي. لكنني كنت ساعدت أمي في شراء أثاث جديد، فسألتها أن تسمح لي باستعماله ضماناً. وهكذا اقترضت، على أثاث والدتي، خمسمئة دولار. وشرعت في اصدار «نيغرو دايجست.» وباصدار العدد الأول من المجلة نشأت شركة «جونسون» للنشر، وهي اليوم امبراطورية تقدر قيمتها بمئتي مليون دولار وتضم مجلتي «إبوني» و«جت» وشركة لمستحضرات التجميل ووكالة لتصميم الأزياء ومحطات اذاعة وتلفزة.

سر نجاحي بسيط. كنت محظوظاً، وكان التوقيت صحيحاً، وواظبت على عملي واثقاً بمنطق الأحداث الذي يساعد المرء المتأهب النشط الشجاع.

هل يتكرر ذلك؟

أيمكنك البدء بخمسمئة دولار لبناء امبراطورية تقدر بمليوني دولار؟

ما زلت أحسب أن الفرصة واسعة وسع هذا العالم، لكنني أظن أيضاً أن انطلاق المرء بمشروع ما بهدف الغنى أمر خطأ. من الأفضل التفكير في أن النجاح يكون في خطى صغيرة، وكل خطوة تعطيك ثقة بالمثابرة.

كيف اتخذت خطواتي؟

في بواكير حياتي العملية كبائع كنت أطلب من زبائني منحي خمس دقائق فقط من وقتهم. فمتى وضعت قدمك في الباب وأخبرت قصة جيدة فقد يدعك الزبون تكملها وإن استغرقت ساعة. واذا لم يكن مهتماً، فخمس دقائق من وقته كافية.

ومهما طال وقتي كنت دائماً ابني عرضي على ثلاث قواعد مجرّبة ومختبرة.

١. **ايجاد أرضية مشتركة والتشديد عليها.** قد تختلف أنت والزبون على أمور كثيرة، لكنك أنت هناك لابراز القيم والآمال والطموحات التي تربط بينكما.

مقابلتي البالغة خمس دقائق تسبقها أشهر من التحضير. وحين تبدأ الساعة تتكتك أعرف كل شيء عن اهتمامات الزبون وعواطفه وهواياته ورغباته.

استعملت مرةً هذا النوع من الاتصال للحصول على اعلان من «زينث راديو كوربوريشن.» كان على رأس هذه الشركة آنذاك أوجين ف. ماكدونالد الابن، وهو اداري لامع وهجومي. كتبت اليه رسالة أطلب فيها موعداً للتحدث عن الفائدة الاعلانية لشركة «زنيث» في أمريكا السوداء. وأجاب ماكدونالد للحال: «تسلمت كتابك، لكنني لا

أستطيع أن أراك. فأنا لا أتولى شؤون الاعلان.» وهكذا أيقنت أنه يريد التخلص مني.

لم تخمد همتي، ففي كل نقطة تحول في حياتي كان الناس يقولون لي في البدء: «لا.» وهنا لم أكن مستعداً لأن أدع ماكدونالد يتملص بذلك الجواب العادي. فأبيت التسليم.

فكرت: حسناً، انه رئيس الشركة ولا يعالج شؤون الاعلان، فماذا يعالج اذاً؟

الجواب واضح. انه يعالج سياسة الشركة، بما فيه السياسة الاعلانية. كتبت اليه ثانية اسأله هل استطيع المجيء للتحدث عن سياسته الاعلانية في المجتمع الأسود.

أجاب: «انت ملحاح أيها الشاب. سأراك، ولكن اذا حاولت التكلم عن الاعلان في منشورتك فسأنهي المقابلة.»

أحدث جوابه هذا مشكلة جديدة. عمَّ سنتكلم اذاً؟

لجأت الى كتاب فيه خلاصات سير رجال شهيرين[2]. فوجدت أن ماكدونالد كان مستكشفاً زار القطب الشمالي بعد مرور سنوات على قيام ماثيو هنسون والكومودور روبرت بيري برحلتهما الشهيرة الى القطب الشمالي في العام ١٩٠٩. وكان هنسون زنجياً، وهو ألف كتاباً عن خبراته.

كان ذلك هو الممر الذي احتجت اليه. طلبت من محرر مجلتنا في نيويورك ان يقابل هنسون ويطلب منه توقيع نسخة من كتابه كاهداء الى ماكدونالد. وخطر لي أيضاً أن هنسون موضوع جيد لقصة، فسحبت مقالاً من عدد مجلة «إبوني» المنوي اصداره في يوليو (تموز) وأدرجت مكانه نبذة عن سيرة هنسون.

أول كلام بادرني به ماكدونالد عندما دخلت مكتبه هو: «أنظر الى هذا الحذاء الثلجي. لقد أعطاني اياه ماثيو هنسون. انني أعتبره صديقاً. أتعرف شيئاً عن الكتاب الذي ألّفه؟»

أجبت: «نعم، ولدي منه نسخة، وقد كان لطيفاً جداً فوقع عليها اهداءً اليك.»

تصفح ماكدونالد الكتاب بسرور واضح ثم قال متحدياً: «أنت تصدر مجلة سوداء، يبدو لي أن مجلة سوداء يجب أن تورد مقالاً عن رجل مثل ماثيو.»

وافقته، وسلمته نسخة من عدد يوليو (تموز). فتصفح المجلة وهز رأسه استحساناً. قلت له انني أسست المجلة لابراز منجزات رجال مثل هنسون أثبتوا أن التفوق يحطم كل الحواجز.

قال: «أتعرف؟ انني لا أرى سبباً يحول دون الاعلان في هذه المجلة.»

٢. **أُطْرق في المرء ما يثيره.** عزمت على أن أبني مكتباً في شيكاغو يكون المركز الرئيسي لشركتي. وبعدما تنقلت من مصرف الى مصرف ولم أحصل على قرض صممت على بدء المشروع مهما كلف الأمر. أخذت مليوني دولار من مالي الخاص، واتفقت مع مقاول على أن

(٢) Who's Who in America

يشرع في البناء ريثما أتمكن من الحصول على خمسة ملايين دولار أخرى في مقابل رهن عقاري، علماً أنه اذا لم أحصل على هذا الرهن قبل أن يستنفد المقاول مالي فسيوقف البناء.

بدأ البناء واستمر حتى لم يبق من المال الا ما يكفي أسبوع عمل. وحدث أن كنت أتناول طعام العشاء في مدينة نيويورك مع مدير شركة «متروبوليتان لايف انشورنس.» فسحبت نسخة من تصميم المبنى كنت أحملها دائماً، وحاولت أن أثير اهتمامه بتمويل البناء. وعندما اتضح له أنني أهم ببسط الخريطة على مائدة الطعام قال: «لا يمكن ان نتكلم هنا. تعال غداً الى مكتبي.»

في اليوم التالي أخبرني أن المتروبوليتان قد تعطيني القرض المطلوب. فقلت: «عظيم! انما المشكلة الوحيدة هي أنني احتاج الى تنفيذ التعهد اليوم.»

قال: «لا شك في أنك تمزح، نحن لا نعطي تعهداً بقرض في يوم واحد.»

وقفت عن كرسيَّ وتقدمت منه قائلاً: «أنت المسؤول عن هذه الادارة. ربما آن لك أن ترى ما اذا كانت لك السلطة الكافية لتنفيذ هذا العمل في يوم واحد.»

ابتسم وقال: «أنت تمزح، لكنني سأحاول.»

حاول. وما قال إنه لا يمكن عمله قد عُمل. وعدت أنا الى شيكاغو قبل نفاد مالي بساعات.

البيع يكون في أن تكتشف في المرء الناحية التي تجعله يقول نعم. وفي هذه الحال كانت الناحية الحساسة شعور المدير بسلطته الخاصة.

٣. استغلّ ما يحرك المرء. هنالك شيء ما يجعل كل انسان يتحرك أو يقول نعم. قد لا يمت ذلك الى حياته العملية، فقد يكون حلماً أو أملاً أو التزاماً لشخص أو مبدأ.

في ذهني مثل واحد على هذا. جاء مندوب شركة من تنيسي الى شيكاغو بغية الترويج لصنف جديد من مستحضرات التجميل. فاشتريت بعضاً منه لشركة مستحضرات التجميل التي أملكها. ثم ذهب المندوب الى مدينة نيويورك وباع هناك طلبين أكبر من طلبي. ولما عاد الى تنيسي لم يجد وقتاً لتأمين طلبي الصغير.

أما أنا، فبناء على وعده تعاقدت مع المتاجر على أن تفسح لي رفوفاً لعرض هذا الصنف. لكنه كلما اتصلت به صرفني بسرعة. قلت لنفسي: علي أن أجد طريقة أقنع بها هذا الرجل بالوفاء بوعده. ماذا يحركه؟ ثم خطر لي خاطر: الشرف، انها كلمة غالية في الجنوب.

اتصلت به من جديد وقلت: «أنت جنوبي، وأنا جنوبي، وأريدك أن تعلم أنني اشتريت عمداً هذه المادة من شركة جنوبية مع علمي أنها متوافرة لدى مستوردين كثيرين. عندما كنت في الجنوب لم يكن الرجال البيض يقطعون

للرجال السود وعوداً كثيرة، ولكن اذا ما أعطوك كلمتهم وثقت بها. لقد مضت على غيابي عن الجنوب أربعون سنة. فهل تغير الرجال البيض كثيراً؟»

ران صمت طويل على الهاتف، ثم قال لي المندوب: «يا جونسون، متى تحتاج الى هذه البضاعة؟»

أجبته: «في الأسبوع المقبل.»

قال: «ماذا عن هذا الأسبوع؟»

الأمر الأهم الذي يجب تذكره هو أننا نعيش منكمشين جداً على أنفسنا. وفي محاولتنا اقناع الآخرين بأفكارنا نحتاج الى مزيد من التركيز على ما يريدون هم لا على ما نريد نحن.

فإذا أردت أن يقضي شخص حاجةً حيوية لك، فعليك أن تبرز ما يريد هو وتقنعه بأن من مصلحته الذاتية دفع مصلحتك الى الامام. واذا أردت الآخرين أن يساعدوك فلا يجوز الا تكترث لهم.

جون هـ. جونسون ■

مع ليرون بنيت جونير

انفجار بالون

المعرض السنوي الذي يقام في مدينتنا وتشارك فيه فرقتنا الموسيقية المحلية يحوي ما يرضي الجميع، بما في ذلك البالونات المنفوخة بالغاز للصغار.

في أثناء مقطع كانت الفرقة تعزفه برقة فائقة أفلت أحد البالونات واصطدم بمسمار في جدار وانفجر كطلق ناري. فأجفل عازف الكمان وكاد يقع. وبدأت العازفة المجاورة له مذعورة. وهي أخبرت الأصدقاء لاحقاً: «عندما شاهدته يقفز راودتني هذه الفكرة: رحماك، يا ربي، لقد أصيب بطلق ناري وأنا لا أحسن عزف مقطوعته.»

س.س.

مهرِّبة الأصدقاء

كنتُ واقفة قرب براد الحلوى في أحد المحلات الكبرى فلاحظتُ امرأة بدينة تنقّب فيه. فجأة دفعتها امرأة أخرى قالت لها: «اخرجي من هنا! لستِ في حاجة إلى هذا، فأنت سمينة كفاية!»

وإذ التفتت المرأة المجفلة لاحظتْ مهاجمتُها أنها امرأة غريبة لا تعرفها. فتمتمتْ: «أنا أسفة. لستُ أضع نظارتيّ. ظننتك صديقتي.»

أجابت الضحية بعد لحظة صمت: «وهل لديك صديقة حقاً؟»

الفرصة السانحة تكتفي بقرع الباب، أما الاغراء فيرفسه.

ب.ب.

الأجوبة الصحيحة

مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤) من الكتّاب المجددين في مصر. تلقى علومه في الأزهر وتتلمذ لمحمد عبده. له «النظرات» و«العبرات» ومقالات انطوت على موضوعات اجتماعية وخصوصاً وضع المرأة العربية.

هنا كلمات مختارة من كتابات المنفلوطي. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. شبيبة: فتوَّة ـ أولاد ـ ناي ـ نغم خافت حزين.

٢. دوحة: غابة ـ أرجوحة ـ شجرة عظيمة ـ دوار البحر.

٣. نشيج: أنشودة ـ بكاء من غير انتحاب ـ دم ـ حياكة.

٤. ضالَّة: عروس ـ طريق مسدودة ـ ناقة ـ شيء مفقود تسعى وراءه.

٥. استهتر: اتبع هواه ـ اختبأ ـ قهقه ساخراً ـ تلعثم خوفاً.

٦. كيد: ظرف ـ مكر واحتيال ـ تعب ـ ضرب شديد.

٧. ذُبالة: قذارة ـ حشرة مجنَّحة ـ فتيلة ـ ذيل الفرس.

٨. وشيك: محنيّ ـ حاد الاطراف ـ ظليل ـ قريب وسريع.

٩. مُداراة: مناوبة ـ رجعة ـ منافسة ـ ملاطفة ومخاتلة.

١٠. مَدارك: منازل ـ درجات السلَّم ـ حواسّ ـ جواسيس.

١١. حثا التراب: صبَّه ـ حفره ـ نعَّمه ـ كوَّمه.

١٢. اكفهرَّ: تراجع ـ عبس واغبرَّ لونه ـ شتم ـ ركض هارباً.

١٣. غريرة: مطر خفيف ـ شاة ـ خصلة شعر ـ شابة لا خبرة لها.

١٤. باع: مقدار مد اليدين ـ ساق ـ جيب ـ عنق طويلة.

١٥. وعثاء: مشقة وتعب ـ صحراء ـ طريق وعرة ـ سفر.

١٦. شَزْرَ: تأنيب ـ نظرة غضب ـ شق اللحم ـ ردع.

١٧. جَزَع: جبن ـ حزن بالغ ـ عَرَق الجسد ـ صلب الشجرة.

١٨. لألاء: صفحة الماء ـ بياض العين ـ ثلج ـ ضوء.

١٩. سائغة: هانئة سهلة ـ ضائعة ـ سانحة ـ منحرفة.

٢٠. مدلهمّ: ماطر ـ شديد السواد ـ مفاجىء ـ كثير الهموم.

٢١. زُفْرة: زرقة قاتمة ـ نَفَس حار ـ مائدة ـ رائحة نتنة.

٢٢. صانَع: ساعد ـ عمل خادماً ـ قاوم وعصا ـ داهَنَ.

٢٣. غَشْية: ضحكة ـ لمحة ـ تعطُّل القوى والحواس ـ سرعة.

٢٤. مأرب: حاجة ـ بئر ضحلة ـ جِوار ـ ملجأ.

٢٥. سوابق: أيام ـ جرائم ـ خيل ـ أولاد.

١. **الشبيبة**: الفتوّة. وقيل هي الفَتاء أي من سن البلوغ الى الثلاثين. وقيل أيضاً هي خلاف الشيب. امرأة شبيبة: شابة.
٢. **الدوحة**: الشجرة العظيمة المتسعة. الدَوْح: البيت الضخم الكبير.
٣. **النشيج**: الغصّ بالبكاء من غير انتحاب.
٤. **الضالّة**: الشيء المفقود الذي تسعى وراءه. الضّلالة: الهلاك. الملك الضلّيل: لقب امرىء القيس.
٥. **استهتر**: اتبع هواه فلا يعقل ولا يبالي بما يفعل.
٦. **الكيد**: المكر والخبث والاحتيال والاجتهاد.
٧. **ذُبالة القنديل**: فتيلته.
٨. **الوشيك**: القريب. أيضاً: السريع.
٩. **المداراة**: الملاطفة والمخاتلة. المِدْرى والمدراة: المشط.
١٠. **المَدارك**: الحواس الخمس. مدارك الشرع: مواضع طلب الاحكام حيث يُستدل بالنصوص.
١١. **حثا التراب**: قبضه ورماه أو صبّه.
١٢. **اكفهرّ الرجل**: عبس. والليلُ: اشتد ظلامه. والسحابُ: تراكب بعضه على بعض واسودّ. يقال «وجه مكفهّر» أي مغبر اللون مع غلظ.
١٣. **الغريرة**: الشابة التي لا خبرة لها. أيضاً: المغرورة. الغرير: الخُلْق الحسن، ومنه المثل «أدبر غريره وأقبل هريره» أي أدبر حسنُه وجاء سيئُه.
١٤. **الباع**: مقدار مد اليدين. يقال «طويل الباع ورحب الباع» أي كريم مقتدر، و«قصير الباع وضيق الباع» أي بخيل عاجز.
١٥. **الوعثاء**: المشقة والتعب. أيضاً: كل صفة مكروهة. يقال «ركب الوعثاء» أي أذنب.
١٦. **الشَزْر**: النظر بجانب العين مع إعراض أو غضب.
١٧. **الجَزَع**: الحزن البالغ الذي يصرف الانسان عما هو بصدده. أيضاً: الاضطراب وقلة الصبر.
١٨. **لألاء السراج**: ضوءه. واللألاء أيضاً الفرح التام، وبائع اللؤلؤ.
١٩. **لقمة سائغة**: هانئة سهلة المدخل في الحلق. استساغ الشراب: وجده سائغاً.
٢٠. **ظلام مُدْلَهِمّ**: كثيف شديد السواد.
٢١. **الزُفْرة**: النَفَس الحار تشبيهاً له بزفير النار وهو صوت توقُّدها.
٢٢. **صانَعَهُ مصانعة**: داهنه وداراه. أيضاً: رشاه، ومنه المثل «مَنْ صانع بالمال لم يحتشم مِنْ طلب الحاجة.»
٢٣. **الغَشْية والغشْي والغَشَيان**: تعطل معظم القوى المحرِّكة والحاسَّة لضعف القلب من جوع ونحوه.
٢٤. **المأرَب والمأربة**: الحاجة. الأُربة: العقدة الوثيقة. الإرب والإربة: الدهاء والحيلة.
٢٥. **السَوابق**: أوَّل خيل السباق وهي عشرة أوَّلها المجلّي ثم المصلّي ثم المسلّي ثم التالي ثم المرتاح ثم العاطف ثم الخطيّ ثم المؤمَّل ثم اللطيم ثم السُكَيت.

المستوى

٢١ ـ ٢٥: ممتاز
١٤ ـ ٢٠: جيد جداً
٩ ـ ١٣: مقبول



كان عادياً في بعض النواحي لكنه تميز بحماسته وحكمته الطيبة

سـألت وارن ف. كلارك في لقـائنـا الأول الى مـاذا يرمـز الحرف «ف» في اسمه فأجـابني دونما تغـير في تعابـير وجهه: «فاتن.» وبعـد ساعتـين في أحد مقـاهي «غـرينيتش فيليـدج» بمـدينـة نيـويـورك جلس وارن يخـربش بعض الأسماء على محـرمة من الـورق وقال: «أنا أكتب أسماء المـدعوين الى حفلـة الزفاف، فـلا تتصرفي كالمـراهقات. أنتِ تعلمين أننا سنكون رائعين معاً.»

كـان ذلك في التـاسع والعشرين من ابريل (نيسان) عام ١٩٤٩. وتزوجنا في السادس والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) في طقس ممطر عاصف. يومذاك فضّلت انتظار انقطاع الأمطـار كي لا أصل الى قاعة الاحتفال كجـرذ مبلول، فتأخرت اثنتـين وعشرين دقيقة. وكـان سؤال وارن الرومنطيقي لحظة وصولي: «ما الذي أخرك؟»

أنجبنا خمسة أولاد وعشنا بسعادة الى أن توفي وارن بعد خمس عشرة سنة وهو في الخامسة والأربعين.

وجـدت صعـوبـة كبـيرة في اختيـار الافكار التي أودّ ذكرها عن وارن عندما بدأت العمل على كتاب التقـدير هـذا[١]. ولم أستطـع أن أكتب بكآبـة اكرامـاً لروحه المرحة، فما زال الأهل والأصدقاء يقهقهون لمجرد ذكر اسمه. لذلك اطلعت على بعض الذكريات المتألقة التي كتبها آخـرون عن أحبائهم كي أحصـل على بعض الأفكار:

كـان الأول في صفـه. لكن هـذا لا ينطبق على وارن. فعلى رغم أنه كان من أذكى النـاس الـذين عـرفتهم إلا أن سجلّه المدرسيّ كان عادياً جداً. حصـل مرة في مادة الكيمياء على ١٧ نقطة من مئة فعلل ذلك بقوله: عندمـا لمحت تلك

(١) هـذا المقال مقتبس من كتـاب "Family Portraits" بقلم ماري هيغنز كلارك.

المعادلات الكيمائية على اللوح رحت اسائل نفسي أي فيلم سأحضرتلك الليلة.

كان بطل حرب عاد الى الوطن مكللاً بالغار. أُدرج إسم وارن في أول فوج من المجندين قبل غزو «بيرل هاربر»، لكنه رسب في برنامج لتدريب الطيارين لأنّهُ كان مصاباً بعمى الألوان. فقضى ٦١ شهراً «يدافع» عن بلاده.

كان ارتقاؤه صاروخياً في دنيا الأعمال. في الحقيقة لم يكن وارن كذلك أبداً. بدأ بائعاً في شركة بواخر. ومع أنّه كان بائعاً بالفطرة إلا أن راتبه كان هزيلاً ولا يتضمن علاوات أو عمولات. قال وارن: «الفوائد الجانبية عظيمة لأننا نستطيع الذهاب في رحلة بحرية حول العالم في الدرجة الأولى كل سنتين. المشكلة الوحيدة هي أننا لن نقدر على إعطاء المضيف بقشيشاً.»

ثم حصل على وظيفة في بيع أجهزة للسمع. وكانت عودته مرة الى البيت ومعه هاون ومدقّة وسخّان واناء مليء بالشمع وخيط هي إشارة أولى الى غرابة عمله. فهو لم يكن يعلم في البداية بوجوب أخذ «بصمة» شمعية لأذن الشاري العتيد.

ومن الطبيعي أن يتمرن وارن على «بصم» الأذن البشرية. لذلك أصبحت أنا حقل تجارب. وكان عمر ابنتنا البكر ماريلين ستة أسابيع، فكنت أجلس في الأريكة أرضعها فيما يبدأ وارن تجاربه فيقول: «حاولي ألا تتحركي.» وبحذر شديد يحشو أذني كتلاً من الشمع الذائب. وما ان يجمد الشمع حتى يشدّ الخيط آملاً الحصول على مجسم كامل. ونادراً ما نجحت العملية.

عاد وارن بعد فترة وجيزة الى حقل السفريات حيث ينتمي. وأصبح مديراً إقليمياً لشركة خطوط جوية حتى وفاته.

كان زوجاً لا مثيل له. كنت أشعر بانسجام تام مع وارن، ولكن ليس بالمقاييس الحالية حيث يتعاون الزوجان في التسوق وإدارة شؤون المنزل وحتى في تغيير حفاظات الأطفال. ولدت ماريلين قبل تسعة وثلاثين عاماً. وقد أوصلني وارن الى المستشفى ثم أُرسل الى البيت لينام بهناء.

كانت ولادة عسيرة وطويلة. وفي صباح اليوم التالي انتابتني آلام حادة في شكل نوبة كل نصف دقيقة. جلس وارن بقربي يبحث بصمت عن كلمات تواسيني، وقال أخيراً بابتهاج: «إنكِ على الأقل لا تتوجعين بين النوبة والأخرى.» عندئذ رفعت رأسي واستندت الى مرفقي وقلت له: «أخرج من هنا.»

عندما بلغت ماريلين أسبوعها السادس قال لي وارن: «انظري. سأساعدكِ في اطعامها ليلاً. كل ما عليك عمله هو تسخين زجاجة الحليب وتغيير الحفاظ وأنا أتكفل بالباقي.» حاولت إيقاظه تلك الليلة فقام بعد عشر دقائق. سلّمته ماريلين بامتنان وعدت الى النوم.

لكن عويل الطفلة أيقظني بعد بضع دقائق. وجدت وارن في نوم عميق والطفلة بين يديه وزجاجة الحليب تقطر بالقرب من أذنها.

كان أباً لا مثيل له. فشل وارن كمساعد للأم، لكنه نجح في أن يكون أباً رائعاً. فعلّم أولاده حسنات الاخلاص والكرم والمرح. كما علمهم أن يتقبلوا الحياة كما هي وأن يستمتعوا بها ما داموا أحياء. وهو تطوّع لتدريب أولاد الحي على لعبة البيسبول (كرة القاعدة). وأصر على أن يلعب كل صبي في مباريات الفريق مهما يكن ضعيفاً أو غير موهوب.

كان مصدر إلهام لكل الذين عاشروه. بدأ وارن يشعر بآلام في صدره عندما بلغت ابنتنا الصغرى باتي شهرها الثامن. اعتقدنا لمدة ثلاثة اسابيع أن سبب هذه الآلام تقلّص أو التواء عضلي. بعد ذلك ألححت على وارن كي يخضع لفحص طبّي، فإذ بالطبيب يخبرنا أنه معرّض لنوبة قلبيّة. وتعيّن على وارن أن يحمل في جيبه دائماً أقراص «نيتروغليسرين» وألا يركض وراء الحافلة أو يحمل حقيبة ثقيلة أو يمارس اللعب الخشن مع الأولاد.

عندما عاد وارن الى البيت في تلك الليلة قفز عليه الأولاد من كل صوب. وأحضرت أكواب الشراب التي حضّرتها قبل عودته، وشربنا نخب حياتنا معاً وعشنا سعداء حتى اللحظة الأخيرة.

تعرض وارن لثلاث نوبات قلبية خلال السنوات الخمس التالية: لكن روحه المرحة لم تهن أبداً. كان يقول لي: «لا تكوني أرملة نضرة منوّرة، حاولي أن تبدي هزيلة وكئيبة حقاً.» لم أعرف أحداً أسمى منه في حب الحياة، وفي تركها.

سيبقى دائماً معنا. أجل. لقد مضت على وفاته خمس وعشرون سنة، ومع ذلك فكأنه يعايش الأولاد في أثناء نموهم. فذات يوم بعد وفاته بثلاث سنوات عاد الأولاد من المدرسة فرحين: «لا بد أن بابا كان سيفخر بنا، فقد خضعنا لامتحان الذكاء وجاءت النتيجة أننا لا نحتاج الى أي تدريب في المهارات الآلية.»

لقد ورثوا جميعهم سرعة البديهة عن والدهم.

قال السر توماس مور[٢] لصديق له مواسياً قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهما: «أنا واثق بأننا سنلتقي في الجنة ونحن في كامل ابتهاجنا.»

وأنا متأكدة أنني عندما أصل الى هناك سيكون وارن ف. كلارك في غمرة الابتهاج. وقد يحيطني بذراعيه ويسألني ذاك السؤال الذي طرحه يوم عرسنا: «ما الذي أخرك؟»

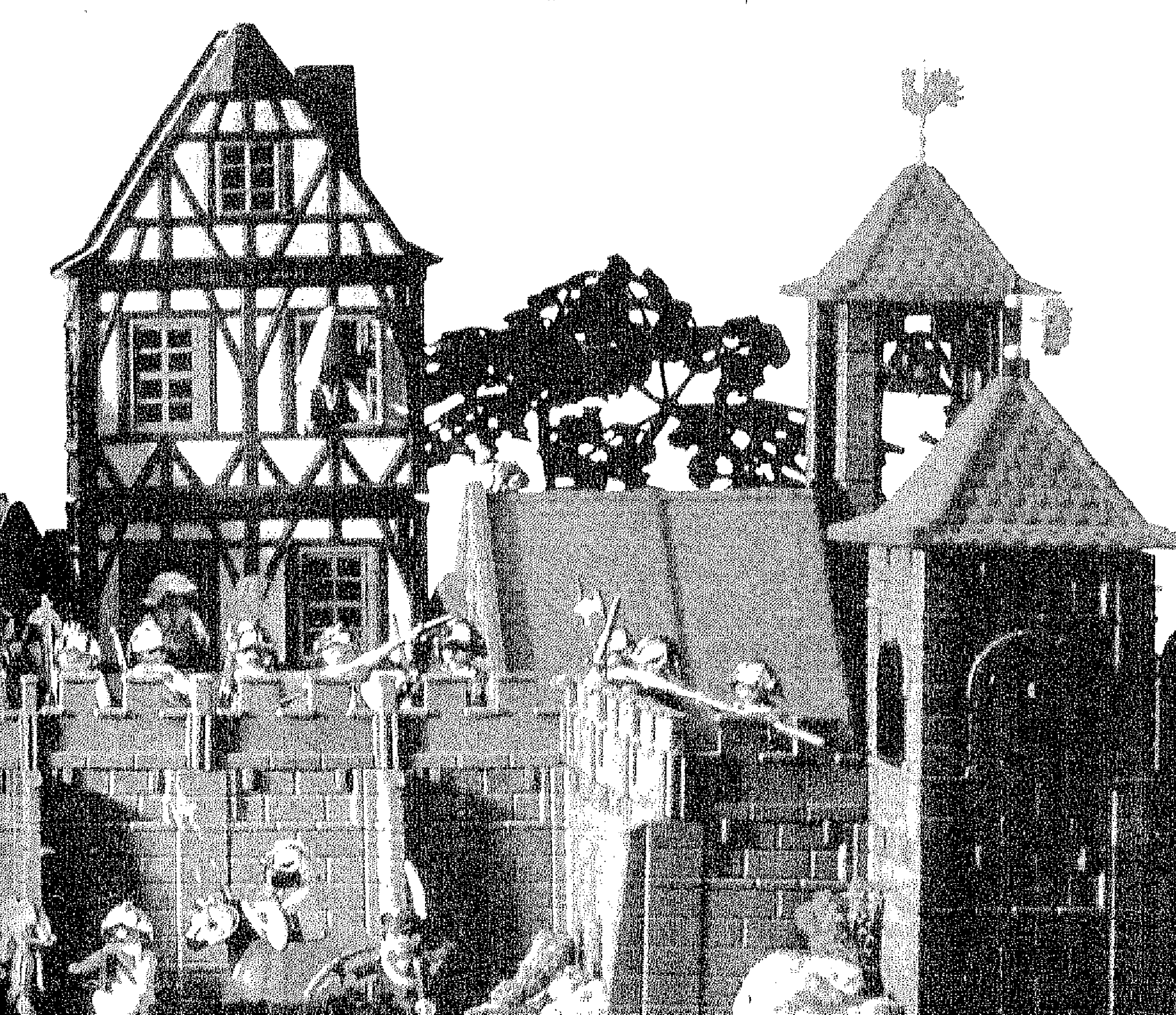
ماري هيغنز كلارك ■

(٢) سياسي وكاتب بريطاني أعدم عام ١٥٣٥.

بلايموبيل

دنيا من بلاستيك

رواد في محطة فضائية
وفرسان أمام قلعة
وقرويات في السوق. كا
زام من بلاستيك



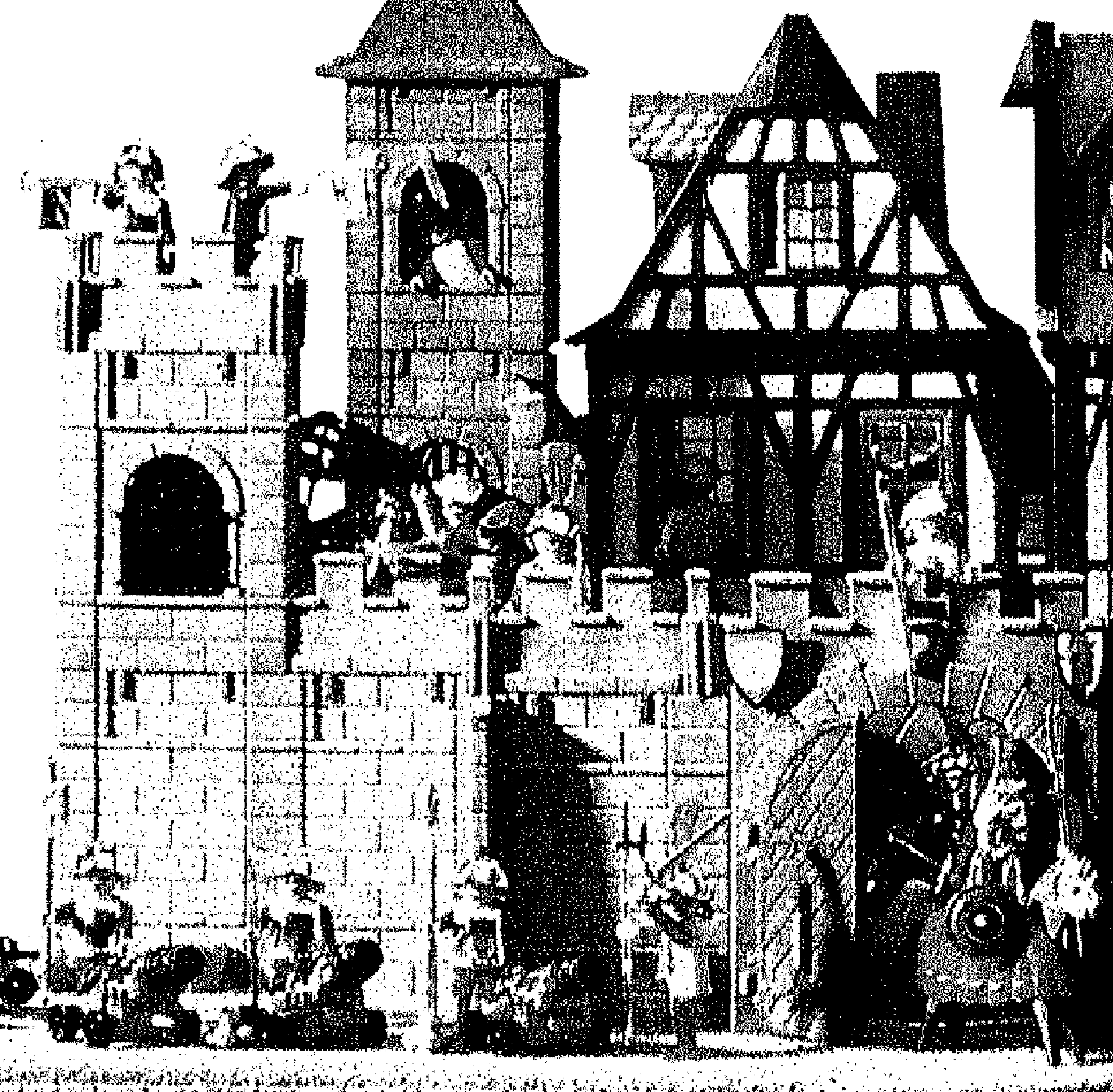
خيّم صمت مطبق على غرفة الاولاد. عندما يلعب ثلاثة صبية في الثامنة من العمر فان السكون مؤشر أكيد للام بأن شقاوةً ما ستُرتكب.

توجهت إلى الغرفة على رؤوس أصابعي، فرأيت ابني كامل وصديقيه طرزان وصافي منبطحين أرضاً يصفّون ملكاً وملكة وعشرات الفرسان والحرّاس والخيول استعداداً للمبارزة. لقد انشغل الثلاثة في «تدشين» ألعاب «بلايموبيل»[1] الجديدة التي اهديناها إلى ابننا.

كوّر طرزان يديه أمام فمه وأطلق ما يشبه صوت بوق، فتبدد السكون. وأخذ الصبيان الثلاثة يحركون الاشكال بأيديهم، وتعاقبوا على تمثيل أدوار الملك والملكة والفرسان المنتصرين والمهزومين.

عندما انتهت المبارزة فككوا مشهد القلعة وبنوا سوقاً ناشطةً. وتحوّل الفرسان تجاراً وحرفيين وغدت النساء زوجات مزارعين.

حصل ذلك قبل عشر سنين. وقبل أيام ذهبت إلى السوق برفقة كامل وطرزان اللذين أصبحا شابين في الثامنة



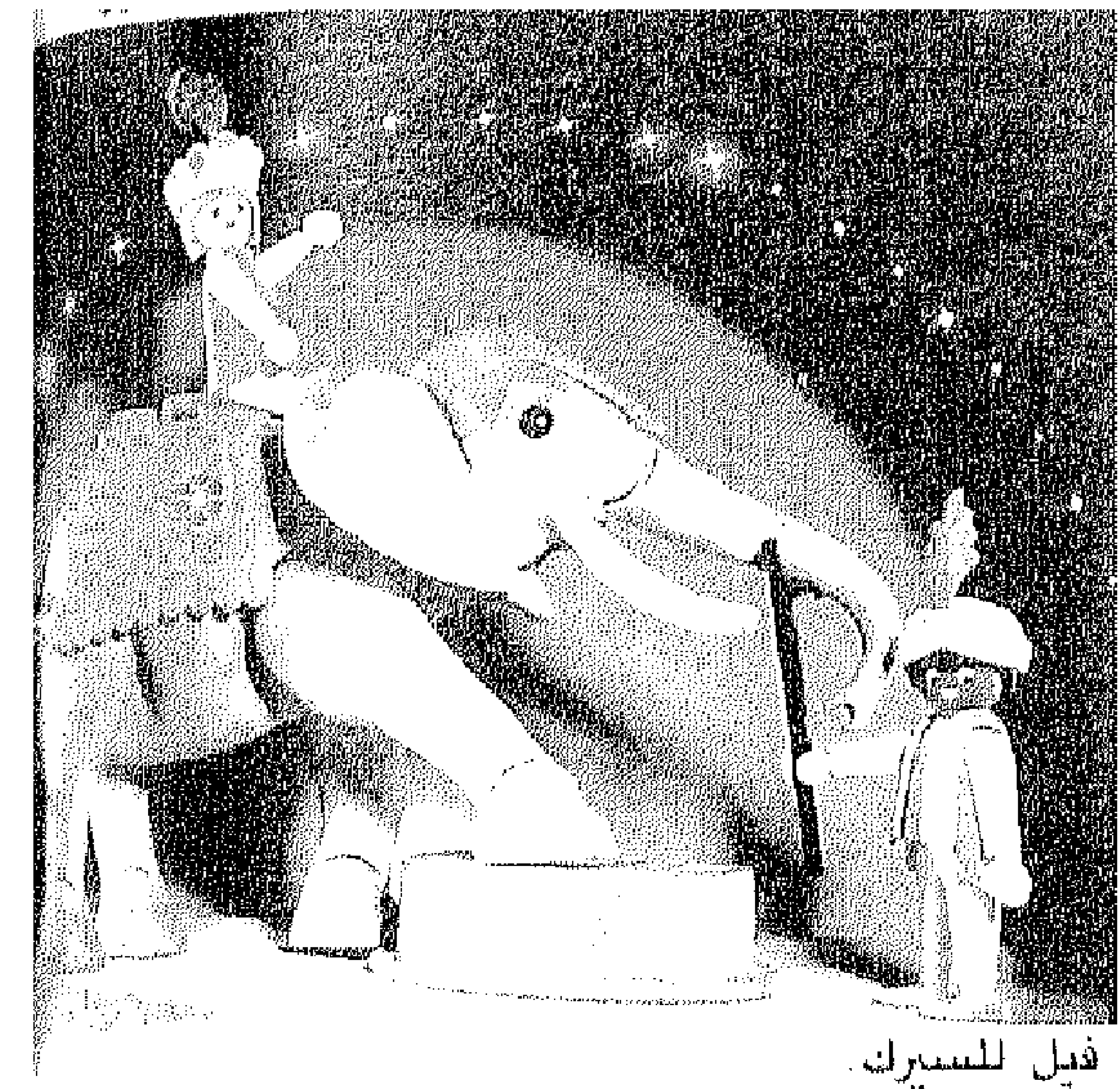
عشرة من العمر. وإذ بهما يتوقفان أمام واجهة متجر يعرض ألعاب طفولتهما المفضلة. فصرخ كامل بحماسة: «أنظر إلى كل هذه الانواع الجديدة، أليس مؤسفاً أننا أصبحنا بالغين لا نستطيع اللعب بها؟»

لقد تحوّلت «بلايموبيل» عالَم ألعاب بعد نشأة متواضعة عام ١٩٧٤ عندما أنزلت إلى الأسواق ثلاث مجموعات في رزم تحوي الواحدة منها خمسة بنائين أو فرسان أو هنود مع ملحقاتها. وهي تقدم اليوم أفكاراً من جميع الأنواع. فهناك ورشات بناء مع رافعات وخالطات اسمنت، وفي امكان الاولاد بناء محطة فضائية أو السفر عبر التاريخ والابحار على متن سفينة قراصنة.

هولا - هوب. «سكان» هذه المشاهد أشكال بلاستيكية يصل طولها إلى ٧،٥ سنتيمترات. وثمة ٧٠٠ مليون قطعة منها في أنحاء العالم. وهي صممت



اطفال في عربة جليد.



فيل للسيرك.

لتروق الاولاد الذين تراوح أعمارهم بين الخامسة والتاسعة. وفي العام ١٩٨٨ وحده استُهلك منها نحو ٦٠٠٠ طن.

رفع هذا النجاح الباهر شركة «جيوبرا براندستاتر» الالمانية الغربية إلى مصافّ كبرى شركات الالعاب العالمية. يقول هورست براندستاتر صاحب الشركة ومديرها: «تكرر على مسامعي طوال سنوات أن منتجات بلايموبيل شديدة التواضع والبساطة. لكننا تعمدنا ذلك، فالالعاب يجب أن تطلق العنان لعواطف الاطفال وخيالهم. ان الالعاب المتنوعة التي يمكنهم ابتكارها بواسطة بلايموبيل هي سبب رواج منتجاتنا.»

قطعت «جيوبرا براندستاتر» أشواطاً كبيرة منذ أسسها أندرياس براندستاتر عام ١٨٧٦ وهو صانع مسدسات وأقفال في فورث. وقد أمضى أربعين سنة في صناعة أشكال معدنية زخرفية، إلى أن بدأ ابنه جورج صنع ألعاب ومنتجات

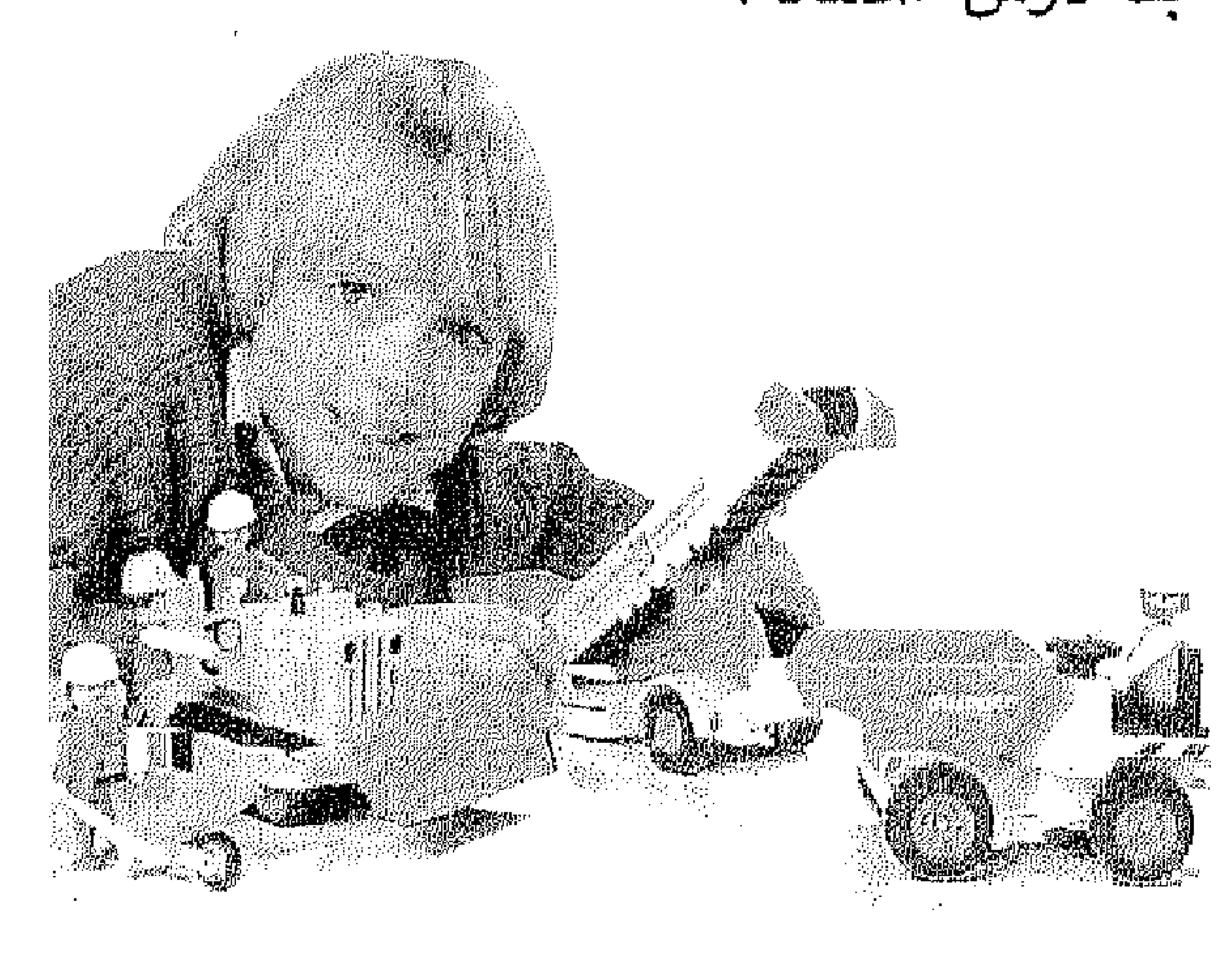
معدنية مختلفة وبيعها. ونُقلت الشركة عام ١٩٢١ إلى زيرندورف احدى ضواحي نورمبرغ حيث لا تزال مكاتبها الرئيسية.

بعد الحرب العالمية الثانية أبدلت الشركة المعدن بالبلاستيك وتركز إنتاجها على لعب الهاتف ولوازم متاجر الالعاب. وعندما وصلت صرعة الـ «هولا - هوب» من الولايات المتحدة في أواخر الخمسينات أحرزت «جيوبرا براندستاتر» نجاحاً باهراً بانتاجها هذه الدواليب للسوق الالمانية.

شجّع هذا النجاح الشركة على العمل في ميادين جديدة: تجهيزات الكترونية ومراكب رياضية مطاطية وزلاجات وسواها. وسرعان ما فتحت فروعاً في مدينتي ديتنهوفن وانترنبيبرت المجاورتين وفي جزيرة مالطا. ويصرِّح هورست براندستاتر مدير الشركة منذ العام ١٩٥٤: «لكن الالعاب ظلّت إنتاجنا الرئيسي.»

صانع الالعاب. بدأ الوضع يتغير في أواخر الستينات. فالمنتجات المفردة، كحصالات النقود والجرارات المصغرة التي يتطلب تطويرها كلفة باهظة، لم تعد تلبي توق الزبائن إلى كل ما هو جديد عندما يحتشدون كل سنة في مهرجان الالعاب الذي يقام في نورمبرغ. ثم إن اليابان وهونغ كونغ اكتسحتا السوق الاوروبية بألعاب بخسة الثمن. فركزت «جيوبرا براندستاتر» انتاجها في ميادينها الأخرى، كما بدأت تنتج طاولات ومكتبات للاطفال.

لكن صاحب الشركة لم يكف عن التفكير في الالعاب. وهو رأى أن مصلحة الشركة هي في انتاج مجموعة ألعاب تُلحَق بها زيادات منتظمة مما يلبي حاجة السوق إلى التجديد، فتؤمن هذه المجموعة أساساً متيناً لا تبطل «موضته» مع الوقت. وفي العام ١٩٧١ طلب من مدير التطوير في الشركة هانس بك درس المسألة.



كان بك نجار أثاث في الثانية والاربعين من عمره ومدركاً لرغبات الصغار. ويقول: «كان لي ثمانية أشقاء وشقيقات وكلهم أصغر مني سناً. وكنت أصنع لهم ألعاباً وحيوانات، ومرة صنعت بيتاً للعبة.»

عاد بك إلى ابتكار أشكال مصغرة. وكان هناك عنصران مهمان في هذه الاشكال: تحرُّك اليدين والرجلين والرأس، واضفاء تعبير محايد على الوجه. يقول بك: «أردت لعبة تثير الطفل


نسكافه
قهوة اللحظات السعيدة!
نسكافه قهوة صافية
محضّرة من أجود أنواع البُن
في العالم.
كوبٌ من نسكافه في الصباح
وفي أيّ وقتٍ من النهار يُعيد
اليك الحيويّة والنشاط.
أهنأ الأوقات تقضيها مع عائلتك
والأصدقاء بصُحبة نسكافه
اللذيذة والمُنشّطة.
نسكافه
قهوة الشباب العصريّ الناجح

وتطلق العنان لخياله.»

بعد أربعة أسابيع عرض بك على رئيسه أول نموذج ملوّن من أشكال «بلايموبيل» البلاستيكية. وعلى رغم بعض الشكوك التي ساورت براندستاتر فانه أعطى الفنان الضوء الاخضر. وهيئت قوالب لاختبار نوع البلاستيك الذي اقترحه بك. غير أن الانتاج لم يبدأ الا عندما هزت الشركة أزمة خانقة.

عملية الانتاج. عندما بدأت أزمة النفط عام ١٩٧٣ ارتفعت أسعار البلاستيك الخام على نحو مفاجىء، وبات إنتاج السلع الكبيرة، كالطاولات، مكلفاً جداً. وهكذا تعرّف الجمهور إلى «بلايموبيل» في معرض نورمبرغ للالعاب عام ١٩٧٤.

وفي المعرض لاقت ترحيباً فاتراً. ويذكر براندستاتر زبوناً قال له: «لقد صنعتَ كثيراً من الاشياء الجميلة وبعضاً من الاشياء المتوسطة الرواج، لكنك لم تصنع أبداً أشكالاً ميؤوساً منها كهذه.» وبعد حين قدّم وكيل دانمركي طلب شراء، فحذا بعض الالمان الغربيين حذوه.

في أواخر صيف ١٩٧٤ حققت «بلايموبيل» نجاحاً فورياً على رفوف المتاجر. وبنهاية العام بلغت مبيعاتها من المجموعات ثلاثة ملايين مارك.[٢] وفي العام ١٩٨١ بلغت العائدات ١٠٠ مليون مارك، وهي حالياً تقارب المئتي مليون مارك سنوياً. وفتحت الشركة فروعاً في اسبانيا وفرنسا وهولندا وبريطانيا والولايات المتحدة وكندا. ويتم تصدير نصف الانتاج. ويعمل في الشركة وفرعها ١٧٤٠ موظفاً، أربعون منهم في قسم التطوير الذي يديره بك. ويقول هذا: «كنت دائماً مقتنعاً بأن بلايموبيل لعبة جيدة لأنني لاحظت العفوية التي تقبلها بها الاطفال، لكني لم أحلم قط بأنها ستحقق هذا المقدار من النجاح.»

وتنتج الشركة اليوم تشكيلة رائعة من الرزم، بدءاً بنموذج واحد مع ملحقاته بـ ٤،٥ ماركات وصولاً إلى جهاز القطار والسكك بـ ٢٥٠ ماركاً. وتصمم كل قطعة جديدة على الورق أولاً، ثم يصنع لها نموذج بلاستيكي يُجعل «مسطرة» للانتاج. وتتطلب الاشكال المنحنية والمتعرجة نموذجاً بضعفي أو ثلاثة أضعاف حجم النسخة الاصلية. ويشرح هانس يواكيم فوهريش مدير الورش في ديتنهوفن عملية الإنتاج: «تقتفي آلة شكل النموذج وتنقل المعلومات إلى أقطاب كهربائية نحاسية تتولى النحت داخل قوالب فولاذية لاعطائها شكل النموذج المطلوب.»

ولانتاج القطع التجارية توصل هذه القوالب بآلات تضخ فيها البلاستيك الخام عبر أنابيب. وخلال ثوانٍ تنفتح القوالب وترمي القطع الناجزة التّي تبرد وتسقط في أوعية واسعة. وتُصنع غالبية ألعاب «بلايموبيل» في أجزاء تُجمع لاحقاً.

وفيما تُجمع الاشكال في مصنع

مالطا، ترسل قطع أخرى إلى متعهدين أو حرفيين يعملون في منازلهم أو إلى مشاغل المعاقين.

أفكار لا تنضب. تجرّب بعض الابتكارات الجديدة في دور الحضانة لاختبار تجاوب الاطفال واياها ومدى متانتها. وقد تبين أن البلاستيك متين جداً. لكن المكنسة الكهربائية هي العدو اللدود للالعاب اذ تلتهم أجزاء صغيرة منها كخوذة سائق الدراجة النارية أو مجرفة صندوق الرمل. لكن «جيوبرا براندستاتر» وجدت الحل في تشكيلة كبيرة من قطع الغيار.

ويشيع استعمال «بلايموبيل» في دور الحضانة والصفوف الابتدائية. وتقول آن كريتنر وهي عالمة نفس مختصة بالاطفال: «يلاقي معظم الاطفال صعوبة في التعبير عن مشاكلهم بالكلمات، وبلايموبيل تتيح لهم تمثيل أدوار مختلفة. فالطفل الذي يعاني مشاكل في المدرسة قد يختار دور المعلم الذي ينهر الطلاب. وهكذا أقف أنا على حقيقة مشاعره.»

و«بلايموبيل» وسيلة فاعلة للعمل مع الاطفال المتخلفين عقلياً. فبواسطة هذه الأشكال يستطيع الاهل أو المعلمون عرض التصرّف المرجو على نحو أبلغ من الكلام.

ويستعين المعلمون بالالعاب لاثارة اهتمام الاولاد المفتقرين إلى حوافز.

ويذكر برنارد فيشر: «عندما كان تلاميذي في الصف الابتدائي الثالث يقرأون قصة صياد سمك وجد بعضهم صعوبة في استيعاب النص ففقدوا اهتمامهم به. وذات يوم أحضرت إلى الصف مركب صيد من مجموعة بلايموبيل، فركبه الاولاد بسرعة متعلمين في الوقت ذاته اتباع التعليمات.» وفي الحصص التالية طلب فيشر من الاولاد قراءة مقاطع من النص وتمثيل المشاهد مستعينين بالمركب. وسرعان ما فهم الاولاد الكتاب جيداً.

على مر السنين حصدت »بلايموبيل« جوائز عدة في التصميم والصناعة. ومُنحت في بريطانيا وهولندا لقب «لعبة السنة.» ونالت في أسوج (السويد) جائزة «برونت» للعام ١٩٨٠. ويقول ليسلوت بي من لجنة «سبيل غوت» لاختبار الالعاب وتقويمها في المانيا الغربية: «لقد عمل الصانعون بفطنة وحس أكيد بالتصميم فجسدوا أناساً حقيقيين في عالم الالعاب.»

سئل هانس بك مرة عن احتمال أن يأتي يوم يعجز هو عن اختراع ألعاب جديدة، فأجاب: «قبل أن أخترع شكلاً أو حيواناً أو مشهداً لبلايموبيل أراقب الطبيعة والحياة اليومية. وأمام هذا التنوّع الذي أراه هناك لا أتصور أبداً أن الافكار ستنفد مني.»

إدلغارد سيمون ■



فنون الدّفاع عَن النفس

إن اتخاذ الموقف الدفاعي الحكيم قد ينقذك من حادث اعتداء

استغرق الحادث ثواني معدودة: عند الغسق، في شارع يعج بالمارة، رحت أسير الهوينا. جزداني يترنح على كتفي ويداي غارقتان في جيبي. فجأة دنا مني رجل آت من الجهة المقابلة ودس ذراعه تحت رباط الجزدان وتابع سيره. وفيما أنا أقع أطبقت ذراعيّ لاشعورياً بإحكام، فجرني في الشارع وأنا أصرخ. لكن أحداً لم يبادر إلى مساعدتي. وأفلت الرجل ذراعه على حين غرة واختفى وسط الزحام وتركني دامية الركبتين ملوية الذراعين.

علمت لاحقاً أن في استطاعة أي امرىء أن يأخذ بعض التدابير الاحترازية البسيطة لحماية نفسه من الاعتداء. وتقضي القاعدة الاولى بألا تظهري مظهر ضحية أو تتصرفي كضحية: كوني متنبهة، وسيري بثبات، وابقي يديك على أهبة للدفاع. أنا كنت الضحية المثالية، أسير ويداي في جيبي حالمة بالحفلة التي دعيت إليها. وقد اختارني المهاجم من بين الحشد ومن بعد ٥٠ متراً على الأقل.

كذلك أخللت بالقاعدة الثانية: لا

ILLUSTRATIONS: ANDREW ALOOF, FROM "WHAT TO DO IN AN EMERGENCY,"

تتمسكي بمحفظتك أو بنفائسك. فما من غرض تقتنينه يعادل سلامتك وحياتك. والتصرف الصحيح الوحيد الذي فعلته هو الصراخ. فما من معتدٍ يحب اجتذاب الأنظار.

كلنا نملك أسلحة فاعلة: أظافير للخدش وأسنان للعض ومرفقين للوكز وركبتين وقدمين للرفس. ولكن يبقى السلاح الأقوى هو التصرف الملائم، وبه يستطيع المرء أن يتخلص من غالبية المعتدين ويصل إلى مكان آمن مهما يكن صغيراً أو عجوزاً أو ضعيفاً.

يحكى أن سيدة في السبعين تملك منها التهاب المفاصل حتى باتت عاجزة عن السير من دون عصا. وذات يوم حاصرها ثلاثة فتيان في زاوية شارع، وكانت قبضت لتوها معاشها التقاعدي. وحاولوا سلبها. فثار غضبها وأوسعت أحدهم ضرباً بالعصا حتى كسرت له ضلعين وأوقعته أرضاً وجلست فوقه في انتظار الشرطة. أما رفيقاه فوليا الأدبار.

يقول سيمون أوليفر الذي يعلّم قواعد الدفاع عن النفس في أحد المراكز الاجتماعية: «لقد نمّى المتقدمون في السن قوة في الشخصية. وموقفهم الواثق ازاء العنف ينقذهم مراراً.»

ويضيف فريد أدامز رئيس جمعية «هواة الكاراتيه» ومدير صفوف الدفاع



اجزاء الجسم الطرية هي الاكثر حساسية. وإذا سببت الماً للمعتدي في هذه الاماكن فقد تكسبين وقتاً يمكنك من الهرب. قاومي اعتداءً أمامياً برفع ركبتك وتسديدها إلى الاربية (اصل الفخذ) او بنقر العينين باصبعين موجهتين.

عن النفس للمواطنين المتقاعدين: «على النساء أن يطلقن عدائيتهن الطبيعية. فالاستسلام قد لا يحمي الضحية من الأذية الجسدية.»

ويلقن أدامز المسنّين حركات سهلة مممت لكي تسبب ألماً مبرحاً فجائياً يلهي المعتدي برهة تتيح للضحية الهرب. وأعطاني برهاناً عندما قرص الجلد تحت ذراعي ولواه وجذبه بحركة

جرائم العنف الذين شملهم الاستطلاع أنهم بذلوا بعض الجهد لحماية أنفسهم. ويعتقد ٦٠ في المئة من هؤلاء أن مقاومتهم كانت مثمرة.

ومع ذلك تتباين الآراء حول جدوى تلقين الناس وسائل الدفاع عن النفس. وتقول هيلين مديرة «الجمعية الوطنية لدعم الضحايا» في بريطانيا: «من الخطر إقناع الناس بأنهم قادرون على حماية



المعتدي من الخلف معرض للاذية فاغتنمي الفرصة وسددي بمرفقك ضربة إلى معدته فيما أنت تستديرين قليلا لدعم الضربة بثقلك.

واحدة. قال: «هذه الطريقة فاعلة في أي جزء طري من الجسم. أما إذا لم يسعك سوى الوصول إلى وجهه، فحاولي الإمساك بشفتيه بين سبابتك وابهامك مستعينة بأظفارك، ثم اجذبي الشفتين والويهما في اتجاهين معاكسين.»

أظهر استطلاع رسمي أجري حديثاً في الولايات المتحدة أن الضحية تكون محظوظة إذا قاومت الإعتداء في بعض الحالات. وأكد نحو ثلاثة أرباع ضحايا

أنفسهم من كل اعتداء في حين يكونون عاجزين أحياناً. كما أنهم في هذه الحال قد يشعرون بالذنب وبأنهم مسؤولون عن الهجوم.»

وتؤكد مصادر الشرطة أن على المرء تقويم الوضع قبل أن يقرر القتال أو الامتثال. لكن الشرطة تؤثر، عموماً، أن يأخذ المواطنون تدابير وقائية حكيمة ويبقوا على استعداد لجبه الخطر. ويقول الرقيب جون بلاي من شرطة لندن التي

تنظم للمواطنين دورات للدفاع عن النفس: «ان ما نريد قوله لكل مواطن من خلال هذه الدروس هو الآتي: لا تكن ضحية مستسلمة. لا تتحدَّ وتقاتل، إنما استغلّ عنصر المفاجأة ثم لذ بالفرار.»

ولكي أتبين الأمر بنفسي. قررت متابعة دورة من ثمانية دروس أسبوعية يعطيها شرطيون متطوعون. وكانت الصفوف مخصصة بالنساء القاطنات في مدينة لندن أو العاملات فيها. أما رفيقاتي في الصف فكن في أوائل العشرينات، وهذا أمر غير مألوف. فالدورات السابقة ضمت نسوة في العقدين الخامس والسادس، وبينهن عجوز تعرضت لثلاثة اعتداءات وأقسمت على ألا تكون ضحية اعتداء رابع.

بدأ مدرسونا، مايك وديان وبول، اعطاءنا بعض التمارين الشاقة على حشية جودو. ثم لقننا بول طريقة لكم المهاجم في أماكن حساسة من جسمه. قال لنا: «عندما تكنّ خائفات حولن شعوركن هذا غضباً واضربن المعتدي تحت أنفه وعلى رقبته تحت الأذن وفي تجويفة العنق. ولكن أضربن بسرعة وبقوة.»

تمرنت مع شريكتي جاكي بحذر شديد أولاً خشية أن تؤذي الواحدة منا الأخرى. فقالت لنا ديان هازئة: «هذا لن ينفع إذا اعتدى عليكما أحد.» ثم استعانت بي لتظهر كيف نضرب مهاجماً بالمرفق على الضلوع بينما نلوي ذراعه إلى الوراء. وأضافت: «يتطلب الأمر حركتين: الاولى للالهاء والثانية لشل المعتدي، هكذا...»، وإذا بي أقع على الحشية في لحظة.

تمرنّا مداورة خلال ساعتين على ليّ الذراعين ورفس مقدم الساق. وكان مايك الذي أمضى ثماني وعشرين سنة كشرطي خاص يصحح أخطاءنا بكياسة ايرلندية: «إذا أمسكتِ بيد الرجل ولويتها إلى الوراء فيمكنك كسر معصمه بسهولة.»



البراجم (العقد) والاصابع الصلبة أسلحة فاعلة لضرب تجويفة العنق بقوة وسرعة.

ازدادت الدروس تعقيداً كل أسبوع. وتعلمنا جمع حركتين أو أكثر للحصول على فاعلية أوفى. ويرى بول أن «المفاجأة هي العنصر الأهم. أنقري عينيه بأصابعك لالهائه، ثم الكمي قصبته الهوائية أو بطنه بمرفقك، ثم سددي بركبتك ضربة إلى إربيته واهربي.»

أنهينا الدروس وقد غمرنا شعور مضاعف بالثقة وبقدرتنا على الدفاع عن

انفسنا إذا دعت الحاجة. وزودنا النصائح الوقائية العملية الآتية: تجنبي السير وحيدة في الطرق المظلمة. وإذا ركبت حافلة فاجلسي بالقرب من السائق أو الحارس أو احدى الراكبات النساء. ابقي أبواب سيارتك مقفلة أثناء القيادة، وأوقفيها في أماكن نيِّرة، وتحققي من داخلها وخصوصاً من المقعد الخلفي قبل ولوجها. وإذا اضطررت إلى ركوب سيارة أجرة فيستحسن الاتصال بمكتب معروف. احرصي على تركيب منظار ومزلاج في باب البيت، ولا تفتحي لغريب.

إن حمل السلاح للدفاع عن النفس أمر خطر ومناف للقانون أحياناً. وليس المقصود بالسلاح المسدسات والبنادق فقط، بل الامشاط الحادة الاطراف والسكاكين والمرشّات الكيميائية. إلا أن رذاذ الشعر (سبراي) والعصي وأجهزة الانذار الشخصية وسائل قانونية. ومفاتيح المنزل أو السيارة أسلحة فاعلة جداً أيضاً، فقد يتسبب المفتاح في اضرار جسيمة إذا استعمل كسكين. تعودي حمل مفاتيح المنزل في يدك قبل أن تصلي إلى المدخل.

ذات يوم في السنة الماضية كنت عائدة إلى البيت في ساعة متقدمة من الليل، فهاجمني أحدهم في الشارع. تملكني الرعب، ثم استبد بي الغضب: فطعنت ظاهر يده بمفتاح الباب وصرخت وأنا أرفسه بقوة على مقدم رجله، وركضت إلى متجر قريب يفتح ليلاً.

وفي اليوم التالي اشتريت جهاز انذار شخصياً بأربعة جنيهات استرلينية (٦،٥ دولارات). وبتُّ أحمله في جيب معطفي، وعندما أضغطه يطلق زعيقاً يوقظ حياً بكامله.

وقد شرع بعض أرباب العمل في اعتماد دورات تدريبية للدفاع عن النفس. أعرف شركة تعرض على موظفيها شريط فيديو عن تقنيات الدفاع عن النفس، وهي زودت جميع الموظفات أجهزة إنذار شخصية. وينظم بعض دوائر الشرطة صفوفاً مجانية للتدريب، كما تعطي نوادي الفنون القتالية دورساً خاصة بأسعار متهاودة.

كلما زادت مهارتك الدفاعية أصبحت أقل عرضة للخطر. ويقترح الخبراء هذه التقنيات البسيطة:

□ أصرخي: «حريق!» ولا تصرخي: «النجدة!» فهكذا يزداد عدد الذين يستجيبون للنداء.

□ علقي صفارة عالية الصوت حول عنقك بخيط ينقطع بسهولة.

□ إذا وقعت أرضاً، أبقي إحدى ركبتيك مرفوعة إلى صدرك، لكي تتمكني من التدحرج ككرة فيصعب تثبيتك.

□ إن ضربة قوية بعقب اليد تسدد إلى ذقن المعتدي كفيلة بكسر فكه.

□ إذا أمسكك أحدهم من الخلف، اجمعي كفك وسددي قبضة قوية بالبراجم (عقد الاصابع) على ظاهر يده.

إليز بيكيه ■

الأب الصالح هكذا يعامل ابنته

أنت تعنى بها وتهتم لها، لكن العبرة التي يوحيها تصرفك قد لا تعزز ثقتها بنفسها واحترامها الذاتي

ان الدراسات التي أجريت على الاناث الناجحات والشهيرات أظهرت أن دور الأب خطير في نشوء ابنته، فللآباء المرشدين تأثير عميق في بناتهم. أنت السند الذكر الأول في حياة ابنتك، فأنت الذي تؤثر فيها مزوداً اياها احترام الذات والثقة بالنفس الضروريين للتحصيل الشخصي والمهني والأساس الراسخ الذي تبني عليه حياتها.

ليس ثمة أسلوب أمثل للتصرف. هنالك أوقات تكون فيها ليّنا وأخرى تكون فيها متشدداً. ولسوء الحظ ثمة آباء كثيرون عالقون بأسلوب واحد، وكل مشهد يمثلونه يستعملون فيه الشريط ذاته.

هنا بعض الأسئلة التي قد تتحداك لاعادة درس مواقفك وأعمالك أو تغييرها. ولا علامة على هذا الامتحان. أنت لا تستطيع قياس حبك كأب، فالقصد من هذا الامتحان هو وعيك أي نوع من الآباء انت، والتشديد على القاعدة الذهبية الخاصة بجميع الآباء الصالحين: ان ما تفعله هو أبلغ تأثيراً مما تقوله.

كل مجموعة من الأسئلة تساعدك على وعي تصرفك والعبرة التي يحملها.

في الأنوثة

١. هل تعذر تصرفاً انفعالياً غير لائق بقولك أو بتفكيرك: «البنات هكذا. انهن أكثر انفعالاً»؟ (هل تعذر تصرفاً انفعالياً غير لائق يبدر من ابنك؟)

٢. اذا ارتكبت ابنتك أخطاء كثيرة في فرض الحساب، فهل تقول أو تفكر: «لا بأس، لا يفرض في الفتيات أن يبرعن في الحساب»؟

٣. هل تجد صعوبة في معاقبة ابنتك اذا كانت دامعة العينين؟



٤. اذا ارتدت امرأة سروال عمل وأصلحت المغسلة في مطبخها، فهل تبدو لك غير ذات أنوثة؟

اذا كان جوابك «نعم» عن هذه الاسئلة فأنت الى حد ما تتقبل النموذج التقليدي للإناث مثالاً مناسباً لابنتك. واذا ظنت ابنتك أن مقومات «الأنوثة» تحدد قيمتها كإنسان، فقد لا تنمي فيها شخصية قوية ولا تهذب مواهبها ولا تحقق أحلامها.

في المجازفة

١. هل تحضّ ابنتك على اكتشاف بيئتها ومحيطها والبحث عن اختبارات جديدة وامتحان قدراتها الجسدية؟

٢. هل تتوانى في تأمين الراحة والطمأنينة لها؟ هل تنقذها حين تبدو مضطربة وكئيبة؟

٣. أتتقبّل عبارة «أنا خائفة» أو «لا أريد أن...» كمبرر لتجنب التحدي؟

٤. هل أريتها مرة كيف تدافع عن نفسها أو شجعتها على أن تتسجل في دورة لتعليم الدفاع عن النفس؟

نظراً الى المخاوف الواقعية حول سلامة بناتنا، ندربهن على أن يكنّ حذرات متنبهات. والنتيجة غالباً أن الفتيات ينشدن ملاذاً تحت جناحي رجل مجازف. ومما لا ريب فيه أن ثمة أوقاتاً تكون الفتاة ـ أو يكون الفتى ـ في وضع خطر وفي حاجة الى مساعدة الراشدين. لكن الحماية المفرطة والاسعاف المبكر قد يعززان الاتكال والخوف.

تفوّق الرجل

١. أتصنع معظم القرارات النهائية في بيتك؟

٢. أتشتكي زوجتك غالباً من أنك تعترضها؟

٣. أيغيظك أن تصرف زوجتك وقتاً اضافياً على مشروع أو صف دراسي يأخذها منك؟

٤. هل تهز كتفيك استهجاناً لاستغلال نساء جذابات في الاعلانات بهدف اغراء المستهلكين بالشراء؟

اذا أجبت «نعم» عن هذه الأسئلة، فقد تحتاج الى اعادة النظر في العبرة التي توحيها الى ابنتك: مهما قلت من كلام حسن عن مقدرتها، فأنت لا تعتقد حقاً أن الاناث هن في مقدرة الذكور أو أن أمورهن هي في أهمية أمورهم.

وقتكما معاً

١. هل تقضي وقتاً مع ابنتك، وحدكما؟

٢. هل تصحب ابنتك الى السوق لشراء ملابس لها؟

٣. هل تبحث مع ابنتك في أمور مالية أو في توظيفات واستثمارات؟

٤. هل أخذت ابنتك مرة الى مقر عملك؟ هل بحثت معها يوماً في شؤون تجارية أو مهنية؟

٥. هل تأخذ ابنتك في مهمات «خاصة بالذكور» كالذهاب الى متجر لقطع السيارات أو الخردة؟

٦. هل علمتها يوماً كيف تصلح الأدوات والآلات؟

٧. هل تصحب ابنتك الى مباريات الكرة؟ هل تحضر المباريات التي تشارك فيها؟

أهم كلام سمعته من الآباء هو أن كثيرين يريدون قضاء وقت وحدهم مع بناتهم، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون. قال أب: «فكرت في أن كل ما أستطيع فعله هو أن أصطحبها الى عشاء أو غداء أو الى السوق.»

مثلما يتمتع الأب برفقة ابنه، كذلك يتمتع برفقة ابنته. ثمة قاعدة أساسية هي: ما تستطيع أن تفعله مع الابن تستطيع عادة أن تفعله مع الابنة.

خذ ابنتك الى رحلات ترفيهية، الى ألعاب كرة القدم، الى المرأب لتعمل على السيارة. فهي، في معظم الحالات، ستكون مسرورة جداً بأن ترى أنك كلك لها بحيث لا تبالي ماذا أنتما تفعلان معاً.

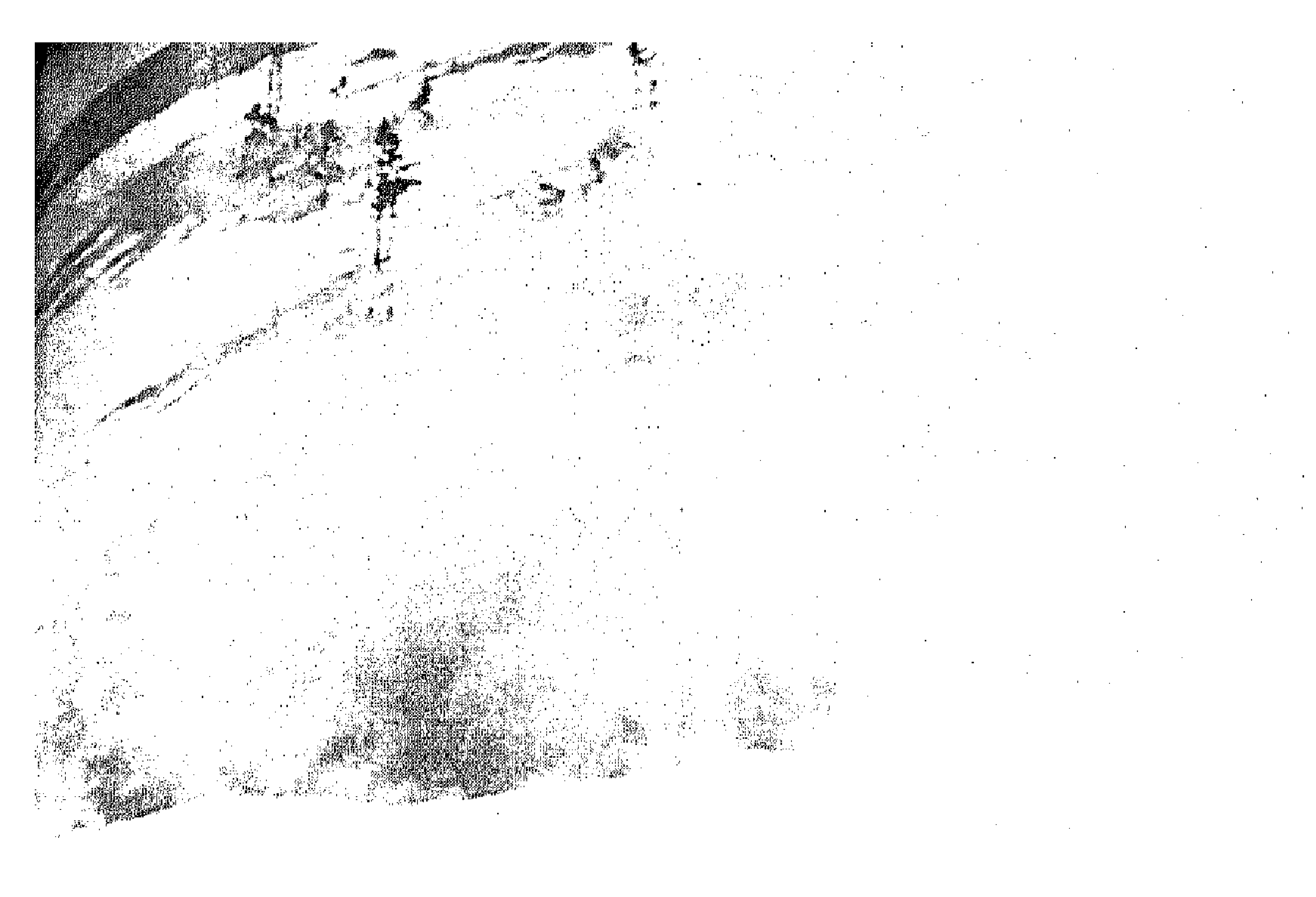
قد يكون هذا انطلاقاً نحو مقاربة جديدة لدورك كأب، تكون في النهاية أكثر إرضاء وابهاجاً مما تتخيل.

نكي مارون ■

مهم لأصدقائنا أن يشعروا بأننا نصارحهم القول بلا حدود. ومهم لصداقتنا أن نتحاشى الصراحة المطلقة.

م.م.


عي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana
سيريلاك
Cerelac
Rice بالأرز
سيريلاك
Cerelac
Wheat-4 fruits
سيريلاك
Cerelac
Wheat-
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك بالملعقة
عندما يبلغ طفلك شهره الرابع
لا يعود الحليب وحده يكفيه .
عليك بوجبة من سيريلاك
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم مذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناصر
الغذائية الأساسية التي تؤمن
لطفلك نموا متناسقا
وسليما .
Nestlé
تضمنه



مأساة واقعية

الكابوس الأبيض

سمع الشابان فرقعة حادة ثم انهال الثلج ودفنهما

كان الخامس والعشرون من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٨ قارساً وكئيباً في دورانغو (كولورادو) المكللة بالثلوج، والطقس ينذر بمزيد من الثلج. ومع ذلك قرر بريت وودز وكيث كاثكارت تسلق تلة شديدة الانحدار تعلو ١٥٠ متراً بغية رؤية مشهد للبلدة من فوق بجمال بطاقة بريدية.

لقد أمضى الشابان عطلة موحشة، لكنهما حاولا الافادة منها الى أبعد الحدود. فقبل بضعة أشهر قطع بريت علاقته بخطيبته التي زفت بعد حين الى رجل آخر. أما كيث فكان يعيش وحيداً في شقة صغيرة بعيداً عن أهله وخطيبته كاري ويكس الساكنين في سيملا بولاية كولورادو. ولم يستطع كيث الحصول

على اجازة لتمضية العطلة معهم. كان هذا الشاب الودود (١٩ عاماً) عمل في مطعم محلي للبيتزا حيث يشغل بريت منصب مدير مساعد. واذ لم يكن لدى كيث أي مشاريع لليلة الميلاد، قرر بريت أن يدعوه الى منزل والديه. وكان قدومهما متوقعاً في الرابعة بعد الظهر.

قرابة الثالثة والنصف أوقف بريت سيارته وتوجه ورفيقه نحو التلة. وفي أثناء تسلقهما شعرا بسكون تام يخيم على المنحدر. في الأيام القليلة الماضية سقط ثلج بكثافة ٤٥ سنتيمتراً وحدثت مئات الانهيالات الثلجية في الجبال الواقعة شمال البلدة وشرقها. وحُذِّر من انهيالات أخرى يوم عيد الميلاد، لكن الشابين كانا يجهلان الأمر. وحتى إن علما لما قلقا، فهذه التلة تقع في نطاق البلدة، والطريق تحتها تعج بحركة سير كثيفة.

وبينما هما يجتازان الكوم الثلجية المتراصة شعرا بصعوبة في التنفس. وعلى ارتفاع نحو ٣٠ متراً قال كيث: «أريد أن أرتاح.»

توقفا يلتقطان أنفاسهما. وعلى مدى عشر دقائق جلسا يراقبان قطع الجليد الطافية في نهر أنيماس الجاري عبر هذه البلدة الحدودية التاريخية.

فجأة سمع بريت طقطقة ثم انهار الثلج تحتهما. وتدحرجت كتلة ثلجية صغيرة جرفتهما. وبلغا أسفل المنحدر سالمين ولكن مرتجّين. وقبل أن يتمكنا من الوقوف انهار فوقهما جدار ثلجي.

لم يتسنّ لبريت ان يصرخ، فقد غمره الثلج. وراح يسعل جاهداً لتنشق الهواء. وانقلب خوفه هلعاً عندما خطر له أنه سيختنق. فأخذ يحرك رأسه مسعوراً الى أن أحدث جيباً هوائياً صغيراً داخل الثلج.

دفنتهما الكتلة الثلجية خلال لحظات. وخيم الهدوء على التلة. وعلى بعد بضعة أمتار كانت السيارات تعبر الطريق مسرعة. لم يرَ أحد الجدار الثلجي يدفن الشابين.

قفّاز في ثقب. كان بريت يخاف الاماكن المغلقة. وها هو يعيش كابوس الاحتجاز. ولما كان محبوساً في وضع الجلوس فلم يتمكن من تحريك رأسه الا قليلاً. وكانت ذراعه اليسرى عالقة في شكل زاوية قائمة بعيداً عن وجهه مسافة ١٥ سنتيمتراً. وشعر كأن رجليه مثبتتان بالإسمنت، وأن ساقه اليمنى ملتوية تحت ركبته. حاول جاهداً السيطرة على هلعه المتنامي. كان يعلم أن أمله الوحيد في النجاة هو بالتزام الهدوء، كما كان يعرف السرعة التي تتجلد بها ذرات الثلج، لكنه قرر ألا يستسلم.

«كيث!» صاح بريت منادياً صديقه. فلم يأته جواب.

وتراءى له نور يرشح من الثلج، فظن أنه ليس بعيداً عن السطح وتمنى لو يستطيع أن يحفر مسرباً للهواء.

شد بكد حتى حرر ذراعه اليمنى

وراح يخدش بها الثلج. وفيما هو يحفر كان ينادي كيث ويصلي لكي يرد عليه. ثم جاءه الجواب: «النجدة يا بريت، أخرجني من هنا!»

أدرك بريت أن كيث حي فشكر الله وناداه: «كيث، أين أنت؟»

كان صوت بريت قريباً، فدفع كيث ذراعه اليمنى جانباً حتى لامست حذاء بريت.

صرخ: «يا بريت، اننا قريبان جداً. يجب ألا نتوقف عن الكلام.» كانت ذراع كيث اليسرى عالقة أيضاً في شكل زاوية قائمة، ولم يكن يسعه أن يزحزح ساقيه. فحفر برأسه متسعاً أكبر للتنفس. وعندما رفع نظره ارتاح لرؤية ثقب في سطح الثلج قطره خمسة سنتيمترات، فنادى بريت: «هل يمكنك الخروج؟»

أجابه هذا: «انني أحاول.» وكان يعلم أن عليه الخروج وتنشق الهواء النقي لأنه بدأ يشعر بدوار، وأدرك أنه إذا غاب عن الوعي فقد يختنق.

حاول بريت الوصول بيده اليسرى الى السطح، فنزع بفمه قفاز التزلج الثخين الجديد وأخذ يدفعه عالياً بكل قوته، ومع ذلك لم يتمكن من اختراق الثلج. ثم راح يقذف القفاز عالياً الى أن انهار السطح. وأحس بريت دفق الهواء يملأ رئتيه.

بعد ذلك أخذ بريت يرمي القفاز عالياً عبر الحفرة التي أحدثها كلما سمع صوتاً. كان هذا مرشدهما الوحيد الى العالم الخارجي والدليل الوحيد على كونهما مدفونين تحت كومة الثلج الضخمة.

غيبوبة فوفاة. على بعد أقل من كليومترين كانت الروائح المنبعثة من أطعمة العيد تعبق في منزل آل وودز. وكانت أم بريت كارولين وأبوه تيري وشقيقته بام القادمة من الجامعة، يتشوقون الى بدء الوليمة.

كان آل وودز عائلة متماسكة. ولما كان الولدان يعيشان بعيداً عن البيت فقد كانت لهذا اللقاء اهمية كبرى للجميع. وكانوا فتحوا هداياهم عشية العيد، وسر بريت خصوصاً بقفاز التزلج الأزرق.

انها الرابعة والنصف، والعشاء جاهز. وتساءلت كارولين بصوت عالٍ: «أين بريت وكيث؟»

فقال الأب: «ربما تعطلت سيارتهما.» وكان بريت «ورث» سيارة أخته الستايشن القديمة البالية.

في الخامسة اقترح تيري بدء تناول العشاء، وأضاف: «سنسخن لهما الطعام حالما يصلان.»

على منحدر التلة حاول بريت تجاهل الألم في ساقه. فكر في الوقت الذي أضاعه في حياته وفي كل الأمور التي سيفعلها اذا كتبت له النجاة.

كان يسمع صدى انسياب السيارات المسرعة على الطريق. وحاول جاهداً ابقاء القفاز عالياً آملاً أن يلحظ أحد السائقين

القماش الأزرق المنتصب فوق الثلج، أو ان يرى أحد الأصدقاء سيارته المتوقفة على جانب الطريق. ومضى يصرخ: «النجدة! نحن هنا! النجدة!» الا أن الرصيف كان على الجهة الأخرى من الطريق، فأدرك بريت أن من المستحيل أن يسمعه أحد المشاة.

بدأ الظلام يخيم، لكن بريت رفض الاستسلام. كان يعلم أن عليه وكيث متابعة الحفر والأمل. «كيث، هل أحرزت تقدماً؟»

فأجابه: «كلا، أكاد لا أتحرك. هل اقتربت من السطح؟»

«انني أعمل على ذلك، وسنخرج من هنا قريباً.» كان بريت يدرك أن حظهما في الخروج ضئيل، وأن هبوط حرارتهما أصبح وشيكاً، وأن الغيبوبة ستتبع ولن تتأخر الوفاة بالتالي.

وقع أقدام. انها السابعة والنصف، وكان آل وودز اتموا العشاء قبل وقت طويل. الأب في غرفة الجلوس يستمع الى نداءات الشرطة على جهاز الارسال لديه، وهو لم يستطع طرد خوفه من أن تجيب الآلة السوداء الصغيرة في أي لحظة عن السؤال الذي يشغل باله: أين بريت وكيث؟

في تلك الأثناء دخل الشابان شبه غيبوبة لهبوط درجة حرارة جسديهما. كان الثلج يسقط بغزارة ومصباح الشارع يرمي وهجاً مخيفاً على موقع الانهيال الثلجي. ومر شخصان على بعد أمتار من المكان، الا أن الشابين لم يسمعا وقع أقدام لترجحهما بين الغيبوبة واليقظة، فتابع العابران طريقهما.

حين عاد بريت الى وعيه شعر بألم في ساقه اليمنى الملتوية وفي أنحاء جسده. وفي ما عدا ذلك لم يتغير شيء من عالمه المروع. شد ساقيه محاولاً تحريرهما وهو يئن: «ليت هذا حلم.»

كان كيث يقظاً ويحاول أيضاً تحريك ساقيه من دون جدوى. أخذ يردد أغنيات يحبها بغية رفع معنوياته. وفكر في عائلته وخطيبته كاري وقال لنفسه: «لن أموت، انهم يحتاجون الي.»

توقف الشابان عن الكلام بغية توفير طاقتهما للحفر. وأحياناً، عندما كان بريت ينادي كيث، لم يكن يتلقى جواباً.

اتصلت كارولين وودز من جديد بمسكن بريت كما فعلت مراراً خلال فترة المساء، ولكن لا جواب. حاولت ألا تقلق مقنعة نفسها بأن بريت بخير. ولكن كلما تقدم الوقت ازداد قلقها، فراحت تصلي: يا رب، لا أدري ماذا حصل لإبني. أتوسل اليك، ردّه الى بيته سالماً.

في العاشرة مساء كان مر على طمر الشابين ست ساعات ونصف ساعة. فقد كيث حسه بالمكان والزمان، أما بريت فكان يصفع وجهه ليبقى مستيقظاً، ويقول لنفسه: سأموت متجلداً اذا غفوت.

فجأة خيل اليه أنه سمع وقع أقدام،

لكنه ظن أنه يتوهم. ولبث هادئاً صامتاً، فتأكد له أن ثمة أحداً ما في الخارج. أخذ يصرخ: «تعالوا الى هنا! النجدة!»

وجه خير. في الخارج كان العابران هما الزوجان اللذان مرا من قبل وهما في طريق العودة. توقفا وراحت المرأة تصغي بانتباه. فأدركت أن الصوت آت من التلة.

رفع بريت قفازه فوق الثقب الصغير ولوح به منادياً: «النجدة! أخرجوني من هنا!»

اقترب الزوجان من المنحدر، فرأى الرجل شيئاً أزرق ينتصب فوق الثلج، وسمع صوتاً خفيضاً ينادي: «النجدة!»

صرخت المرأة: «هناك رجل مدفون في الثلج.»

هرعا نحو القفاز وسحبه الرجل خارجاً وحدق داخل الحفرة. ثم قال: «لا تخف، سنخرجك من هنا.»

نظر بريت الى وجه الرجل والبهجة تغمره.

راح الزوجان يحفران بأيديهما بضراوة، الا أن الثلج كان متجلداً ومتراصاً. ركضا الى الطريق وأخذا يلوحان للسيارات المارة. وطلبا من أحد السائقين الاتصال بالإسعاف. وأخرج سائق آخر رفشاً من صندوق سيارته وتوجه الى المكان وراح يحفر.

بعد قليل شعر بريت بأيد تنتشله، ثم بمعطف يُلف حول جسده المتجمد. فقال لمنقذيه: «صديقي مدفون هناك.»

وسرعان ما وصلت سيارة اسعاف وفيها تقنيون طبيون متخصصون بالحالات الطارئة. واخذوا يحفرون لانتشال كيث.

كان الشابان في حال خطرة عندما وصلا الى مركز «مرسي» الطبي. فقد هبطت حرارة بريت الى ٣٢ درجة مئوية كما هبطت حرارة كيث الى ٢٩,٥ درجة. وقد اختلّ انتظام نبضهما وأصيبا بتمزقات في العضل. وعجب طبيب غرفة الطوارىء من بقائهما قيد الحياة، لأن معظم ضحايا الانهيالات الثلجية الذين يدفنون مدة مماثلة، لا ينجون.

أمضى الشابان بضعة أيام في المستشفى. لم يصابا بأعطال دائمة، لكن محنتهما أكسبتهما نظرة جديدة الى الحياة.

صمم كيث على الزواج بخطيبته كاري، وعلى متابعة دراسة ادارة الاعمال وميكانيك السيارات وانشاء مرآب لاصلاح السيارات. وحظي بريت بوظيفة جديدة في شركة مطبعية. وتعرف الى فتاة جديدة تزوجها بعد أشهر.

وفي خضم عملية نقل الشابين الى المستشفى لم يلحظ أحد أن الزوجين اللذين أنقذاهما تواريا. إنهما بطلان مجهولان حملهما القدر في ميلاد مثلج.

رينا دكتور لوبلان ■

أَجِّلْ دائماً إلى الغد ما لن تفعله أبداً. م.م



عيادة نفسية لـ... الكلاب

كان المريض كلباً صغيراً جميلاً لكنه يدعو إلى الشفقة. وشرحت صاحبته الأعراض للدكتور روجر مغفورد. رأى الطبيب أن الكلب يعرج فعلاً لدى سيره في الغرفة، وأنه يئن على نحو يثير الشفقة إذا حاولت صاحبته أخذه في نزهة، مما يضطرها إلى حمله.

لم تظهر صور الأشعة أي شيء يبرّر هذا الألم المبرح. واعترف عدد من الأطباء البيطريين بالحيرة إزاءه. لكن روجر مغفورد الخبير بأساليب الكلاب كانت له شكوكه، فأصرّ على أن يرافق الكلب في نزهة.

ظلّ الكلب يعرج بألم حتى تواريا عن المنزل، ثم راح يهرول بفرح إلى جانب الطبيب. وما ان لاح المنزل في طريق العودة حتى بدأ الكلب يعرج من جديد. وفي الباب كانت صاحبته تنتظره فحملته بعطف ودللته بحنان.

عندما أخبرها مغفورد ان العرج

PHOTOGRAPHS: JULIAN NIEMAN

والأنين ليسا إلا خدعة ذكية لاستدرار العطف رفضت تصديقه. فأحضر من سيارته آلة تصوير فيديو، وبعد نزهة أخرى قدم الدليل في فيلم. يقول: «الكلاب بارعون في تلاعبهم بالناس.»

روجر مغفورد صاحب شهرة دولية كمستشار في سلوك الحيوان. انه في الثالثة والاربعين، قوي البنية، لطيف المعشر، بسيط الملبس. وهو يزاول المهنة مع فريق يضم ثلاثة زملاء آخرين في تشرتسي بمقاطعة صاري البريطانية. وهم يقومون بزيارات تفقدية منتظمة لمراكز طبية في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ويعاينون أكثر من ألفي حيوان مريض سنوياً، يحيلها عليهم جراحون بيطريون.

يقول مايكل صموئيل رئيس أحد المستشفيات البيطرية في صاري: «نرسل إلى روجر تلك الحيوانات التي تعاني أحوالاً صعبة ذات خلفيات عاطفية ومزاجية. ثمة عدد لا يحصى من الحيوانات الأليفة الحية اليوم والتي كانت ستنفق لو لم يكشف روجر علتها.»

من السيد؟ يراوح مرضى مغفورد بين ببغاوات أوسترالية مصابة بالهستيريا وجياد ترفس أصحابها. لكن الغالبية كلاب، بما فيها الويلزية التي تعض الكواحل. ويعجب مغفورد مما يتحمله أصحاب هذه الحيوانات قبل طلبهم النصح. ومنهم سيدة عانت مصاعب مع كلبها الالزاسي المشاكس، فعمدت إلى ضبط ساعتها المنبهة لتوقظها في منتصف الليل لتأخذه في نزهة لا يصادفان فيها كلاباً أخرى.

يقول مغفورد: «يجد الزبائن أنفسهم منعزلين إذ يتوقف الاصحاب عن زيارتهم. ولعجز مرابي الكلاب عن التكيف وهذه الحالات، يمتنع أصحاب الكلاب المزاجية عن تمضية عطلهم خارج المنزل. ويصبح الكلب محور المشاجرات العائلية. والعيش مع حيوان سيىء الطباع يقود إلى الجنون.»

المشكلة الاكثر شيوعاً هي التعدي. ويؤكد مغفورد أن الكلب الأليف يظل في صميمه حيواناً يجب الانتماء إلى مجموعة، وهو في حاجة إلى مرتبة له ضمن العائلة. فإذا حسب مرتبته عالية جداً فقد يهاجم الزائرين الذين يعتبرهم غزاة لممتلكاته، أو يتحكم بأفراد العائلة المتساهلين الذين لا يظهرون سلطة عليه.

كان لاحداهن كلب صيد يرفض السماح لها بأن تجلس في أريكتها. وهناك زبونة أخرى كانت تعيش في خوف من كلبتها التي كانت تطردها من المطبخ وتتعلق بزوجها وتهرّ بشراسة كلما اقتربت هي منه.

ينصح روجر مغفورد بحرمان الحيوانات العدائية أي امتيازات تعزز غرورها: امنعوها من الجلوس على الكراسي والاسرّة أو في الاحضان. تجنبوا وضع أنفسكم في مستواها أثناء ممارستكم وإياها ألعاباً خشنة. اجعلوها تأتي إلى أقدامكم.





تفاهم بين مغفورد والكلب



الضغط القوي على الخطم يؤكد من هو السيد

يقول: «عليك أن تكون مسيطراً.» احدى الطرق للقضاء على غرور الكلب هي وضع اليد على خطمه والشد إلى أسفل، تماماً كما يفعل قطيع الكلاب بأحد رعاياه لترسيخ قيادته.

جارة طيبة. تبين لمغفورد أن اضطراب الكلب ينتج أحياناً من علاقته بصاحبه. «أوليفر» كلب صيد يوركشيري صغير أحضرته إلى العيادة سيدة أعمال ناجحة شكت من أنه يمسك بسروال كل رجل يدخل مكتبها ويحاول عضّ كاحله. وبينت تحريات مغفورد أن صاحبة «أوليفر» السابقة كانت تقفل عليه كلما زارها خطيبها. ليس مستغرباً إذاً أن يعتبر الكلب كل الرجال أعداء له. ولاحظ مغفورد أن المشكلة كانت تتفاقم كلما حملت السيدة كلبها الصغير لابعاده عن الزوار. فعندما يصبح بين ذراعيها يزداد غروره بسبب حصوله على دعمها.

نصيحة مغفورد: «اعكسي الوضع بحيث يصبح الزائرون حاملي تجارب حسنة وحرية زائدة عوض النكران والاحتجاز.» كان على صاحبة «أوليفر» أولاً أن تنهره لعدوانيته أو أن تعاقبه عليها. ثم دربته على الجلوس على حصير بعيداً عن الباب حيث يكافئه الزائرون بطعام لذيذ.

وتتطلب القضايا تحريات متعبة أحياناً كثيرة. مرة جاءه زوجان في محنة، إذ كانا يخشيان احتجاز كلبهما «الدوبرمان» وتصفيته بسبب شكاوى من نباحه المتواصل كلما غابا عن المنزل.

عندما تحدث مغفورد إلى الجيران تبين له أن جارة واحدة على الأقل كانت تحب الدوبرمان، وهي اعترفت بأنها كانت تمرّر له الأطباق الشهية عبر فتحة البريد كلما نبح آملة في إسكاته. وهكذا كانت تزيد الامور تعقيداً من غير قصد، إذ ان الكلب كان ينبح طالباً المزيد.

كان الحل في اتباع أسلوب معاكس. أعطيت الجارة الطيبة مفتاحاً، مع تعليمات بأن تنتظر الفترات القصيرة التي يتوقف فيها الكلب عن النباح، وعندئذ فقط تدخل البيت لتلاطفه وتقدم اليه الطعام. فتوصل الدوبرمان إلى ادراك أن سكوته هو الأسلوب الأجلب مكافأة له. ودفع صاحباه فاتورة روجر مغفورد بارتياح كبير.

لا تضربوا! ينبع فهم مغفورد للحيوانات من نشأته الريفية في مزرعة والده. وبعد حصوله على شهادات في علم النفس وعلم الحيوان ونيله درجة دكتوراه، عمل في شركة كبيرة لانتاج أطعمة للحيوانات الأليفة. وكانت وظيفته اجراء أبحاث عن الأسباب التي تجعل الناس يشترون صنفاً من دون آخر ومعرفة «رأي» حيواناتهم فيه.

ذعر مغفورد لاكتشافه، من خلال احدى الدراسات، أن واحداً من كل عشرة أصحاب كلاب في بريطانيا يفكر في القضاء على كلبه لأسباب مسلكية. فتخلى عن وظيفته في العام ١٩٧٩ ليعمل مستشاراً.

في بعض الأوقات اقتصر عمله على معاينة حيوان واحد في الاسبوع. لكن مع نهاية السنة الاولى كان مغفورد عاين مئة حيوان. وفي السنة التالية ثلاثمئة ثم ألفاً. وبعدما شكل فريقاً محترفاً ازدادت الاعداد باطراد. ومن أهدافه توعية الاطباء البيطريين إلى ما يمكن تحقيقه، لذا فهو يكتب ويحاضر لنشر معرفته التي اكتسبها بالكد.

الحيوانات العدائية أو الخطرة التي تسبب جلبة وفوضى في عيادة مدينية تحضر إلى مقره في احدى مزارع تشرتسي؟ ونسبة نجاح معايناته تبلغ ٨٠ في المئة، أي انه نادراً ما يحتاج إلى معاينة كلب أكثر من مرة واحدة.

في المزرعة يتقاسم هو ومساعدوه الشباب مكتباً فوضوياً بهيجاً مع ستة حيوانات أليفة تخصهم بما فيها كلب مغفورد الابله «سام» ودوبرمان جليل. يقول مغفورد: «تشكل هذه الحيوانات جزءاً من الفريق بسبب طبائعها المختلفة. فردود فعل الحيوانات المريضة تجاهها، أكانت عدائية أم خجولة، قد تكون المفتاح المناسب لمعالجة المشكلة. ما نفعله هو اعتماد موقف علمي مهتم وعطوف لتعديل سلوك الحيوان، هو نقيض ذلك التدريب الذي يعتمد العقاب. إنه اسلوب أبسط وأكثر لطافة.»

يصر مغفورد على أن ضرب الكلب ليس عملاً فظاً فحسب بل هو غير مُجد أيضاً. فما لم تتبع العقوبةُ الحماقةَ المرتكبة خلال ثانية، فلن يدرك الكلب الرابط بينهما. وتكون النتيجة الوحيدة الارتباك والخوف.

ويعارض مغفورد بشدة استعمال السلسلة الخانقة: «هل ترضى بأن تضع عنق أعز صديق لديك في أنشوطة جلاد؟» لذلك اخترع طوقاً خاصاً بالرأس يدعى «هالتي» يمنح أصحاب

الكلاب سيطرة ألطف على كلابهم. ويسوّق هذا الطوق اليوم في ١٨ بلداً.

ينصح مغفورد ببحث المشكلة السلكية - وهي أكثر الامراض تهديداً لحياة الكلب - مع طبيب بيطري أولاً للتحقق من أي مرض جسدي. ذات مرة في لندن عاين كلباً اسكوتلندياً ساءت طباعه على نحو غير مبرر. فلاحظ أنه يمضي وقتاً في لحس قوائمه وفروه.

ذات يوم رافق مغفورد كلباً وصاحبه في نزهتهما، فوجد أن خط سيرهما يمر بأرصفة قذرة وطريق مكتظ حيث الهواء ملوث بدخان السيارات. وأظهرت فحوص الدم أن الكلب أصيب بالتسمم الرصاصي في محاولته تنظيف بدنه. وبعد تعديل نظامه الغذائي ونمط تمارينه تحسنت حاله وشفي.

وللكلاب حقوق. من مرضى مغفورد كلاب حسنة السلوك تتحول مخربة عندما تترك وحدها، مثل «ماكس» وهو كلب «لابرادور» تملكه ايفون هاوز من لندن.

كانت ايفون وزوجها يعملان خارج البيت. وكانت عاملة تنظيف تأتي إلى المنزل كل صباح، وأحد الجيران يخرج «ماكس» في فترة بعد الظهر. وعلى رغم ذلك كانت قسوة الوحدة فوق طاقته. تقول ايفون: «تطور به الامر من لوك الأحذية إلى لوك الكتب فأشرطة التسجيل، حتى لم يبقَ شيء في مأمن منه.»

وبعد تحطيمه أريكة وطاولة لجأت ايفون إلى روجر مغفورد. فارتأى هذا، عوض ملاطفة «ماكس» لدى مغادرة المنزل في الصباح، أن يكون الزوجان فظّين معه بحيث يرتاح إلى رؤيتهما يغادران المنزل. أما اظهار المودة فيكون عند عودتهما، وبدل أن يظهرا الغضب من الخراب الذي أحدثه، عليهما ملاطفته واطراؤه: «سيتعلم أن الفراق يأتي أولاً ويتبعه الحب.»

وتقر ايفون بأنها وزوجها لم يقتنعا بكلام مغفورد بادئ الامر، لكنهما نفذا النصيحة. كانا يتركان الكلب لفترات قصيرة، لكنهما خفّفا قلقه بتركهما أشياء معزية تذكره بهما، كجهاز راديو دائر أو ثياب قديمة يتخذها فراشاً.

وتذكر ايفون: «ذهلنا للسرعة التي نجحت بها الطريقة. فخلال أسبوعين لم يعد يلوك جميع محتويات الغرفة. وخلال شهر توقف عن اللوك كلياً.»

ويرى مغفورد أن الطريقة المثلى لتفادي مشاكل مكلفة كهذه هي بتعويد الجرو ملازمة المنزل وحيداً منذ بلوغه الاسبوع العاشر.

ويضيف أن من الصعب على أي كلب القيام بدور الرفيق الوفي: «حياة من السكون البليد تقطعها من حين إلى آخر اثارة عارمة أو وجبة غنية. فلا عجب ان ضلّ سواء السبيل.» يجلب أصحاب الكلاب المشاكل على أنفسهم لعدم ادراكهم أن الكلابَ أيضاً تحتاج إلى مشوِّقات، سواء أكانت نزهات ممتعة أم

ألعاباً مطاطية.

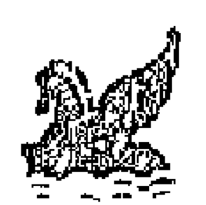
ويؤكد مغفورد أن لكل نوع من الكلاب خصوصياته المسلكية. فكلاب اللابرادور شديدة الحاجة إلى الرفقة البشرية. و«الكولي» شديدة التوتر. و«السبانيل» شبقة.

كلاب الدوبرمان قليلة الذكاء لكنها رقيقة القلب. والالزاسية واليوركشيرية مفرطة في عدائيتها وشعورها بالملكية الخاصة.

ويبدو أن الناس يستطيعون غالباً حل مشكلة مسلكية من دون مساعدة مغفورد، بتفهمهم وضع حيوانهم الاليف ولجوئهم إلى بعض المنطق.

أحضر إليه مرة كلب سيبيري قص صوفه الطويل أكثر مما ينبغي. وأخبر صاحبه مغفورد أن الكلب مصاب بانهيار عصبي إلى درجة أنه امتنع عن مغادرة المنزل. قال روجر: «ذلك ليس انهياراً عصبياً. كلبك، ببساطة، يشعر بالبرد ويرفض أن يخرج في منتصف الشتاء من دون معطف.»

بيتر بروان ■



طبخة رجال

أقيم مهرجان الحصاد السنوي في قريتنا. وفي أحد الأكشاك رأينا بضعة رجال يطبخون حساء الفاصولياء في قدر كبيرة فوق نار الحطب، وقد رفعوا لافتة كتبوا عليها: «حساء فاصولياء وخبز ذرة: ١,٥ دينار.»

وبعد قليل مررنا مجدَّداً أمام الكشك اياه، فرأينا السعر قد شُطب وكتب تحته: «جودتنا فاقت تقديراتنا: ١,٧٥ دينار.»

ب.ا.ر

«أبو الشنب»

يعمل اخي في شركة لمكيفات الهواء. ومع انه في أوائل العشرينات فهو يبدو يافعاً الى حد أن الزبائن يشيرون اليه احياناً بعبارة «هذا الولد.» ولانزعاجه من أنه لا يُعامَل بجدِّيّة ربّى شاربيه كي يبدو اكبر سناً. وسالتُه يوماً اذا كان مظهره الجديد غيّر موقف الزبائن منه، فأجاب: «بالطبع تغيَّرت لهجتهم، فأنا الآن الولد أبو الشنب.»

ب.س.

افضَل من الفكاهة ما يضحكني خمس ثوانٍ ويشغل فكري عشر دقائق.

تأملات معاصرة

في الزواج

السنوات الحرجة في الزواج هي تلك المتوسطة. ففي السنوات الأولى يرغب كل شريك في شريكه، وفي السنوات الأخيرة يحتاج كل منهما الى الآخر.

ر.ت.

الثلم الاعوج

وفقاً لتقليد شرقي قديم، يستطيع كل واحد منا أن يكبح رغبات قلبه، الصالحة والشريرة على السواء. ولا يكون ذلك بتدمير الحافز الشرير بل باخضاعه لتوجيه الدافع الصالح. وقد صوَّر أحد الحكماء ذلك بثور قوي جامح قُرن تحت نير واحد مع ثور حسن التدريب. وإذ يُحسن الثور الجيد القيادة فانه يوجه كل قدرة الثور السيىء في سبل مفيدة.

وعلى نحو مماثل، اذا وجهنا غضبنا وسلبيتنا وكآبتنا في مجار حسنة فقد تؤمِّن وقوداً وقوة لحياتنا. ولكن يجب أن يكون هناك ثور صالح. لذا علينا أن ننمّي الجانب الحسن من شخصيتنا ليتسلم قيادتنا. فكثيرون منا يشقّون في حقل الحياة أثلاماً عوجاً بلا انقطاع.

ف.ك.

أشواك وأفكار

يسير شاعر في الغابة فتعلق شويكات بسرواله الصوفي، فيصفها جمالياً: «ما أكثر ما تتعلق الطبيعة بالانسان، تماماً كما تتشبث هذه الأشواك الصغيرة بصوف سروالي وأنا أتجول وسط الخضرة.»

ويحصل الأمر ذاته لعالِم، لكن هذا يملك فكراً علميًّا، فيصرف ١١ عاماً في مختبر يخترع مادة «ڤلكرو» اللاصقة (شْليك ـ شْلاك).

ثم يمشي ممثل هزلي في الغابة، وفي الليلة ذاتها يرتقي خشبة المسرح ويقول: «ما بالها هذه الشويكات؟ أهي طريقة في الثأر مني لأني أمشي على العشب؟» هذا هو الفكر الهزلي.

ديفيد برينر، كاتب وممثل هزلي

الاصالة والتقليد

خير لك أن تفشل في الاصالة من أن تنجح في التقليد. فمَن لم يفشل أبداً في مكان ما لا يستطيع أن يكون عظيماً. واذا قيل إن النجاح المتواصل لامرىء برهان على أنه يعرف قدراته بحكمة، فحريّ أن يضاف أن المرء في هذه الحال يعرف أن قدراته محدودة.

هرمان ملفيل، روائي امريكي (١٨١٩-١٨٩١)

مأساة واقعية

العدالة تمحو الانتقام



قالت الأم الثكلى: «لا نبغين الانتقام، بل العدالة فحسب»

الحفلة التنكرية في اوجها. فالمناسبة عيد محلي، والوقت بعد منتصف الليل من يوم السبت في اول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، والمكان ناد ليلي قرب «لايتهاوس بوينت»، على بعد ٥٠ كيلومتراً شمال ميامي بولاية فلوريدا.

مرّت اربعون دقيقة على انتصاف الليل عندما قرّر كيفن سميث (٢١ عاماً) ارجاع رفيقته اليسا ستوري، (٢١ عاماً) الى بيتها. وكانت النجوم تسطع في السماء عندما اجتاز الشابان الطريق العام، ذا المجازات الستة لكل من الذهاب والاياب، متوجهَيْن الى سيارتهما. عندما بلغا الفاصل المتوسط المُعشب سمع كيفن زأْمَة عجلات فتلفّتَ ليشاهد سيارةً تتّجه مسرعةً نحوهما. وإذ مال جانباً لتلافي الانصدام شعر بهبّة ريح ثم سمع صوتاً مكتوماً.

عندما استدار كيفن شاهد جسد اليسا يطير فوق غطاء محرك السيارة ويقع ارضاً على بعد ستة امتار. عدا نحوها ثم تطلع الى السيارة الجانية وقد غدت على بعد قرابة ٦٠ متراً في نزلة الطريق. لم يستطع كيفن قراءة رقم لوحة الترخيص، لكنّ السيارة ذات اللون الفاتح تشبه «الشفروليه كامارو». اما اليسا فقد نُقلت في سيارة الاسعاف الى مستشفى مجاور وتوفيت بعد ١٥

ساعة من دون ان تستعيد وعيها.

المنزل المتواضع في احد شوارع لايتهاوس بوينت يعبق بذكريات اليسا المحيطة بوالدتها ديان وزوج والدتها راي جونس: صور فوتوغرافية اخذتها للطبيعة، تذكارات من رحلات لها كعازفة مزمار ترتدي زي مدرستها الثانوية، وكتبها لدراسة تقنية الأشعة السينية.

تحسَّرت ديان في احدى الأمسيات، وقد اسندت رأسها الى كتف رايموند: «اشتاق اليها كثيراً. ينبغي لي ان اعرف مَن حطَّم حياتها على هذا الشكل... ولماذا حدث ما حدث.» في تلك الأثناء كانت شرطة لايتهاوس بوينت على علم بأن حظوظ ايجاد السائق الهارب تنخفض مع الأيام.

احياناً يعود الصادمون الهاربون الى المنزل وهم يعانون وخز ضمير او خوفاً، فيقصدون من تلقائهم دائرة الشرطة. واذا لم يظهر السائق بعد الحادث فوراً تعلق الشرطة آمالاً واهية على اعتقاله.

البحث عن الجاني. كانت مفاتيح اللغز شبه معدومة في دوائر الشرطة. فما من احد شاهد السائق، وحتى الشهود تضاربت اقوالهم حول لون السيارة.

راجع الزوجان الشرطة كل يوم ولا جديد. فلجأ الى الاعلان في الصحف المحلية، عارضين صورة اليسا الجميلة بشعرها المسترسل وهي تتقدم بهذا الالتماس: «قاتلي قد يكون صديقك او جارك او زميلك في العمل او نسيبك. ساعد على كشفه لإحقاق الحق.»

في اثناء ذلك نقَّب الزوجان في مكان الحادث عن ادلة حسّية قد يكون فات الشرطة اكتشافُها. كذلك طافا بالشوارع المحيطة بالنادي، باحثَيْن عن «كامارو» فاتحة اللون. وانّى لاحظا سيارة من طرازها تبعاها حتى يحصلا على رقم ترخيصها ويضعاه في تصرف الشرطة.

في الليل جلست ديان الى طاولة المطبخ تدبِّج الرسائل الى الحاكم والى الأعضاء في الهيئة الاشتراعية للولاية والى وسائل الاعلام والى كل انسان آخر في وسعه المساعدة. وكلما مر يوم زاد احباطها. وسرعان ما بدأ الاصدقاء يدعونها مع زوجها الى التخلي عن مطاردتهما للجاني والى معاودة حياتهما السوية. فترد ديانا: «لا استطيع ذلك. عليّ ان اعرف ماذا حدث. بودّي ان اعلم لماذا صدمها انسان وولّى.»

لماذا يغادر السائقون الصادمون مسرح الجريمة هاربين؟ الكثيرون انما يُذعَرون. منهم القاصدون مكاناً محظَّراً عليهم او العائدون منه، وفي الحالتين يخشون افتضاح امرهم. ومنهم المفتقرون الى رخصة قيادة او الى التأمين. ومنهم سارقو السيارات الجانية.

غير ان الصفة المشتركة لحوادث الصدم والهرب هي الكحول. ولأنَّ الغضب الشعبي زاد ضد السكارى من السائقين، والعقوبات اشتدت، يخاطر الكثير من هؤلاء في التعرُّض للتهمة

الأدنى - اي الهـرب - بـدلاً من ان يُمسَك بهم بالجـرم المشهود وهم تحت تأثير الكحول.

الخيـوط الأولى. في مـارس (آذار) ١٩٨٧ دعا العريسان الجديـدان إريكا وغلِن بـالمر بعض معـارفهما الى حفلـة شواء. ودار الحديث عن الأماكن التي اعتاد الأزواج ارتيادها.

قالت إريكا: «دأبت على الذهاب مع زوجي غلِن الى نادي ج. ويلّيكرز، لكننا توقفنا منـذ العام المـاضي عندمـا قُتلت صـديقتنـا اليسـا ستـوري في جـواره بحادث صدم مجهول السائق.»

قال احد الضيوف، وهو مدير لمخزن البسة: «هذا غـريب! لربمـا كان لـدى احدى مستخدَماتي بعض المعلومات عن هـذا الحـادث.» فـالشقيقـة الكبـرى للمستَخدمة عرفت نادلةً وقع لها حادث ليلة العيد في المنطقة نفسها.

مـا إن انتهت الحفلة حتى اتصلت إريكـا بديـانـا جـونس وأعطتهـا اسم المستخدمة قـائلة: «لا أعـرف عنوانهـا ولكني أعتقد أنها تعيش مع أهلها.»

تعقب ديان وراي عنوان أهل الفتاة. وقالت ديان لراي: «إنها لرمية ضئيلـة الحظ في النجاح. ولربمـا يجدر بي ان اتوجه الى هناك بدلاً من شرطي بالزي الرسمي.»

بعد الظهر قادت ديان سيارتها نحو منزل بائعة الثياب. فاستقبلتها امرأة في منتصف العمر، فسألتها ديان هل بناتها في البيت. فأجابت المرأة بالنفي. فوقفت ديان في العتبة واخرجت من حقيبة يدها نسخاً عن نشرات واعلانات حول موت اليسا مناشدة: «اتوجه اليك من امّ الى امّ. احتاج الى مساعدتك. ليس الأمر أن بنـاتك متـورطـات، لكنهنّ قـد يعـرفن المتورط.»

بعد ساعتين اتصلت المرأة بديان عبر الهاتف وقالت لها: «اعتقد ان الشخص المطلوب هو سينديلو بريدينغ التي تقيم في جـوار مـدرسـة بـالم كون بيتش.»

اتصلت ديان فوراً بالشرطة وسـألت عن انـج بـاتـريسيـا، المسؤولـة عن التحقيق، فقيل لها إنها انهت خدمتهـا النهارية. عندئذ كلمت زوجها في العمل وقـالت له: «هلم بنـا نستعجـل الامـر ونجوب المكان.» وهكذا انطلقا الى منطقة المدرسة وطوّفا في الشـوارع مسجلَيْن لوحات ترخيص ٤ سيارات «كامارو.»

في صبـاح اليوم التـالي اعطت ديان الشرطيـة انج اسم بـريـدينـغ وارقـام اللوحات. فاتصلت انج بعد عدة ساعات لتقول إن احدى اللوحات مسجلـة على اسم سينديلو بريدينغ.

في ١٦ مـارس (آذار) اتصلـت الشرطية انج هاتفياً ببريدينغ (٢٨ عاماً) التي وافقت على اعطاء افادتها والسماح للشرطة بفحص سيارتها وهي «كامارو» زرقاء فاتحة طراز ١٩٨٤. وقـد وجدت انـج تقعيـراً في حـاجـز الاصطـدام الامـامي، وانبعاجـاً في غطاء المحـرك، ورقاقات طلاء.

قالت بريدينغ انها حضرت حفلة في تلك الليلة وشربت كحولاً. بعد ذلك عادت وحدها بالسيارة الى المنزل. وادَّعت ان الأضرار اللاحقة بسيارتها حصلت في صباح اليوم التالي عندما صدمت حاجزاً على الطريق العام.

أُخِذتْ عيّنة من طلاء السيارة ليفحصها الكيميائي الشرعي في مختبر الشرطة الجنائية. ولدى اعادة فحص ثياب اليسا اكتشف الكيميائي رقاقة صغيرة من الطلاء الأزرق الفاتح الملتصق بغلائلها اللاتِبة. فجاءت متطابقة مع العيّنة المأخوذة من سيارة بريدينغ. ووُجدت في ما بعد دمغات قماش فوق غطاء المحرك متطابقة مع الثيات التي كانت ترتديها اليسا ليلة الحادث.

بعد مرور ثمانية ايام على لقاء الشرطية انج وبريدينغ ذهبت الشرطية الى شقة اهل الفتاة برفقة الرقيب برنارد برومفيلد من فصيلة لايتهاوس بوينت. في باديء الامر كررت بريدينغ انكاراتها السابقة. لكنّ برومفيلد كان جازماً معها: «مهلك، يا سينديلو، فالسيارة الجانية تخصك، ولا ريب في هذا الامر.»

ما عتمت بريدينغ ان استسلمت: «حسناً، كان يمكنني أيضاً ان اخبركم ما اعتقدته حصل تلك الليلة.» واخبرتهما انها تركت الحفلة وتوجهت بسيارتها نحو منزلها على الطريق العام. وسبّب لها شعرها المستعار الأسود حكاكاً في فروة رأسها، فتخلصت منه ومن بعض الحلى، محيدةً نظرها عن الطريق «مرتين اثنتين.» وتابعتْ: «سمعتُ... صوتاً مكتوماً... ظننتُ أنه كلب او شيء ما. لم يخطر لي أنه قد يكون انساناً. وعندما اطلعني احدهم في العمل أنَّ احد الاشخاص قُتل على ذلك الطريق تلك الليلة لم اعتقد اني انا الجانية.»

العدالة. في ٢٤ مارس (آذار) ١٩٨٧ أُوقِفتْ سينديلو بتهمة مغادرة مكان حادث نجم عنه وفاة. فاذا ثبت ذنبها بموجب الأحكام القضائية في الولاية سيكون جزاؤها سنةً حبساً على الأكثر، وقد لا تذهب الى السجن ابداً.

اسرّتْ ديان الى زوجها: «لا تبدو التهمة كافية.» لذلك امضت اياماً في المكتبة منقّبة في الكتب القانونية. واستخلصت منها انه قبل موت اليسا بشهر غيّرتْ ولاية فلوريدا تشريعاتها حول جرائم القتل المرافقة للصدم والهرب. فبات في الإمكان اتّهام السائق بترك مكان الجريمة بعد الصدم، في حال حصول قتل بالسيارة. وهذان الجرمان يمكن ان تطاولهما سوِّيةً عقوبة حدها الاقصى ١٥ سنة سجناً، اما اذا دين المتهم بترك مكان الجريمة - في حال تعذر اثبات التسبب في القتل - فانه يواجه عقوبة تراوح بين ٣ و٥ سنوات.

في لقاء لديان وزوجها مع المدعي العام في الولاية ميكاييل ساتز ومع مساعده المهتم بالقضية، باري

غولدستاين اشتكت ديان من تقصيرهما عن اتهام بريدينغ بقتل اليسا، واضافت: «يبدو انكما في حوادث الصدم والهرب تكافئان السائق على هروبه!»

فشرح لها ساتز صعوبة إقامة الدليل على القتل بالسيارة. اذ على الجهة المدعية ان تبرهن ان السائق استخدم سيارته «بطريقة طائشة ربما سببت الموت او اذية جسدية جسيمة لشخص أخر.»

استمعت شرطة لايتهاوس بوينت الى قرابة ٤٠ شخصاً ممن قد يكونون شاهدوا بريدينغ في وقت ابكر من تلك الأمسية. وخلال صيف ١٩٨٧ وخريفه استقصى الزوجان جونز ايضاً شهوداً جدداً

عندما أُثير توقُّع حصول مهاودة قضائية* في الدعوى خشي راي وديان تعليق عقوبة بريدينغ، فقالت ديان لغولدستاين: «لسنا نبغي الانتقام وانما نريد العدالة.»

استدعى غولدستاين الملازم الأول ستان ستابك، وهو خبير في حوادث السيارات. فقصد هذا مسرح الحادث وتحقق من الإضاءة ومدى الرؤية وقاس المسافات وحسب السرعات. وخلص الى استنتاج ان الضحية ورفيقها كانا في مدى نظر الجاني من بعد ١٥٠ متراً على الأقل. وورد في تقرير ستابك حول الموضوع: «اعتقد ان السائقة اظهرت عدمَ انتباهٍ فاضحاً وهي تشغِّل محرك السيارة.» وبناء على إلحاح عائلة جونز رُفعت درجة التهمة ضد سينديلو بريدينغ لتشمل القتل بالصدم.

قُدِّمت بريدينغ الى المحاكمة في ٣ مايو (ايار) ١٩٨٨، وادلت بان نظرها حاد عن الطريق خلال «اقل من دقيقة.» وقالت إنها نظرت في مرآتها الخلفية بعد صدمها شيئاً ما، لكنها تابعت طريقها عندما لم تشاهد شيئاً.

لم يحتَجْ المحلَّفون الى اكثر من ساعة و١٥ دقيقة لاتخاذ قرارهم. فقد وجدوا سينديلو بريدينغ مذنبة، بموجب التشريع الجديد، بتهمة مغادرة مكان الحادث والقتل بالسيارة. فأمسكت ديان بيد زوجها وهمست: «وضعنا ثقتنا بالسلطة، وكنا على حق في ذلك.»

بعد خمسة اسابيع اصدر القاضي توماس م. كوكر الابن حكماً بسجن بريدينغ سبع سنوات، على ان تخضع للمراقبة خلال السنوات الثماني التي تلي اطلاقها. وقال كوكر لبريدينغ: «اشعر انه كان يستحيل ألاّ تكوني ادركت انك صدمتِ انساناً.»

وفي مايو (ايار) ١٩٨٩ اكدت محكمة الاستئناف في المقاطعة الرابعة بفلوريدا الحكم والعقوبة.

نادرة هي الحالات التي تلقى مصيراً يشبه حالة اليسا ستوري. فحالات الموت الناجمة عن الصدم والهرب هي من اعصى مشاكل القتل على الحل. وقد

(*) مساومة بين المدّعى عليه والمدّعي بان يعترف الأول بصحة التهمة في امور صغرى في مقابل اسقاط التهمة عنه في امور كبرى.

يساعد على حلها وجود قوانين اشدّ صرامةً. لذا يعتقد مسؤولون كثيرون ان الهرب بعد الحادث يلزمه عقوبة توازي في جسامتها عقوبة القيادة في حالة سكر. ويكتسب الأهمية ذاتها ان يتطوّع الشهود للادلاء بشهادتهم عند الحاجة. واي معلومة يوصلها الى الشرطة متفرجٌ على الحادث قد تكون نافعة، حتى وان تكن بسيطة كالادلاء بجنس السائق.

لم يخامر باري إ. غولدستاين أيُّ شك في السبب الذي اوصل سينديلو بريدينغ الى ايدي العدالة: «ما كنا استطعنا حلّ هذه القضية أو إدانة الصادمة لولا الزوجان جونز.»

وتخفف ديان جونز من جهود العائلة. فتقول: «لقد قمنا بما استطعنا فقط. ونحن مدينون به لأليسّا.»

ديفيد مازي ■



السهل الممتنع

لعلّ أصعب عمل تأليفي واجهني ككاتب كان كتابة رسالة اعتذار مقتضبة الى معلمة ابنتي لتغيّبها يوماً واحداً عن المدرسة. فقد ناولتني ابنتي دفتراً وقلماً قائلة: "ستصل حافلة المدرسة بعد دقائق. أسرع يا أبي." فبدأت رسالتي كالآتي: "حضرة السيدة المحترمة، ان ابنتي كارولين..." ثم توقفت مفكّراً: "من البديهي أن ابنتي هي كارولين." وبدأت من جديد: "كانت ابنتي البارحة..." وهذه البداية أيضاً لم تعجبني، فهي أشبه بشهادة خطية.

وتابعت على هذا المنوال حتى سمعت بوق الحافلة ودبّ الذعر في ابنتي. وكانت الاوراق الممزقة تغطي أرض المدخل، فقالت زوجتي: "هذا غير معقول!" ثمَّ أخذت الدفتر والقلم وكتبت الرسالة بسرعة فائقة.

الروائي إ.ل. دكتورو

طبيب مشغول

ذات مساء تلقى جارنا فريد، وهو محاسب، اتصالات هاتفية متتالية من طبيب صديق قال انه يحسب بنفسه الضرائب المترتبة عليه ويحتاج الى بعض "المعلومات القليلة"، طالباً من فريد أن يزوّده هذه المعلومات عبر الهاتف لانه كثير الانشغال وغير قادر على الحضور الى مكتبه.

وبعد انتهاء المكالمة الرابعة من الطبيب اتصل به فريد قائلا: "ينتاب زوجتي ألم حاد، وأعرف أنها تحتاج الى جراحة استئصال الزائدة الدودية. وبما أنك منشغل كثيراً وغير قادر على المجيء الينا، فأنا لا أودّ ازعاجك، اذ جلّ ما أحتاج اليه هو بعض المعلومات القليلة. أين أشقها؟"

م.ج.



ملخص من كتاب انطلق نحو النور

بقلم كريس اوبلر بالاشتراك مع لوري بكلند وبيث بوليس

عندما تعلم أن حبيباً لك سيموت تخال أن الزمان
توقف لحظة. وحين تعود الساعة الى الدوران لا يبقى شيء كما كان.
تتذكر كريس أويلر الخدر الذي أصابها عندما قيل لها
إن ابنها بنجامين (بن) ذا السنوات السبع مائت لا محالة.
قالت لنفسها: محال أن يحدث هذا لنا. لا بد أن يمنَّ الله علينا
بأعجوبة. لا بد أن يغير الأطباء تشخيصهم أو يجدوا علاجاً شافياً.
لقد عاش بنجامين ٩٤ شهراً مرت سريعة كحلم. واليوم يقف
على عتبة الموت مودعاً ولما يتسنَّ له أن يقود سيارة
أو يحضر حفلة أو يصبح أباً يحتضن طفلاً له بحنان.
الموت دوماً أمر يخاله المرء بعيداً جداً عنه.
وفجأة يصبح قريباً، قريباً جداً.

نور الحياة



ذهبتُ وأولادي الثلاثة الى «بارك سيتي» في ولاية يوتاه لقضاء عطلة الربيع مع أهلي. هناك التقى أولادي أبناء أخوالهم للمرة الأولى وأمضوا أوقاتاً ممتعة في التزلج واللعب. كانت حقاً أياماً ملؤها السعادة والوئام أمضيناها بعيداً عن كل مكدر.

وذات ظهيرة فيما العطلة تقارب نهايتها، تحلّق الكبار حول المدفأة يرشفون القهوة فيما خرج الأولاد يلعبون ويتسابقون متزلجين نزولاً على تلة تكسوها الثلوج. خرجت الى الشرفة أراقب ما يجري، فرأيت أولادي الثلاثة وقد تـألقت وجناتهم بجذوة الحياة كأنها صور لاعلان عن علب عصير. فهذا بو بوجهه النمش وهذا بن بابتسامته العابثة وذاك آبر بعينيه البراقتين. لم يسمح لنا الوقت بأن نفكر حينئذ كم كنا سعداء.

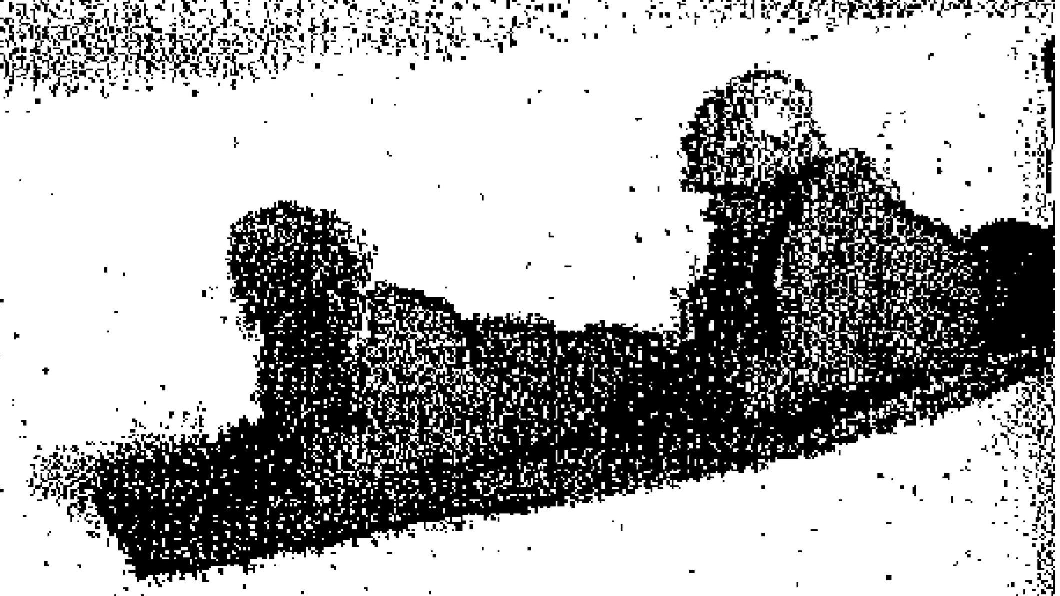
بدأ اليوم الأخير من العطلة مثلما بدأت أيام كثيرة عندما كنت طفلة. سمعت امي تسألنا وهي تحضر قائمة المشتريات: «هل تريدون شيئاً؟»

فصاح بن: «أجنحة دجاج!» وكان في السابعة من عمره وقد ولد يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٧ بعد سنتين من زواجي غرانت أويلر.

ان لكل أم وجبة خاصة يحبها أولادها. وكانت وجبة أمي المفضلة أجنحة الدجاج بالمرق المخلل. وعلى رغم اني كنت أتبع دوماً وصفة أمي في تحضير هذه الوجبة فإن بن لم يستسغ طعمها، وكان يتشوق دائماً الى أجنحة أمي. لذلك حين جلسنا الى المائدة بدا غريباً أنه لم يأكل شيئاً.

قال: «بطني يؤلمني.»

وفي اليوم التالي انتهت العطلة لكن ألم المعدة لم ينتهِ. وطوال الطريق الى بيتنا في كرمل بولاية كاليفورنيا لم يكن بن على عهدي به. كان يشكو من اسهال



حاد استوجب استدعاء طبيب العائلة. اذ لا بد أن يجد له الدكتور بان علاجاً، وهو الذي اعتنى به منذ ولادته.

وأذكر أنني حين ولد بن أُخبرت اني ناقلة لداء النزف الوراثي[1]. وكان أخي سكوت مصاباً بهذا الداء، كذلك أصيب به بن. ومعروف أن النساء ينقلن هذا الداء، أما الرجال فيصابون به. ومع كل حمل تبقى الاحتمالات الوراثية للاصابة هي ذاتها: يقدَّر احتمال اصابة المواليد الذكور بهذا الداء بنسبة ٥٠ في المئة، واحتمال كون المواليد الاناث ناقلات للمرض بنسبة ٥٠ في المئة كذلك.

وهكذا فإن احتمال اصابة أي من أولادنا بالداء هو واحد الى أربعة. ولكن على رغم هذه النسبة أصيب ولدانا الأصغران بو (٥ سنوات) وآبر (٣ سنوات) بالمرض اياه. واليوم، لحسن الحظ، يُعالج المصابون بداء النزف بجرعات من محلول الدم المركَّز والمتضمن بروتييناً مخثِّراً ينقصهم، مما يتيح لهم العيش حياة نشطة نسبياً.

وكنت اعتدت هذا الداء لاصابة أخي به، لكن الأمر كان جديداً على زوجي غرانت. وكم ازدادت محبتي له بعد أن تكيف وهذا الواقع وتعلم كيف ينقل الى الأولاد محلول الدم المعروف بـ «العامل ٨»[2] كلما نزفوا.

عندما عاين الدكتور بان بن اعتقد أن الأمر لا يتعدى اصابته بداء جرثومي. فوصف له مضاداً حيوياً (أنتيبيوتيك) وأخذ، على سبيل الاحتياط، عينات من دمه للفحص. وقال إن النتائج ستظهر بعد أسبوع.

توقعت أن يفيد الدواء، لكن اسهال بن تفاقم وازداد تقيؤه. اذ ذاك بدأت أشعر بالخوف والعجز. فأخذت بن في مطلع الأسبوع التالي الى عيادة الدكتور بان حيث أجرى له مزيداً من الفحوص وقال إنه يود مراجعة حالات سابقة في مستشفى الأطفال في ستانفورد حيث تقوم عيادة لداء النزف الدموي. ووعد بأن يتصل بنا هاتفياً فور تلقيه النتيجة.

اتصل بنا الدكتور بان في اليوم ذاته مقترحاً أن ننقل بن الى المستشفى في ستانفورد.

قلت: «سنأتي صباح غد.» لكن الطبيب نصحني: «كريس، أعتقد أن من الأفضل أن تذهبي فوراً.»

تلا ذلك أسبوعان من الفحوص الغامضة التي تطلبت مزيداً من عينات البراز والبول والدم. وذات يوم اقتادنا طبيب عبر باب مزدوج الى غرفة تختلف عن بقية الغرف. ظننتها «غرفة خاصة.» يا لحظنا الحسن! ثم لاحظت أن للغرفة حماماً خاصاً. طبعاً، بن يحتاج الى حمام خاص.

شجعتني الفحوص الناشطة أول الأمر. وراودني الأمل أن يتوصل الأطباء

الى تشخيص الداء بسرعة. لكن جميع النتائج جاءت سلبية مما استوجب اللجوء الى اجراءات طبية أخرى كان معظمها أليماً، ومنها تخطيط للدماغ وأخذ عينات من سائل النخاع الشوكي ومن نقي العظم.

لكن حال بن زادت سوءاً، واكتسى لسانه وحلقه بطبقة بيضاء بشعة وتورمت غدد رقبته وأصيب بطفح جلدي.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٥ بلغني أن النتائج الأولية للفحوص التي أرسلت الى مراكز مراقبة الأمراض في أطلنطا بولاية جورجيا، ستصل في أواخر الأسبوع وربما يوم الجمعة.

وكان بو وأبر ذهبا للمكوث عند والدي غرانت، فيما واظب غرانت على قيادة سيارته أربع ساعات يومياً ليتمكن من متابعة عمله في ورشة بناء في كرمل وتمضية بعض الوقت معنا ليلاً في المستشفى. ولكن يوم الجمعة اتصل بي غرانت وأخبرني انه مضطر الى التأخر، وأنه سيأتي حالما ينهي التزاماته. وبقيت أراقب الساعة وموقف السيارات في الخارج، فلم ألمح زوجي. وعلمت أن عليّ أن أواجه الأطباء وحيدة.

تذكرت أني أجلت بصري في أنحاء غرفة الاجتماعات ورأيت عدداً من الأطباء في انتظاري. وبدا لي ان لا حاجة الى مثل هذا العدد من الناس لنقل خبر جيد. ثم ناولني الدكتور برتل غلادر، رئيس قسم أبحاث الدم الخاص بالأطفال، نتائج المختبر التي اكدت أن بن يعاني اصابة طفيلية، وتورماً في الغدد، والتهاباً فطرياً يتميز ببقع بيضاء على اللسان والحلق. لكننا كنا نعلم ذلك قبلاً.

ثم انبرت جودي لي، وهي ممرضة متمرنة تعمل لدى الدكتور غلادر، وسألتني: «أتفضلين يا كريس انتظار غرانت لسماع ما تبقى؟»

«كلا،» قلت وأنا أتساءل كيف يتوقعون مني مزيداً من الانتظار. «ارجوكم تابعوا.»

سألني الدكتور غلادر: «هل سبق أن سمعتِ بمرض قصور المناعة المكتسب[٣]؟»

فأجبته: «أتعني الايدز؟ هل بن مصاب بمرض الايدز؟» فجأة رأيت الأمور بوضوح. غرفة بن الخاصة، والفحوص التي أرسلت الى أطلنطا، والأمراض التي لم يقوَ بن عليها.

تابع الدكتور غلادر قائلاً إن محلول الدم الذي يحتاج اليه بن عولج بالحرارة

---

(١) Hemophilia

(٢) Factor VIII

(٣) Acquired immune deficiency syndrome

لبضع سنوات، وبما أن بن في السابعة من عمره فربما التقط الاصابة وهو طفل. فهو كان يخضع سنوياً لأكثر من ٢٤ عملية نقل للمحلول الدموي المركّز، يحصل في كل منها على خلاصة قدمها نحو ١٠٠٠ متبرع. وكان أحد المتبرعين مصاباً بالايدز.

كدت لا أسمع ما قاله الطبيب وسط طنين صم أذني. وسمعتني أسأل عن التفاصيل والعلاج وكل ما راودني من أفكار، الى أن قاطعني الدكتور غلادر قائلاً: «كريس، هل تدركين أهمية ما نقوله لك؟»

شعرت بخدر يعتريني. طبعاً، فهمت ما يعني. فالإيدز مرض قاتل. وعندما تُبلغ أن ابنك سيموت تخال أن الزمان توقف لحظة. وحين تعود الساعة الى الدوران لا يبقى شيء كما كان. تشعر كأن صوتك ينبثق من شخص آخر. وتحس عينيك تحدقان الى أشياء غير مهمة، كلطخة على نظارتي الطبيب أو بلاطة مختلفة في أرض الغرفة. عندما يكون الشخص الذي سيموت ابنك تدرك أن كل شيء تغير وأن الألم سيلازمك الى الأبد.

قلت: «هل لك أن تخبرني كم سيعيش؟»

أجاب الدكتور غلادر: «كل ما نعرفه إحصائياً أن ٨٥ في المئة من مرضى الإيدز يموتون خلال سنة.»

خلال سنة؟ كيف يحدث هذا؟ لقد عاش بن ٩٤ شهراً لا غير. وعادت بي الذاكرة الى يوم كان طفلاً يحبو.

قال الدكتور غلادر: «آسف لأني لا أستطيع اخبارك المزيد، اذ ان بن هو الأول عندنا.»

فقلت له: «وهو الأول عندي أيضاً.»

قائد القطيع

قبعت أنتظر غرانت وأنا أعلم أنه الوحيد الذي يمكنه تعزيتي على رغم أن حزنه سيكون كبيراً كحزني. وملأت الدموع عيني وأنا أخبره بحالنا. لكنني قرأت في وجهه أنه كان يتوقع شيئاً من هذا القبيل منذ البداية. وكم من رحلة طويلة قطعها وحده والمخاوف ترافقه، لكنه حرص على تأجيل معاناتي أياماً قليلة أخرى.

ذهبنا معاً الى اللقاء الثاني والفريق الطبي. قالوا انهم سيباشرون معالجة الأعراض. وكان الطفح الجلدي بدأ يتلاشى، كما تمت السيطرة على الطفرة التي كست حلق بن بفضل الرشاش الذي كرهه وكان عليه تقبله في أي حال. وبالنسبة الى الطفيليات التي شكلت المعضلة الرئيسية، ارتأى الأطباء معالجتها بدواء اختباري جديد.

سألنا عن طريقة المعالجة، لأننا علمنا أننا اذا أتقنّاها ففي وسعنا نقل بن الى

البيت حيث نحيطه برعايتنا ودعمنا نفسياً وجسدياً. كما سيكون أخواه الى جانبه مع كلبنا دارسي للترفيه عنه.

ومع ذلك كنت متوترة حين بدأنا نوضب أغراض بن استعداداً للرحيل. فقد تيقنت أني سأكون المعنية مباشرة برعاية بن. وتذكرت أني حين بلغت التاسعة والعشرين من عمري شعرت بأني كبرت. لكني أحسست الآن أني صغيرة جداً ولا خبرة لي في مثل هذه الأمور. كان عليّ الاعتناء بثلاثة أولاد، وهناك رابع في احشائي. فكيف سأقوى على كل ذلك؟

تذكرت ما كانت والدتي تقوله لي في مثل هذه الحال: «لا ترتبكي، وعالجي كل يوم على حدة.» وهذا بالضبط ما يجب أن أفعله الآن.

كان يوماً جميلاً في أوائل الصيف عندما غادرنا المستشفى. لذلك قررنا سلوك طريقنا المفضلة عبر الغابة. استلقى بن على فراش وضعناه له في مؤخر شاحنتنا الصغيرة المقفلة (ڤان) وراح يسرح نظره في الاشجار الحمراء العملاقة والمشاهد العابرة. وبعد حين طلب أن يجلس في حضني. ولو طلب ذلك في الماضي لقلت ان في ذلك خطراً على سلامته، لكن خطر الحوادث بدا الآن مضحكاً.

جلس عند بطني المنتفخ ورأسه الى كتفي وقدماه في حضن غرانت. وسألنا: «هلا أخبرتماني مما أشكو؟ ماذا قال الأطباء؟»

وكنت اتفقت وغرانت على ما سنخبر بن. لكننا لم نتفق كيف ننتقي الكلام المناسب. وكنت نجحت سابقاً في انتقاء العبارات التي تطمئن أولادي، لكني لم أجد في تلك اللحظات عبارة مناسبة من تلك التي تلجأ اليها الأمهات.

بدأت: «حسناً يا بن، علمنا أن الدكتور بان كان محقاً في تشخيصه للداء الطفيلي، اذا أثبتت الفحوص أنك مصاب به في معدتك. ولهذا السبب تعاني الاسهال.»

وانتظرت سؤاله التالي، لكنه لبث ينتظر مزيداً من الشرح.

تابعت: «والسبب في صعوبة التغلب على هذا الداء هو أنك مصاب بشيء آخر يدعى الايدز. وهذا مرض مخيف قليلاً لأن الأطباء لا يعرفون الكثير عنه، خصوصاً لأنك أول صبي صغير شاهدوه مصاباً به.»

سأل بن: «متى يعتقدون أني سأتحسن؟»

أجابه غرانت: «ليسوا أكيدين من الوقت. لكنهم أعطونا أدوية ستحسن حالك، ومنها أقراص ورشاش أصفر للحنجرة ستحب طعمه.»

وهنا غيّر بن ملامح وجهه وقبض على حنجرته متظاهراً بالتسمم.

تابع غرانت: «سنعود الآن الى البيت وستشعر بالتحسن. فلنفكر بشيء مسلٍ نفعله معاً؟»

مددت يدي الى محفظتي وتناولت قلمي ودفتر الملاحظات لأن التدوين يمدني بحس تنظيمي. وقلت لبن: «لنضع لائحة بالأشياء التي تود عملها. اذا قيض لك أن تختار ما تفعله هذا الصيف، فماذا تختار؟»

فسارع بن الى القول: «ديزني لاند! واجتماع عائلة أويلر!»

كانت عائلة غرانت درجت على الاجتماع سنوياً على مقربة من بحيرة تاهو. ومن الأمور التي تعلمتُها خلال زواجي أهمية المساندة العائلية في الأوقات العصيبة والأوقات الطيبة. وكان لاجتماع عائلة أويلر طابع خاص، اذ كان بن الاكبر بين أربعة عشر حفيداً ويدعوه الجميع «قائد القطيع» وهو مركز ملأ قلبه سروراً. ولكن هذه السنة جُمِّدت المخططات بسبب مرض بن.

قال غرانت: «سأتصل بجدتك لدى وصولنا الى البيت لأرى اذا كان في وسعنا ترتيب ذلك.»

سألت ابني: «الى ماذا تتشوق أيضاً يا بن؟»

أجاب: «أود التعرف الى أصدقاء جدد عندما تبدأ المدرسة في سبتمبر (أيلول).»

قال غرانت: «قد تكون في مدرسة أخرى، لأننا نفكر في الانتقال الى منزل جديد قبل ولادة طفلنا في نوفمبر (تشرين الثاني).»

سأل بن: «هل يعني ذلك أني لن أرى جسيكا بعد الآن؟»

فطمأنته: «طبعاً لا، فالمرء لا يخسر الاصدقاء لمجرد انتقاله الى مدرسة أخرى.»

فتمتم بن: «نعم، معك حق. لكن هل أستطيع محادثتها عندما نصل الى البيت والاطمئنان الى صحتها؟»

فأومأت برأسي موافقة. لكن شعوراً ما جعلني أتردد في وضع اسم جسيكا على القائمة. والسبب أن جسيكا كانت رفيقة تعرف اليها بن ذات يوم عندما اضطر الى البقاء داخل الصف خلال الاستراحة لاصابته بنزف. وكانت جسيكا، «الفتاة التي لا شَعر لها،» في الداخل أيضاً. وهي أخبرته أن شعرها تساقط بعدما اكتشف الأطباء أوراماً في دماغها وعالجوها بالأشعة.

فهم بن أن جسيكا معرضة للموت. وقد حدثته أنا وأبوه حول هذا الأمر بعد مكالمة تلقيناها من والدة الفتاة التي لاحظت مدى الصداقة بينهما وأبدت قلقاً من أن يؤذي ذلك بن. حصل كل هذا قبل أشهر.

لاحظ بن ترددي فتناول القلم من يدي وكتب تحت عبارتي «منزل جديد» و«مدرسة جديدة» اسم جسيكا.

وهنا غيّر غرانت الموضوع: «ماذا تريد يا بن عندما تبلغ الثامنة؟»

أجاب: «سأحتفل بعيد ميلادي. أكتبي هذا يا أماه.»

ثم نظر الى القائمة الطويلة وقال: «هناك شيء ناقص... أخي الصغير.»

قلت مصححة: «تعني أختك تشلسي.» فنظر الي مبتسماً. لقد تكرر هذا الحوار بيننا حتى غدا شبيهاً بقصة مألوفة. أراد بن أخاً، وأردت أنا ابنة. قلت له مبتسمة: «لننتظر ونرَ. وستفرحنا النتيجة أياً تكن، أليس كذلك؟»

وافق بن، فكتبت كلمة «طفل» في أسفل القائمة.

شعرت وكأني أنجزت شيئاً. على الأقل، حددنا نقطة البداية في الرحلة الصعبة وبعض المعالم التي توجه مسارنا في طريقنا المجهولة. علمت بالتأكيد أن علينا أن نكون معاً

صور في القلب

حدد الأطباء حياة بن المتبقية بسنة واحدة، ولكن فاتتهم معرفة عائلتنا. وفاتهم مدى ايماننا.

كان غرانت مؤمناً بأن الله سيشفي بن. قال: «تعرفين يا كريس أن العجائب تحدث. كل ما يلزمنا هو الوقت. الوقت ليجد الباحثون الدواء الشافي.»

أصغيت الى كلماته ووجدت فيها قوة. فإذا استجمعنا كل مواردنا من الحب العائلي واخلاص الأطباء وايماننا بالله فقد نستطيع انقاذ بن.

كانت الأسابيع الأولى عصيبة بالنسبة الينا جميعاً، ولاسيما غرانت الذي اضطر الى العمل بين ١٢ و١٤ ساعة يومياً ليتمكن من تسليم تعهداته في الأوقات المحددة.

وفي البيت كان التحدي الكبير الذي واجهته مع الأولاد هو تفادي استنزاف طاقتي في الأمور التافهة والمزعجة. وكنت أملت أن أعوض الأولاد أجواء المرض والصعوبات برحلات الى الحديقة العامة ومربى الأسماك. لكن إسهال بن اضطره الى دخول الحمام كل ساعة أو ساعتين طوال النهار وطوال الليل أحياناً، فضلاً عن تقيؤه المتكرر. وكنت أغسل خمس أكداس من الثياب يومياً.

وكانت النظافة هاجسنا. والواقع أننا لم نخشَ الاصابة بمرض الايدز لعلمنا أن عدوى هذا الداء تتأتى من المجامعة أو انتقال السوائل الجسدية، كنقل الدم مثلاً. وقد أكدت الفحوص لاحقاً أن أياً منا لم يصب بالايدز. لكن أمراضاً أخرى أصيب بها بن كانت معدية، وخصوصاً القُلاع الذي أصاب حلقه. لذلك وضعنا في الحمام آلة لصب الصابون السائل وأكواباً من الكرتون. لكن مراقبة بو وآبر كانت صعبة جداً، كذلك التأكد من أنهما لا يشاركان بن في أكل الحلوى والبوظة (آيس كريم).

وازداد تشاركنا في أعمال بسيطة كالاعتناء بالحديقة وصنع أقنعة من ورق. وأحياناً، عندما يشعر بن بالتعب وأنا بالإجهاد من جراء الحمل والقلق، كنا نستلقي معاً على أرض غرفة الجلوس لأخذ سِنة من النوم. أنا لم أمض مثل هذه الأوقات مع بن مذ كان رضيعاً. وما مدَّني بالقوة على الاستمرار سوى بعض هنيهات هانئة، وإن تكن نادرة، قضيتها مع بن.

وفيما كنت ذات يوم في دكان البقال التقيت سائق الحافلة في مدرسة بن وعلمت منه أنه جسيكا توفيت قبل بضعة أيام. شعرت بأني قصَّرت مع بن اذ لم أتصل بوالدتها منذ رجوعنا الى البيت. والآن فات الأوان.

ذهبنا ذلك النهار الى الحديقة العامة، وجلست مع بن على حافة بركة رمل فيما مضى بو وآبر يلعبان على مقربة منا. قلت: «أريد أن أحدثك عن جسيكا يا بن.»

حدجني بنظرة سريعة ثم أطرق وبدأ يكتب في الرمل بأصبعه. قال: «أخبار غير جيدة، اليس كذلك؟»

وضعت يدي على كتفه وقلت: «أخبار سيئة. لقد ماتت جسيكا قبل أيام.»

تابع رسم دائرة في الرمل وقال: «أكان ضرورياً أن أخسرها بهذه السرعة؟ كانت أصغر مني سناً.»

أجبته وأنا غير واثقة من اختيار العبارات المناسبة: «لا يخسر المرء من يحبهم حقاً. ان في وسعك الاحتفاظ بهم دائماً... في قلبك.» وهنا تناولت من محفظتي صوراً له ولأخويه ووالده وناولته اياها قائلة: «أتعلم أن قلبك قادر على التصوير؟ صور القلب أجمل الصور لأنك تلتقطها في لحظات خاصة، وهي ملك لك وحدك.»

ـ هل ستذهب جسيكا الى السماء؟

«نعم.»

ـ هل سأراها يوماً؟

«أنا واثقة بذلك يا بن.»

تبع ذلك صمت طويل. وظل بن مطرقاً يكتب في الرمل. ثم قال: «متى يكون ذلك يا أماه.»

قلت: «لا أدري. لا أحد يعلم متى يموت. لذلك من المهم جداً أن نحب بعضنا بعضاً ما دمنا معاً.» وجهدت لكي أُبقي عينيّ مفتوحتين كي لا تنهمر دموعي.

لا أدري لماذا شعرت بأن بن عالم بدنو أجله. أردت أن أحوطه بذراعي وأهدهده وأبكي معه. لكني لم أفعل. كان عليّ أن أبقى قوية ومرحة. لذلك جلسنا هناك وكل منا غارق في أفكاره.

وأخيراً قال لي: «أماه، هلاّ دفعتِني في الأرجوحة قليلاً؟»

من الأمور المدرجة في قائمة بن واحد لن يتحقق: اللعب مع جسيكا غير أننا

بينا الى «ديزني لاند» خلال الصيف. وتمكن غرانت من جمع آل أويلر في وقت قصير بحيث التقى ستة فروع من العائلة في جمع كان له أبلغ الأثر في بن وفي جميع أفراد العائلة.

ولكن بعد وقت قصير اضطر بن الى دخول المستشفى مجدداً اذ أصيب بالاجتفاف[٤] من جراء الاسهال وقلة الطعام. وبدأ يستعيد وزنه بتغذيته وريدياً. وبعد أسبوع عدنا الى البيت وقد استعاد بن شكله المألوف.

ويوم عيد ميلاده أقمنا حفلة في حديقتنا. وفي تلك الليلة سألنا: «ماذا أفعل الآن وقد غدوت في الثامنة من عمري؟»

وددت ألا أفكر في مستقبل بن. وكان سادني شعور بأن بن سيغدو على أهبة الموت متى بلغ هذا العمر.

اجتمعت العائلة في تلك الليلة وانصرفنا بكليتنا الى ذكر الله ورحنا نصعد ابتهالاتنا بحرارة وايمان طالبين أن يمنّ الله علينا ببركاته ويشملنا برعايته متقبلين قضاءه العادل بنفوس رضية.

سأل بن ببراءة طفولية: «هل هناك أشجار في السماء؟ وهل هناك شوارع؟ وكم يلزم من الوقت للوصول الى هناك؟» أسئلة حزّت في نفسي لبراءتها وواقعيتها.

ثم سأل: «أبي، هل يعيش الناس هناك في منازل؟»

أجاب غرانت: «يعيش الناس في كنف الله جل جلاله وفي حرزه الحريز. تشعر كأنك عدت الى بيتك بعد رحلة طويلة، الى حيث يطيب العيش.»

وفي الصباح شعرنا براحة تغمر كياننا. نظرت الى بن طويلاً وراقبت كم يغير مرض الايدز جسد الانسان على نحو لا يصدق. ولاحظت كذلك أن التغيير لا يتناول الجسد فحسب، بل النفسية كذلك. كان جسد بن ينكمش مع تقدم مراحل المرض، لكن روحه كانت تنمو.

والتقط قلبي تلك الصورة.

حلو ومرّ

انقضى شهر يونيو (حزيران) وبدأ شهر يوليو (تموز)، فلف الضباب الصيفي منطقة كرمل كما في كل سنة. ووجدنا منزلاً أكبر يحوي حمّامين. وفيما انهمك غرانت في إعادة ترتيبه انصرف الأولاد كل الى شأنه. في هذه الاثناء أسقط بو اثنين من اسنانه اللبنية، وغدا آبر كبيراً على دراجته الثلاثية العجلات فأبدلناها بواحدة ذات عجلتين. ومر بن بأيام حلوة وأخرى سيئة. في الأيام الجيدة كنا نستمتع بكل

(٤) dehydration اي الجفاف بفعل استنزاف سوائل الجسم.

ابتسامة وضحكة. وفي الأيام السيئة كنا نشتاق الى الأيام الجيدة ونأمل عودتها.

لم يكن هناك من سبيل لتعويضه المعاناة الأليمة، ولا من وسيلة لاعادة الساعة الى الوراء، الى يوم تلقى بن تلك الحقنة اللعينة التي نقلت اليه العدوى، الى لحظة استطيع فيها أن أمنع ما حصل.

وهنا شعرت بالغضب يحل محل الخوف. أردت أن أوجه اللوم الى شخص ما.

وذات ليلة دخل بن المطبخ حيث كنت وغرانت نجهز طعام العشاء، وسأل: «ماذا يعني أن يكون المرء شاذاً؟»

قلت: «لمَ تسأل؟»

أجاب: «سمعت ذلك على التلفاز. قالوا إن الشاذين يصابون بمرض الايدز.»

تبادلت وغرانت النظرات ثم قلت: «إنهم لا يتحدثون عنك يا بن.»

وهنا اقترح غرانت أن نعود الى غرفة الجلوس. وكان بـو وآبر يلعبان في الخارج.

وكان غرانت جلس وبن هكذا قبل سنة لدى عودته من المدرسة وقد سمع كلمة بذيئة لم يفهمها. ولم نكن خططنا أن نحدثه عن الجنس بعد، لكننا لم نود أن نتركه يتأثر بمفاهيم خاطئة. لذلك عمد غرانت الى شرح ما يكفي لافهامه عن ولادة الأطفال وماهية الجنس كجزء طبيعي من المحبة بين الزوج والزوجة.

وها هو بن يسأل الآن عن الشذوذ.

قال غرانت: «أنت تذكر ما قلناه لك عن اصابتك بمرض الايدز من طريق نقل الدم. ولكن هناك وسيلتان أخريان للإصابة. فمدمنو المخدرات يصابون بالمرض من جراء استعمال إبر ملوثة. أما الوسيلة الاكثر شيوعاً فهي انتقال العدوى بين الشاذين. وتعني كلمة شذوذ قيام علاقات بين افراد من الجنس المماثل. وعندما يتحدث الناس عن مرض الايدز لدى الشاذين فهم يعنون الرجال غالباً.»

بدا بن مرتبكاً، وهنا مددت يدي وعانقته متمنية لو أستطيع تبسيط الموضوع على نحو يفهمه. قلت له: «إن هذا المرض جرثومة انتقلت اليك تماماً كالزكام.» بدا بن مقتنعاً بهذا المنطق.

وحل يوم الجمعة وتأهبت وغرانت للسهرة خارج المنزل كما تعودنا أن نفعل كل أسبوع. وكنت أنتظر ليلة الجمعة على أحر من الجمر، لأن الساعات القليلة التي كنا نقضيها معاً كانت تمدنا بالقوة اللازمة لاحتمال الضنك الآتي وتذكرنا بقدرتنا على اجتياز المرحلة الصعبة معاً.

وفيما كنت أرتدي ملابسي رن جرس الهاتف. انها أمي تريد أن تتحدث الى بن، وكانت بينهما صلة مميزة. أصغيت وتبسمت لما كان يقوله بن.

وعندما أقفل بن السماعة أخبرنا أن جدته رتبت كل شيء. قال انه سيذهب لزيارتها هي وجده رالف. فقد أمضى بو وآبر أياماً لدى والدي غرانت حين كان بن في المستشفى، والآن جاء دوره.

فقال له أبوه اننا سنبحث في الأمر في الصباح.

ذهبتُ وغرانت الى مطعم صغير وجلسنا الى طاولة حميمة في الزاوية. بدا لنا ذلك أقصى ما نطمح اليه من رفاهية: شموع وطعام طيب وأنا وهو.

مد غرانت يده وتناول يدي بحنان.

استمتعنا بهذه الأمسية وبحثنا في امكان الذهاب معاً في عطلة وحدنا لبضعة ايام فيما بن يزور والديّ.

أعجوبة صغيرة

ذهب بن لزيارة جدته وذهبنا نحن الى الشاطىء لقضاء بضعة أيام. واتصلتْ امي لتخبرني أن بن بصحة جيدة وأنهما تبادلا حديثاً طويلاً. لقد بدا لها أن بن يعلم أنه على وشك الموت، وهو يخشى أن نغضب منه من أجل ذلك لأننا نحبه كثيراً.

فكرتُ كم كان ذلك صعباً على أمي. وكم أحببتها حينئذ. فهي لم تكن تراقب عذاب حفيدها وحده، بل عذاب ابنتها أيضاً.

نقلنا بن الى المستشفى بعد عودته، اذ بات عاجزاً عن الأكل وعاد يخسر من وزنه.

في تلك الليلة جلست وبن على حافة سريره في المستشفى وقلت له: «لقد اشتقت اليك كثيراً خلال غيابك عنا. لكنك تعلم أني لا أغضب منك أبداً لذهابك في رحلة، وإن استغرقت وقتاً طويلاً جداً. انني أشعر بالحزن فقط لأننا لسنا معاً.»

أجابني بن بايماءة من رأسه ثم تعانقنا بصمت. علمت أن عليّ أن أزيد على ما قلت، لكنني لم أقوَ على الكلام.

صعب علي أن أترك بن وحده في المستشفى في اليوم التالي، ولكن كان عليّ أن أعود الى البيت لحزم الأمتعة للانتقال الى منزلنا الجديد. وعند الظهر قبَّلت ابني مودعة.

كان ذلك يوم الخميس وعليّ الاستعداد لمغادرة منزلنا يوم السبت. لم أدرك مدى الجهد الذي يتطلبه حزم الأمتعة. كانت شقتنا صغيرة، ولكن عندما عدت بولديّ بو وآبر مساء من منزل أحد الأصدقاء تبين لي أني لم أنجز الا القليل.

ارتميت على الأريكة وأغمضت عينيّ. جلست هناك وأنا في الشهر الثامن من حملي يلفني الذهول والارتباك والاجهاد. لم أقو على التفكير إلا في ما ينتظرني من عمل وفي المخاوف السوداء التي غمرت كياني. ماذا لو كان الطفل المنتظر صبياً،

ماذا لو كان مصاباً بالنزف الدموي؟ لقد درجتُ على إخبار الجميع أني قادرة على مواجهة الأمور. لكن الأمور بدأت تزيد صعوبة مع تقدم الأولاد في السن وازدياد نشاطهم. وفي تلك اللحظة لم أدرك كيف أستطيع الاستمرار وانجاز ما يتوجب عليّ.

أخيراً تناولت الهاتف وطلبت والدتي. قلت بصوت حزين كأنه لامرأة أخرى: «أماه، لم أعد أقوى على التفكير. لا أعلم ماذا أفعل. ساعديني...»

أخبرتها بكل الأعمال المقبلة علي من حزم الامتعة وتنظيف البيت الجديد وتحضير الطعام للأولاد وعيادة بن وملاحقة مواعيد الأطباء.

قالت أمي: «رويدك يا حبيبتي.»

قلت: «ولكن علينا يا أماه أن نخلي هذا المكان يوم السبت.»

قالت أمي: «حسناً، سأملي عليك قائمة بأمور يجب أن تفعليها أولاً، ومن ثم يمكنك الاعتناء بنفسك وبغرانت وبالأولاد. أولاً، أريدك أن تخلدي الى النوم وأن تنهضي نشطة في الصباح. وعندما تستيقظين...»

وضعتُ القائمة الى جانب سريري، وعندما استيقظت في الصباح اتَّبعتها كآلة مبرمجة. «انهضي. ارتدي ملابسك. رتبي السرير ليكون لديك مكان نظيف تعودين اليه. حضري الفطور. احزمي أمتعة غرفة النوم، ثم الحمام...»

قرابة السابعة صباح يوم الرحيل سمعت صوت سيارة آل لايسي وهي تتوقف. كان جو عقيداً متقاعداً وزوجته ماري معلمة متقاعدة. وهما ساعداني كثيراً بالاعتناء ببو وآبر.

خرجتُ الى الحديقة لاستقبالهما، لكني لم ألقَ جو وماري فحسب بل آل يونغ وآل سميث أيضاً. ورأيت كذلك موكباً من السيارات والشاحنات ضم أصدقاء لنا من الجمعية الخيرية التي ننتمي اليها. أناس طيبون لم يتركوا مناسبة إلا وسألونا كيف تتسنى لهم مساعدتنا.

باشر الرجال نقل المفروشات والصناديق فيما ساعدتني النساء على استكمال التنظيفات. وأولى أحد الفتيان بو وآبر عنايته. ولم يحل المساء إلا وقد انتقلنا الى المنزل الجديد الذي وجدته نظيفاً وخزائنه مجهزة بأغطية من ورق والثلاجة ملأى بالأطعمة والحلوى.

ورأيت السرير الخشبي والمنضدة اللذين كانا للجد أويلر وهو صبي موضوعين في غرفة نوم بن ينتظران حضوره. وثبتنا على الحائط ملصق «حرب النجوم» الذي يحبه بن وعلقنا في السقف دينوصوراته الخشبية ونماذج طائراته المفضلة. وبذلك بدت الغرفة تتناسب وشخصية بن.

وأذكر أنني كنت مستندة وغرانت الى حائط غرفة الجلوس نرمق عملنا، فانزلقنا معاً الى أرض الغرفة وجلسنا جنباً الى جنب. سألته: «ما رأيك لو وضعنا

قرب المدفأة رفوفاً للكتب؟»

قال: «ربما علينا توسيع المطبخ وبناء طبقة أخرى. فقد نحتاج الى مساحة اضافية عندما تولد تشلسي.»

ملتُ نحوه وقبلته. وفي تلك اللحظة شعرت بأني أتحكم بحياتي من جديد. لقد عدنا نتحدث عن المستقبل كأنه يحمل شيئاً نتطلع اليه.

وصممت على ألا أدع الرياح تتقاذفني بعد الآن بسبب حال بن، خصوصاً وان الأمور ستزداد سوءاً، لذا يجب أن أكون مستعدة لمواجهتها.

وبعد مضي بضعة أسابيع اتصلت بوالدتي وطلبت منها أن تزورني. لم أبدُ هذه المرة كطفلة تتوسل من أمها المساعدة، بل كابنة ناضجة تدعو الجدَّة الى المشاركة في بهجة الاستعداد لاستقبال المولود الجديد.

أطلقنا على ابننا الرابع اسم دانيال، وهو ولد يوم ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ وكان وزنه عند الولادة نحو أربعة كيلوغرامات.

مر الدكتور بان لزيارتنا وفحص الوافد الجديد. وهو دخل علينا بابتسامة عريضة وقال: «جاءتني نتائج الفحوص مؤكدة أن الطفل بصحة جيدة وهو غير مصاب بالنزف الدموي.»

غمرني شعور بالارتياح. لقد نال بن أخاً جديداً كما تمنى. ونلنا نحن أعجوبتنا الأولى.

منهل شجاعة

فيما كنا ننتظر ولادة دانيال قررتْ ادارة المدرسة عدم قبول تسجيل بن في الصف الابتدائي الثالث. وعلى رغم خيبتنا قررنا عدم معارضة هذا القرار علناً رغبة منا في تفادي مواجهة المصورين والصحافيين.

وكان بو الأكثر تأثراً بهذا القرار لأنه كان دائم الفخر بكونه شقيق بن أويلر. واليوم دخل مدرسة جديدة حيث لا يعلم عنه رفقاؤه سوى أنه شقيق الصبي المصاب بالايدز. وهو بدا عاجزاً عن التركيز في المدرسة، كذلك في المنزل حيث رأيته كثيراً يحدق الى الفضاء البعيد.

وذات يوم فيما كنت أنشر الثياب على حبل الغسيل جاءني بو راكضاً. وأخبرني أن بن طلب منه ومن آبر عدم دخول غرفته. وتساءل لماذا توقف بن عن اللعب معه ومتى يعود الى مرحه المعهود ومتى تتحسن حاله.

قلت له: «قد يبقى بن مريضاً فترة طويلة جداً. وعليك أن تجد ألعاباً هادئة تشاركه فيها، ألعاباً لا تتطلب الركض ولا تحدث ضجيجاً صاخباً. يجب أن تكون صبوراً معه كما كان هو معك عندما كنت صغيراً. هل أنت قادر على ذلك؟»

أطرق بو، لكني رأيت دموعه تتساقط عن أنفه. فحضنته وتركته يبكي بين ذراعيّ.

وفي الصباح التالي خرج بن من الحمام وهو يرتجف مترنحاً. نظرت اليه وقد أدار ظهره فهالني مدى هزاله. بدا جلده معلقاً فوق عظامه. رباه! متى استحال بن هيكلاً عظمياً؟ هل بالغت في تفاؤلي بشفائه فلم الحظ واقع مرضه الرهيب؟

أجرينا الترتيبات اللازمة لادخال بن مستشفى الأطفال في ستانفورد. ولدى وصولنا حاولت المرضات ايلاج إبـرة المصل في أوردتـه، فلم يستطعن الى ذلك سبيلاً. لقد غدت أوردته واهنة الى حد الانهيار.

وفي اليوم التالي طالعني بعض الأمل لدى رؤيتي أحد الأطفال يسير في رواق المستشفى وقد تدلت منه قثطرة «هيكمان»، وهذه أنبوبة مطـاطية صغـيرة تولـج جراحياً في وريد كبير في أعلى الصدر. وهكذا يمكن ضخ الأدوية وسوائل التغذية المناسبة في الجسم. لم تَطرح هذه الوسيلة وعداً بأن بن سيعيش، لكن القثطرة ستوفر له الغذاء الذي سيحول دون موته جوعاً.

لم يكن في الامكان اجراء العملية قبل شهر أكتوبر (تشرين الأول). في هذه الاثناء قررنا التأكد من سلامة هذا الخيار الذي يستوجب تعليق بن بآلة خاصة بضع ساعات يومياً، مما يعني مزيداً من العناية الطبية والمراقبة المستمرة.

لذلك اتصل غرانت بصديقنا الدكتور جايمس رازباند وزوجته إستر ودعاهما الى زيارتنا. ولدى وصولهما شرح لهما غرانت الأمر، قال: «اذا استمر بن على هذه الحال فإن نهايته وشيكة. ويبدو أن قثطرة هيكمان هي الوسيلة الوحيدة.»

فرد الدكتور رازباند: «ربما. لكن ذلك قد يطيل عذاب بن. أهذا ما تريدونه؟»

كان وقع ذلك قاسياً على غرانت. لكن الدكتور رازباند أثار سؤالاً تداولناه مراراً وأسقطناه لأننا كنا ننتظر حدوث أعجوبة. غير أن بن لم يتظاهر يوماً بأن حاله تتحسن، كان التظاهر مقتصراً عليّ وعلى غرانت.

كان في صميم بن منهل يستمد منه الادراك والقبول وعدم الخوف. نحن كنا خائفين من النهاية، أما بن فكان يتطلع الى بداية، بداية تأخذه منا الى مكان علّمناه ألا يخشاه.

من أصعب الأمور على الوالدين تحضير طفلهما للموت ثم الأذن له بالموت. هل كنا نحاول الابقاء على بن حياً لخشيتنا مواجهة موته؟ هل كنا غير مستعدين لمثل هذه الساعة على رغم قبول بن بها؟ واذا لم نكن بعد على استعداد لتجرع هذه الكأس، فمتى يكون لنا ذلك؟

أُجريت الجراحة وبدأ بن يتحسن بعد اليوم الأول. وعندما أعدناه الى البيت بدأ الخسوف ينحسر في خديه ولم أعد أرى هيكله العظمي تحت الجلد. وبدا لنا

كأن الوقت يعود الى الوراء.

أيمكن أن نكون قطعنا المرحلة الأسوأ؟ أتحل الأعجوبة التي انتظرناها طويلاً؟ لا، فالأطباء حذرونا من أن قثطرة «هيكمان» ليست علاجاً للإيدز. وناجيت نفسي: تمتعي بحضور بن ما استطعتِ ولكن لا يساورنَّكِ ظن أن في الإمكان استبقاءه، لأن ذلك مستحيل.

«أريد العودة الى البيت»

بعد ولادة دانيال (داني) ومكوثي في المستشفى شعرت بالراحة للمرة الأولى منذ أشهر. أخذ غرانت إجازة وراح يساعدني في تجهيز الطعام والعناية بالأولاد، وانصرفتُ أنا الى الاهتمام بالمولود. لكننا اضطررنا الى توظيف ممرضة لابقاء سير الأمور طبيعياً في المنزل.

كان داني هدية الى العائلة كلها، ولاسيما بن ومن بين الأمور التي أدرجها بن في قائمته كان الاخ الأصغر هو الأهم بالنسبة إليه. وحتى بعد فتور حماسة بو وآبر بعد فترة من ولادة داني تابع بن اهتمامه به ورغبته في احتضانه.

ولكن بعد انصرام الخريف عادت صحة بن الى التدهور، وأصيب بسعال متكرر وعادت معدته الى التشنج. وبدا حائراً مضطرباً، فخامرني شك في أن الايدز بدأ يغزو دماغه. أخذناه الى المستشفى لاجراء تخطيط للدماغ، لكن الأطباء وجدوه سليماً وقالوا ان الايدز يسبب أعراضاً لا سبب ظاهراً لها.

ورحت أفكر في جسيكا التي وقعت في غيبوبة قبل الوفاة. أيمكن أن يحدث مثل هذا لابننا؟ لم نشأ أن يفوت الأوان قبل أن يطمئن بن الى ايماننا بالحياة الاخرى في دنيا البقاء.

لذلك دعونا الأولاد الى اجتماع عائلي في المساء. بدأ غرانت اللقاء قائلاً: «لنتحدث عن حال داني عندما وُلد. كان داني قبل ولادته روحاً ـ لنتصورها شبيهة باليد.» وهنا رفع غرانت يده وحرك أصابعه ثم تابع: «وعندما وُلد...» وهنا تناول من جيبه قفازاً وأدخل يده فيه وأضاف: «عندما وُلد داني اتَّخذت روحه بدناً كهذا القفاز.»

نظر اليه الأولاد ذاهلين ولم ينطقوا.

تابع غرانت: «وعندما يموت المرء يبدو الجسد كأنه ينزلق.» وهنا نزع غرانت القفاز ووضعه على الطاولة أمام الأولاد الذين راحوا يحدقون الى القماشة الخالية من الحياة.

«لكن الروح تبقى.» قال غرانت وهو يحرك أصابعه مجدداً. «أجسادنا تموت لكن أرواحنا باقية الى الأبد.»

قلت: «انها مشيئة الله ولا داعي الى الخوف لأن الموت شكل آخر من أشكال الحياة. فبعد الموت ننتقل الى حياة من نوع آخر في السماء." بدا بن صامتاً مما جعلني أتساءل عما اذا فهم أنه المقصود بهذا الدرس.

سمحت قثطرة «هيكمان» ببقاء بن اربعة أشهر في البيت اضطررنا بعدها الى ادخاله المستشفى. وكان عانى تقيؤاً واسهالا شبه متواصلين على مدى سبعة أشهر. والآن بدأ يقاسي آلاما لا تطاق وغدت الأدوية المنزلية غير كافية لتسكين الألم.

وكانت له بضعة أيام جيدة، لكن أيامه السيئة زادت على ما قبل. وكان تحسن على نحو ملحوظ في الآونة الأخيرة، لذا غدا كل تدهور في صحته يسبب له ألماً وأسى مضاعفين. كانت تغمره الاثارة حين نحضر له مجموعة جديدة لتركيب طائرة، ثم يعجز عن اكمالها اذ تشرع يداه في الاهتزاز بعنف.

مرّت الأيام والأسابيع وغدوت لا أرى غرانت إلاّ لماماً لانصرافه هو الى العمل ولانصرافي انا الى المستشفى حاملةِ داني. وكنا نترك بو وآبر في عهدة أصدقاء لنا أو أقارب. وبتُّ أبكي أحياناً لأوهام عن مرضهم هم أيضاً، وأتوق الى رؤية وجوههم وسماع أصواتهم المرحة.

أخيراً قرّرنا فصل بو عن المدرسة والاتيان به مع آبر الى المستشفى للبقاء معي. وكان غرانت يعمل أيام الثلثاء والأربعاء والخميس ثم يأتي لقضاء أربعة أيام متتالية في المستشفى. وكانت ساعات عمله طويلة على نحو لا يصدق، وكان يعمل أحياناً طوال الليل.

استأجرت غرفة كبيرة في مبنى متاخم للمستشفى حيث ينزل أقرباء المرضى بأجر زهيد. وكان التحرك عسيراً داخل الغرفة لاكتظاظها بالأسرّة، لكنها بالنسبة الى بو وآبر كانت كمخيم. وأسعدني وجودهما معي.

صباح السبت مكث غرانت مع بن فيما ذهبت انا أتمشى. فجأة سمعت مكبر

الصوت يعلن: «الغرفة ٢٠٥ فوراً!» وكانت تلك غرفة بن. لم أدرك ما يعنيه ذلك الاعلان، لكنني أدركت أن نبرته طارئة.

سارعت الى الغرفة. ومن خلال جمهرة من الأطباء والممرضات رأيت جسم بن يهتز صعوداً وهبوطاً في السرير. لم أرَ في حياتي جسداً ينتفض بمثل هذه الحركة العنيفة. فجأة توقف الاهتزاز وجمد بن في السرير. أخذت يده في يدي، وكان غرانت يمسك يده الأخرى من الجهة المقابلة. كان وجهه بلون الرماد. قلت: «نحن هنا يا بن، أنا وأبوك. اننا نحبك كثيراً.»

فهمس لي: «أماه؟ أريد العودة الى البيت.»

حدجتني ممرضة بنظرة أفهمتني أن الذهاب الى البيت أمر مستحيل.

قلت: «سيكون كل شيء على ما يرام.»

فهمس بإلحاح: «أماه، أريد أن أذهب الى البيت.»

ردد بن هذه العبارة مرتين قبل أن أفهم مراده. انه لم يكن يعني العودة الى منزلنا في كرمل، بل كان يتذكر ما قاله غرانت من أن الموت هو كالعودة الى البيت. وهو الآن أصبح جاهزاً.

قلت له: «لا بأس يا حبيبي، إني أفهم.»

ـ هل ستزورينني هناك؟

«نعم يا بن، سأفعل يوماً.»

أخبرنا الدكتور بان أن بن أصيب بنوبة صرع حادة يرجح أن سببها اقتراب مرض الايدز من جهازه العصبي المركزي. وقد يسبب ذلك عطلاً في الدماغ أو شللاً، وقد لا تكون له مفاعيل جانبية على الاطلاق. وأضاف الى قائمة الأدوية التي يتناولها بن دواء مضاداً للصرع قيل انه قد يغرق بن في نوم طويل.

نام بن يومين متتاليين. وفي صباح اليوم الثالث فتح عينيه ولم يتذكر نوبة الصرع التي أصابته. وبعد أيام قليلة بدا كأن النوبة لم تحدث أبداً.

غرانت في ورطة

لم نستطع ابداً نسيان نوبة الصرع التي أصابت بن. بتُّ أخاف أن أنام أو أن أتركه وحيداً. وعاد غرانت الى عمله لكنه ظل قلقاً وعاجزاً عن التركيز.

وذات يوم كنت أنتظر وصول غرانت الى المستشفى، لكن الساعة دقت الحادية عشرة ليلاً ولم يأتِ بعد. أخيراً رن جرس الهاتف وسمعت غرانت يقول متوتراً: «لا أُريدك أن تقلقي يا كريس، اني بخير.»

شعرت بالهلع وسألته: «ماذا جرى؟ أين أنت؟»

كان يكلمني من منزل صديق له في كرمل، قال: «أعتقد أني أصبت بنوبة

قلبية فيما كنت أنهي ورشة.»

أخبرني أنه عندما أنهى تبليط أرض أحد المطابخ تذكر أن عليه الذهاب الى متجر خردة في التاسعة ليلاً. لذلك ترك عمله وأسرع الى المتجر. ثم التهم لوحاً من الشوكولاتة في طريق العودة لأنه لم يأكل شيئاً منذ الفطور.

ولدى رجوعه عمل بهياج لازالة الاسمنت عن البلاط قبل أن يجف.

قال: «فجأة ضربني ألم انحدر في ذراعي. وعجزت عن التنفس وكدت أقع. والآن أنتظر قدوم جيم رازباند و«سأتصل بك حالما يأتي. أريدك ألا تقلقي علي.»

لا أقلق؟ كنت مذعورة الى حد شل حركتي. قبعت في سريري في الظلام أفكر في أسوأ الاحتمالات. كان غرانت في الحادية والثلاثين من عمره، والناس في هذا العمر يقضون من جرّاء النوبات القلبية.

وعندما كلمني غرانت ثانية كانت أخباره جيدة، اذ لم يجد الدكتور رازباند أثراً لنوبة قلبية. قال ان غرانت كان يعمل بجهد مضن. وصباح اليوم التالي جاء غرانت الى المستشفى وبدا صحيحاً معافى ووسيماً. قال انه بخير وانه يريدني أن أصدقه.

وفي أوائل يونيو (حزيران) أصيب غرانت بنوبة أخرى. شعر بأنه يختنق ولا يستطيع التنفس. وكان قلبه ينبض بسرعة، وخيل اليه أنه سيفقد وعيه. وانتهى به الأمر الى قسم الطوارىء في المستشفى.

أكَّد الطبيب الذي عاينه تشخيص الدكتور رازباند، واقترح أن يستشير غرانت طبيباً نفسانياً ويأخذ إجازة ويحاول إزالة التوتر والاجهاد في حياته.

هذه المرّة قلقت فعلاً. لقد قلل غرانت من أهمية الحادث الأول، ولكن لا سبيل الى ازالة التوتر من حياته. كانت أجواء التوتر مهيمنة على حياتي وحياته.

وذات أمسية عدت وداني الى البيت، فاستقبلني بو وآبر دامعين. قال آبر: «لقد حطّم أبي سرير داني!» وقاداني الى الغرفة وأشارا الى السرير الذي نام فيه غرانت وهو طفل. رأيت ثقباً بحجم قبضة اليد في حافة السرير المتاخمة للرأس. هل فعل غرانت هذا؟ غرانت أويلر؟

هدأت من روع الأولاد ودخلت غرفة النوم. كان غرانت جالساً على السرير ورأسه بين يديه. فسألته أن يفسّر ما حصل.

قال: «تشاجر الولدان ولم يهدأا الى أن... فقدت أعصابي وضربت السرير. إني آسف.»

قلت: «انسَ السرير يا غرانت. اني قلقة عليك أنت. أنت وأنا والأولاد! أنا في حاجة اليك يا غرانت. ماذا حل بنا؟»

رمقني غرانت والدموع تترقرق في عينيه وقال: «اني خائف يا كريس وغاضب

جداً لأن بن يموت وليس هناك ما أستطيع فعله. هل تعلمين كم يحفر هذا في صميمي؟ لقد اعتدت طوال حياتي أن يساعدنا أبي في كل شيء. كان يجد حلاً لكل مشكلة مهما عظمت. الآن أجد نفسي عاجزاً عن مساعدة ابني وهو في أمس الحاجة إليّ.»

ضم غرانت يداً وراح يضربها براحة الأخرى. ثم توقف فجأة ومال نحوي وعانقني وهو يبكي. فشددته الي بكل ما لديَّ من قوة وبكيت معه.

أظن أن ذلك كان يوم يئس غرانت من حصول أعجوبة. لقد آمن بذلك الى الآن، وهذا ما ساعده على اجتياز الساعات الصعبة التي كان يقضيها بعيداً عن عائلته. أما أنا فكنت قطعت الأمل من شفاء بن.

والآن حان لنا أن ننسى آلامنا ونركز على آلام ابننا.

ساعات حميمة

أصيب بن بالعقبولة المنطقية[٥] وهي قروح جلدية حساسة فوق الأعصاب تسبب آلاماً حادة في أسفل الظهر. وكان بن يصرخ ألماً كلما لمسه أحد.

اتصلت بالممرضة جودي لي في عيادة الدكتور غلادر، فطلبت مني احضار بن الى المستشفى. ترددت في الامر وأخبرت غرانت، ثم اتصلت بالممرضة وأبلغتها أننا قررنا عدم أخذ بن الى المستشفى. قلت لها: «انه مريض جداً ويحتاج الآن الى أن يكون في البيت.»

وبدا أنهما فهمت ما أعني.

وذات يوم زارتنا رئيسة قسم التمريض المنزلي. وكانت الممرضات يتناوبن على خدمة بن ٢٤ ساعة في اليوم، وأظن أن إحداهن أخبرتها أن نهاية بن غدت وشيكة.

سألتنا السيدة هل نحتاج الى أي شيء. فترددتُ لحظة ثم سألتها: «هل شاهدتِ كثيراً من الناس يموتون؟»

أجابت: «نعم.»

قلت: «ماذا يجب أن أتوقع؟ كيف هو الأمر بالنسبة اليهم؟»

أخبرتني أنها تحدثت الى كثير من المرضى الذين أشرفوا على الموت ثم شُفوا.

قالت: «يتحدث هؤلاء عن راحة غمرت كيانهم، وعن نور يقول بعضهم إنه كضوء في نهاية نفق مظلم، ويقول آخرون إنه كضوء ساطع في زاوية غرفة. لكنه في جميع الحالات نور طالعهم. وجميعهم شعروا بالتردد بين سلوك سبيلين: يودون اللحاق بالنور لكنهم لا يريدون مغادرة أحبائهم. إن أفضل ما تفعلينه يا كريس هو إعلام بن أنك لا تمانعين رحيله وأنك تحبينه.»

(٥) Herpes zoster or shingles

تابَعتْ الساعة دقاتها. وظلت الصحف توضع على بابنا كل يوم. واستمر علماء الأرصاد الجوية يصدرون تقديراتهم لحال الطقس كل يوم.

أردت إيقاف الزمن، وإيقاف الشمس في كبد السماء. لكنني لم أستطع ذلك. ثلاثة أيام كانت تفصلنا عن عيد الاستقلال في الرابع من يوليو (تموز).

ومذ قررنا عدم ادخال بن المستشفى دأبتُ وغرانت على تخصيص ساعتين أو ثلاثة ساعات له وحده كل يوم. كنا نجلس قرب السرير في غرفته، تلك الغرفة الرائعة المزينة بالملصقات الرياضية ونماذج الطائرات، فنلعب معه أو نقرأ له قصصاً مشوقة أو نتحدث اليه. أردنا من كل ذلك أن نكون معاً.

وذات ظهيرة حين استيقظ بن شعرت كأن الحياة بدأت تغادره سأل: «أماه، هل لك أن تعطي جدي هذه؟» كان ينظر الى نموذج سيارة سباق.

قلت: «طبعاً يا بن.»

لاحظت أنه يود أن يتكلم وأن الكلام صعب عليه.

سألته: «هل سمعت يوماً بشيء يدعى وصية؟» فأومأ بالنفي.

قلت: «حسناً، عندما يشعر بعض الناس بدنو أجلهم يودون اعطاء أحبائهم أشياء خاصة يعزّونها. لذلك يكتبون رغبتهم ويوقّعونها. تلك هي الوصية. فهل تحب أن تفعل شيئاً كهذا؟»

أومأ بالإيجاب.

قال غرانت: «ماذا لو أشرت الى أشيائك الخاصة الموجودة في غرفتك وأخبرتني من تود اعطاءها.»

تناولت القلم لأدون ما يقول فيما وقف غرانت وراح يمشي في انحاء الغرفة. وأشار بن الى نموذج لسيارة «جيب» أراد أن يكون لأخيه آبر. كان هناك شيء لكل واحد منا، لوالديه وأشقائه وجدوده وأبناء عمومه وأخواله.

قال بن: «اكتبي يا أماه. دراجتي أعطيها لأخي بو.» ورحت أكتب ودموعي تنهمر فوق وصية بن.

وعندما اكتملت الوصية وقعها بن في ٢ يوليو (تموز) ١٩٨٦. كان توقيعه بسيطاً كتوقيع طفل وواهياً كتوقيع رجل عجوز.

في طرفة عين

قاسى بن آلاماً مبرحة طوال الليل. كنت أسمع الممرضة وهي تفتح باب الخزانة ثم تقفله مرة تلو أخرى لتحضر مزيداً من الأدوية. حفرت تلك الأصوات في ذاكرتي ثلماً أبدياً.

جلست مع بن في الصباح. ورحنا نزيد الجرعة المسكنة للألم ساعة بعد

ساعة. ولم تنجح الأدوية في تسكين أوجاعه إلا بعد حلول الظلام ليل ٣ يوليو (تموز). كنا آنذاك وحدنا في الغرفة.

قلت: «لقد بدأ الستار الأسود يرقّ، أليس كذلك يا بن؟»

هز رأسه ثم قال: «ألن أشعر بالألم يا أماه؟» رفعت شعره المتدلي فوق جبهته وقبلته. ثم قلت له: «لا يا بن، لن تشعر بأي ألم. ليس بعد الآن. وليس هناك ما يخيفك الآن. ستشعر كأنك تعود الى البيت من رحلة طويلة. أتذكر؟ سوى أن عودتك لن تكون الى هذا المنزل، لكنك ستشعر بالدفء والراحة كأنك في البيت. وقريباً جداً سنكون معك، والدك وبو وآبر وأنا. سيمر الوقت كطرفة عين قبل أن نجتمع ثانية والى الأبد. سيحدث هذا بسرعة خاطفة، تماماً كطرفة عين.»

قال: «أنا... أحبك... يا أماه.»

واغمض عينيه. وجلست أحدق الى وجهه وأمسد شعره بحنان.

همَست في أذن الممرضة لدى دخولها الغرفة: «النهاية غدت وشيكة، أليس كذلك؟»

فردت: «نعم، ولكن من الصعب تحديد الوقت. ربما غداً.»

أخبرت غرانت بذلك فأتى وجلس بجانب سرير بن الذي تململ وفتح عينيه.

قال غرانت: «بن، أود أن أقول لك إني... إني فخور بكونك ابني.»

وانهار الدمع مدراراً من عينيه. فأضاف: «حاولت أن أكون أباً صالحاً وأن أعلمك التمييز بين الخير والشر. لكنك أنت من علمني ذلك. علمتني الكثير. علمتني ان أقدر قيمة الحياة ونحن نعيشها. علمتني الايمان والركون الى الله وإن تكن النهاية غير ما اشتهيت.»

قال بن: «أبي... أبي... لا عليك... أعرف ذلك.»

لكن غرانت تابع من غير أن يستطيع لجم دموعه: «أتعرف يا بن، لقد أردت دائماً أن أكون أباً. منذ نعومة أظفاري أردت أن أكون أباً. تزوجت والدتك ومنَّ الله علينا بك وكنا في غاية السعادة. كنت أحلم بأشياء كثيرة نفعلها معاً. حسناً، يبدو الآن أننا لن نتمكن من القيام ببعض تلك الأشياء. سأفتقد ذلك يا بني. ولن يمضي يوم لا أشتاق اليك. جميعنا سيفتقدك يا بن. ولكن مهما بلغ شوقنا اليك فأودك أن تعلم أننا لا نمانع في ذهابك. واني أعني ما أقول. حقاً أعنيه. لكني لا أستطيع أن أتركك تذهب... من دون أن أخبرك... كم أحبك.»

مال بن نحو غرانت وطوقه بذراعيه واحتضنه. كان غرانت غارقاً في بكاء مرير.

قال بن: «أحبك يا أبي... أحبك... أحبك.»

قبّله غرانت وخرج من الغرفة مسرعاً. لم يتحمل البقاء بجانب فراش موت

ولدنا. وأنا لم أتحمل مغادرته.

بقيت وحيدة مع بن وعلمت أننا سنكون آخر المودِّعين. لقد حانت ساعة الفراق لكننا رحنا نحدق كل في عيني الآخر من دون أن ننبس ببنت شفة. كانت معاناتنا أكبر من الكلام.

ضغط بن يدي وعيناه مغمضتان ثم استسلم لنوم عميق.

وبعد حين جاءت الممرضة وأخبرتني أن من الأفضل لي أن آخذ قسطاً من الراحة. قالت: «ستحتاجين الى كل قواك لاحقاً.» طلبت منها أن تبلغني أي طارىء يحدث.

في الخامسة مساء جلس بن فجأة في فراشه، فاستدعتنا الممرضة. وعندما دخلنا غرفته رأيناه ممدداً ثانية. كانت عيناه مغمضتين. جلست الى يمينه وجلس غرانت الى جانبي. أحطت بن بذراعيّ وهمست في أذنه: «بن، أنا وأبوك هنا. نحن نحبك كثيراً.»

شعرت بجسده يسترخي قليلاً.

قلت: «بن هل ترى النور؟ النور الدافىء المريح. استرخِ الآن واتبعه. ستكون بخير.»

تراخى جسده فجأة وشعرت بمدى الألم الفظيع الذي ينزاح عن كاهله. انفتحت يده على السرير وراحته الى أعلى. فمددت يدي عفوياً وتناولتها، تماماً كما كنت أفعل عندما كان صغيراً أخاف عليه أن يقع.

ثم تلاشى خوفي سريعاً كما حلَّ بي. انكفأت الى الوراء واستندت الى غرانت.

كان بن يملأ الغرفة. كان يحوطنا من كل جانب، محباً عطوفاً. وها هو تخلَّف برهة ليودعنا. ليقول لنا ألا نقلق وألا نخشى شيئاً اذ ليس هناك ما يخيف.

إنطلقْ الى النور يا بن.

إنطلقْ الى النور.

ضمة واحدة

توفي بن في ٤ يوليو (تموز). وفي اليوم التالي شعرت بفراغ رهيب يلف كياني. إنه اليوم الأول أقضيه بعيدة عن بن منذ تسع سنوات. تمددت على فراشه أتنسم رائحته، وأغمضت عينيّ مراراً محاولة أن أطبع في ذاكرتي تعابيره الحبيبة.

لم نشأ أن نتبع شعائر المآتم المألوفة. أردنا شيئاً يعكس خصائص عائلتنا، يعكس الحياة. لذا، بدلاً من عربة الموتى والليموزين السوداء، وضعنا تابوت بن المصنوع يدوياً من خشب الصنوبر في مؤخر سيارتنا التويوتا البيضاء.

اخترقت أشعة شمس الصيف الساطعة نوافذ القاعة التي سجي فيها جثمان

بن والتي امتلأت بالزهور وبالأصدقاء الذين جاؤوا يلقون نظرة الوداع الأخير.

ألقت الجدة أويلر كلمة تأبين مؤثرة، ثم تحدث غرانت لبضع دقائق عن بن. كان صوته قوياً فخوراً، ولكن خانته العبرات المنهمرة على وجنتيه.

أود القول اني وجدت عزاء في زوجي وأولادي الباقين. لكن ذلك غير صحيح تماماً، على الأقل في البداية. شعرت أول الأمر بهوة فارغة كبيرة في داخلي لم يقوَ أحد على ملئها.

وواجه بو الواقع الجديد بصعوبة كبيرة بحيث لم ينم جيداً لعدة أشهر بعد وفاة بن. وكثيراً ما كان يستيقظ مذعوراً من جراء الكوابيس. وأعتقد أنه سيصبح



عندما يكبر رجلاً رحيماً من جراء الآلام التي قاساها في ما مر به من أحداث.

أما غرانت فكان رد فعله الانصراف الى العمل. وقد ملأني نجاحه فخراً وخصوصاً عندما اختير ليحل محل الدكتور رازباند رئيساً لجمعيتنا. واعتاد الناس اللجوء الى غرانت ملتمسين النصح كما كانوا يفعلون في عهد رازباند. وهم يقولون إن غرانت يتفهم مشاكلهم ويعالجها من صميم قلبه.

أما أنا فقد عاودت نشاطي بادئة بوضع قائمة جاء في بندها الأول: «فتشي عما يسعدك.» وعندما فعلت وجدتني أعود كلياً الى الأمور التي كانت تمنحني السعادة في السابق. حدث ذلك بعد سنة ونصف سنة من وفاة بن حين كنا عائدين من رحلة تزلج. نظرت حولي فرأيت الناس يبتسمون والسماء زرقاء والشمس ساطعة وكل شيء على ما يرام.

مدَّني إدراك هذا الواقع بشعور من الراحة والاطمئنان. فالغد ملكي أقضيه مع أبنائي الثلاثة وزوجي المحب. بدا كل شيء على ما يرام.

لكني ما زلت أفكر في بن الذي، وإن قضى، فإن عاطفة الأمومة في قلبي باقية له أبد الدهر.

تصف كلمة «ثكلى» الام التي فقدت ولداً. لكن الأم تبقى أماً وإن ثكلت. فهي تحمل طفلها في أحشائها وتشارك في أعجوبة الحياة عندما تلده. ولا يمكن أن يضمحل كل هذا الحب وكل تلك التضحية من دون أثر يذكر.

ولأنني أم فأنا على يقين بأن الحياةلا تتوقف. قد تتبدل أو تتغير أو تأخذ شكلاً جديداً، لكنها لا تنتهي.

وأعلم حق العلم أني سأرى بن يوماً. كما أعرف أن شمل عائلتنا سيلتئم ثانية. لكن ذلك لا يعني أني لن أتخلى عن العالم كلّه من أجل ضمة واحدة.

كريس أويلر ■

بالاشتراك مع لوري بكلنيد وبيث بولسن

ترجمة فريد شديد

متشائم ومتفائل

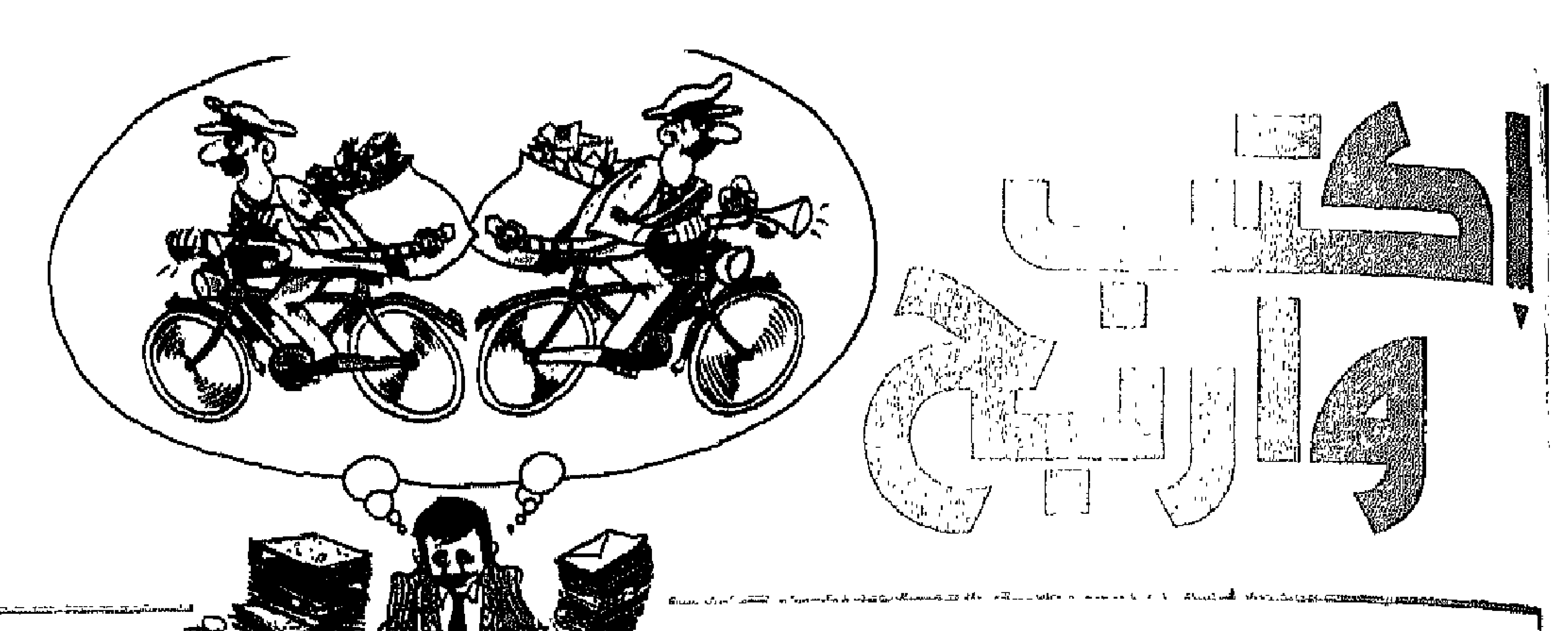
ذهب متشائم ومتفائل في رحلة لصيد البط. وبعد الطلقة الأولى ارسل المتفائل كلبه الجديد لاحضار الطريدة. فركض الكلب فوق الماء وأحضرها. ولم يعلّق المتشائم على الامر. ثمَّ أحضر الكلب الطريدة الثانية فالثالثة بالطريقة ذاتها - مشياً على الماء - والمتشائم محافظ على صمته. وأخيراً نفد صبر المتفائل فسأل رفيقه: "ألم يلفتك أمر غريب في كلبي الجديد؟"

فأجابه المتشائم: "بلى، انه لا يجيد السباحة."

ب.ف.



«باقة مرغريت» للفنان الامريكي نيل بلين



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.

★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.

★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).

★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.

★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.

★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.